سلسلة السيرة النبوية لكل الأعمار :

غـــــزوة بــــــدر

الكبرى

إعداد الدكتور

رجب محمود بخيت

دار العلم والإيمان

للنشر والتوزيع

239

ب . ر

رجب محمود بخيت ،.

السيرة النبوية لكل الأعمار(غزوة بدر الكبرى) / رجب محمود بخيت.- ط1.- دسوق:

دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع.

160 ص ؛ 17.5 × 24.5سم .

تدمك : 978 – 977 – 308 – 589 - 6

1. السيرة النبوية .

أ - العنوان .

رقم الإيداع : 1972

الناشر : دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع
دسوق - شارع الشركات- ميدان المحطة – بجوار البنك الأهلي المركز
E-mail: elelm_aleman@yahoo.com
elelm_aleman2016@hotmail.com

2018

الفهرس

قائمة الموضوعات

تحويل القبلة
فريضة الصيام
زكاة الفطر
صلاة العيد
فريضة الزكاة:
زواجه ص بعائشة ل
غزوة بدر الكبري
ترحيب الصحابة ص بمواجهة قريش
تنظيم النبي للجيش
الوصول إلي بدر ومشورة الحباب ت
بناء العريش
دعاء النبي ص
من فوائد الاستغاثة
تنظيم الصفوف
إندلاع شرارة القتال
الملائكة في ساحة المعركة

الصراع بين الحق والباطل :

إن الصراع بين الحق والباطل قديم قدم الإنسانية ، فمنذ خلق الله تعالىآدم ÷ ، وقف الشيطان موقفه الجاحد المعاند المستكبر،وقضي الله عليه بالطرد واللعن . كانت – منذ ذلك الوقت – بداية الصراع . الصراع بين الخير والشر ، وبين الحق والباطل وبين المعتدي والمعتدي عليه وتطور ذلك الصراع بتطور الجنس البشري وازداد ضراوة بازدياد تمكن الباطل من نفوس الناس واستحواذ الشيطان عليهم . ومن السنن الكونية سنة التدافع أو سنة الصراع بين الحق والباطل ، كما أنها ماضية عبر التاريخ الإنساني الطويل ، وباقية حتى يرث الله الأرضومن عليها ، قال تعالي :

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (118) إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (119) [سورة هود: الآية118 ،119]ويحتدم الصراع نتيجة هذا الاختلاف لإقرار الحق أو إقرار الباطل ، قال تعالي : الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا [سورة النساء: الآية 76]

وهذا التدافع هو الذي عناه الله ـبقوله : فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ [سورة البقرة: الآية 251].

وهذا الذي عناه النبي ص بقوله : (لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة) (1) . وهذه الطائفة المنصورة تجتمع فيها أسباب النصر المعنوية والماديةالتي خلقها الله (عز وجل) ، من علم صحيح ، وسلوك مستقيم ، وأخذ بالمقدمات التي جعلها الله وسيلة موصلة إلى نتائجها المرجوة ؛ وإلا فإن مجرد الإيمان والالتزام بعقيدة أهل السنة والجماعة دون الأخذ بأسباب التمكين ومقدماته المادية ، ودون الالتزام بسنن الله الكونية الصارمة لا يضمن النصر ولا يكفل الظهور والتمكينفي الأرض الذي وعد الله به عباده الصادقين (2) .

1) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح (بشرح النووي) ، كتاب الإمارة ، باب لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ، 13 / 66 .

2) محمد عبد الهادي المصري : أهل السنة والجماعة ، ص 52 .

وقد أوضح الله (عز وجل) أن الجهد الإنساني للمؤمنين هو الذي يحسم الصراع بقدر من الله لصالح المؤمنين : الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً ۗ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ [سورة الحج: الآية 40] إن التدافع الذي يعنيه القرآن الكريم من خلال هذه السنة هو الذي يكون لخير البشرية ، وبه يتحقق السلام العالمي ، بتحقيق العبودية لله وحده في الأرضوإزالة كل طاغوت يُعبد من دون الله ، قال تعالى: وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ [سورة الأنفال: الآية 39]. فالبشرية بدون العبودية لله (عز وجل) لا تستطيع أن تسلك قاعدة عليا من الحق ؛ لأن لكل معبود من الشركاء قاعدته الخاصة وسبيله المختلف ، ولا سبيل أبداً لتوحيد هذه القواعد إلا بالتخلص من الشركاء جميعاً ، والاتجاه المنقاد المستسلم لله (تعالى) وحده لا شريك له .وبين فوضى الأرباب والآلهة والطواغيت والمعبودات ذات الأسماء والشعارات المختلفة والصور المتباينة يرسم القرآن الكريم للمؤمن الموحد طريقاً واضحاً أبلجَ لا زلل فيه ولا عثار ، محذراً إياه بأن اختياره لغير هذا الطريق أو تردده في الاستمساك به معناه الكارثة المحققة والخسارة الكبرى : قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ (64) وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (65)[سورة الزُّمَر: الآية64- 66].

كما بيّن القرآن الكريم أن عاقبة الصراع تكون دائماً للمؤمنين مهما طال الطريق وعصف بهم طغيان المشركين : وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ [سورة القصص: الآية 5].

وقال تعالى : وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ [سورة الأنبياء: الآية 105].والهدف من هذا البيان هو شد عزائم الجماعة المؤمنة لتعي وتفقه طبيعة الصراع بين الإيمان والكفر ، ولتعد نفسها إعداداً كاملاً ، علماً وتربية وتخطيطاً وتنظيماً لمواجهة أعداء وعوائق الطريق وكثرة الأعداء من الداخل والخارجمن النفس والعشيرة والأموال والأزواج ، ومن الشيطان وجنوده ، ومن المشركين . وفي ضوء ما بذله المؤمنون من جهد بقيادة الحبيب محمد ص ، ومن خلال ما قدموه من تضحيات في الأموال والأنفس وهجرة الأوطان والأهل ، جاءتهم البشرى بحسم الصراع لفائدتهم واستخلافهم في الأرض.

وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ [سورة النور: الآية 55].

وحقيقة الأمر فإن الدفاع عن الدولة بالحروب هي وسيلة من وسائل حل المشاكل الاجتماعية ، إلي هذا العهد الذي بلغت الإنسانية فيه أشدها ، ونالت العقول رشدها ، فإلي أي مآل كانت تؤول حالة الجماعة الإسلامية التي دعيتإلي نشر الدين العالمي في عهد كان الحق لا يمكن الاحتفاظ به إلا بالقوة والحكمة لا يستطيع الإدلاء بها إلا إذا حاطتها القوة ، بل والحياة لا يتأتى أن تبقي إلا إذا نافحت عنها القوة .

والأمم الغربية بعد أن نالت ما نالته من ثقافة علمية عالية وألمعية فلسفية سامية ، ومدنية مادية راقية لا تزال تعمد في العصر الحديث لحل مشاكلها المختلفة إلي الحرب ، فلماذا إذن تحرم هذه الأمم الغربية على الأممالإسلامية – التي تألفت منذ أربعة عشر قرنا – الحرب ، وقد أنيط بها إحداث تطور عالمي من الناحيتين المدنية والاجتماعية ، وهما أدعى إلي إثارة النفوس من جميع الخلافات البشرية ؟

ومن الحقائق التي لا يمكن إنكارها أن قاعدة الإسلام الأساسية هي السلاموالحرب هي الاستثناء ، فلا مسوّغ لهذه الحرب – في نظر الإسلام – مهما كانت الظروف إلا في حالات محدَّدة . وإذا كان الإسلام قد أتاح الحرب ولكنه حاطها بالملطفات بما لم تبلغ إليه مدنية القرن العشرين ، ولا إلي ما يقرب منه ، وخلصها مما كانت تنشره الكتب التي يعتبرها الأوروبيون مقدسة ،

فقد جاء في الكتاب الخامس من الزبور قوله : " إذا أدخلك ربك في أرض لتملكها ، وقد أباد أمما كثيرة من قبلك ، فقاتلهم حتى تفنيهم عن أخرهم ، ولا تعطهم عهداً ، ولا تأخذك عليهم شفقة أبداً " .(1)

فالإسلام إذاً لم ينفرد بين الأديان السابقة والفلسفات المعاصرة بأنه دين يقر الحرب ولكنه انفرد كعادته بتلطيف هذه المجازر الإنسانية إلي آخر حد يمكن الوصول إليه ، بدون الإخلال بسلامة الحوزة ، فوضع للحرب حدوداً وشرط على الغزاة شروطاً ، كلها ترقي إلي احترام الدماء البشرية والعمل بأرقي ضروب العطف على الإنسانية ، ولم يهمل مع هذا أن يشير على ذويه بأنه إن جاء وقت تري فيه الإنسانية أن الحرب أصبحت أداة وحشية ، وأن التفاهم فيه العطف خير بدلاً منها ، فإنهم عليهم أن يتابعوا الإنسانية في ترقيتها ويدخلوا فيما يدخل فيه الناس من اعتبار الحرب وحشية ، والجري على ما يجري عليه الناس من حلول الخلافات بالطرق السلمية . (2)

---

(1) محمد فريد وجدى ، من معالم الإسلام ، ط الهيئة العامة للكتاب ، 2000 ، ص 103 – 104 .
(2) محمد فريد وجدي ، من معالم الإسلام ، ص 104 .

سنة التدافع :

وقد تعامل الحبيب محمدص مع سنة التدافع، ويظهر ذلكجليا في الفترة المدنية مع حركة السرايا والبعوث والغزوات التي خاضها النبي ص ضد المشركين، وهذه السنة متعلقة تعلقا وطيدا بالتمكين لهذا الدين، وقد أشار الله تعالى إليها في كتابه العزيز وجاء التنصيص عليها في قوله تعالى: فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ [سورة البقرة: الآية 251].

وفي قوله تعالى: الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ[سورة الحج: الآية 40].ونلاحظ في آية البقرة أنها جاءت بعد ذكر نموذج من نماذج الصراع بين الحق والباطل المتمثل هنا في طالوت وجنود المؤمنين، وجالوت وأتباعه،

ويذيّل الله تعالى الآية بقوله تعالى: فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ [سورة البقرة: الآية 251] ، مما يفيد أن دفع الفساد بهذا الطريق إنعام يعم الناس كلهم (2).وتأتي آية الحج بعد إعلان الله تعالى أنه يدافع عن أوليائه المؤمنين وبعد إذنه لهم-سبحانه- بقتال عدوهم ويختتم الآية بتقرير الله تعالى لقاعدة أساسية: الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ [سورة الحج: الآية 40].فكان تشريع القتال على مراحل:المرحلة الأولى: الحظر، وذلك عندما كان المسلمون في مكة، وكانوا يطالبونالنبي صبالإذن لهم في القتال فيجيبهم: «اصبروا فإني لم أؤمر بالقتال»(3).

(1) الفخر الرازي ، مفاتيح الغيب، 514/3.
(2) تفسير الألوسي (108/6).

المرحلة الثانية: الإذن به من غير إيجاب،

قال تعالى: أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ [سورة الحج: الآية 39].

المرحلة الثالثة: وجوب قتال من قاتل المسلمين، قال تعالى:

وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ [سورة البقرة: الآية 190].

المرحلة الرابعة: فرض قتال عموم الكفار على المسلمين، قال تعالى

إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ [سورة التوبة: الآية 36]. إن هذا التدرج في حكم القتال كان يقتضيه وضع الدولة الإسلامية الناشئة وحالة الجيش الإسلامي الذي كان يأخذ في التكوين من حيث العُدد والعُدد والتدريب، وما إلى ذلك فكان لا بد من مضي فترة من الوقت يكون التعرض فيها لأعداء الدعوة الإسلامية من كفار قريش الذين آذوا المسلمين، واضطروهم إلى الخروج من ديارهم، يكون فيها ذلك التعرض لأعداء الدعوة، إنما هو على سبيل الاختيار، لا على سبيل الإجبار، وذلك إلى أن يصلب عود الدولة الإسلامية

ويشتد بأس القوة الإسلامية، بحيث تستطيع الصمود أمام قوى الكفر في الجزيرة العربية فيما لو عملت قريش على تأليبها ضد المسلمين، كما وقع فيما بعد، وحينئذ يأتي وجوب القتال، في حالة تكون فيها أوضاع الدولة الإسلامية، والجيش الإسلاميعلى أهبة الاستعداد لمواجهة كافة الاحتمالات، هذا فيما يتصل بالقتال الذي يتعرض فيه المسلمون لكفار قريش، جاء النص بالإذن، أي بالإباحة لا بالوجوب أما في حالة ما لو تعرض فيه المسلمون وهم في دولتهم في المدينة لهجوم الأعداء عليهم، فالقتال هنا فرض لا مجال فيه للخيار، وليس مجرد أمر مأذون فيه، وذلك تطبيقاً لبيعة الحرب، بيعة العقبة الثانية التي أوجبت على الأنصار حرب الأحمر والأسود من الناس في سبيل الذود عن الدعوة الإسلامية، وصاحبها وأتباعها(2).

(1) د. محمد خير هيكل ،القتال والجهاد، 463/1، 464.

إعلان الحرب على الدولة الإسلامية الناشئة:

لأن أهل مكة لن يرضوا بأن يقوم للإسلام كيان ولو كان في المدينة، لأن ذلك يهدد كيانهم، ويقوض بنيانهم، فهم يعلمون أن قيام الإسلام معناه انتهاء الجاهلية وعادات الآباء والأجداد، فلابد من الوقوف في وجهه.فبادر زعماء مكة في إعلان الحرب على المسلمين، والسعي بشتى الطرق لإحداث حرب أهلية داخل المدينة، فأرسلوا إلى عميلهم عبد الله بن أبي بن سلول - وكان إذ ذاك مشركا بصفته رئيس المدينة قبل الهجرة، فقد كاد الأوس والخزرج أن يجعلوه ملكا عليهم، لولا هجرة النبي كتبوا إلى ابن سلول ومن خلفه من المنافقينفي كلمات تنم عن شدة الحنق والغيظ على المسلمين :"إنكم آويتم صاحبنا ! وإنا نقسم بالله لتقاتلنه أو لتخرجنه أو لنسيرن إليكم بأجمعنا حتى نقتل مقاتلتكم ونستبيح نساءكم".(1)

(1) أخرجه أبو داود 3 / 156 (3004) والبيهقي في الدلائل 3 / 179 وعبد الرزاق في المصنف (9733).

وبمجرد بلوغ هذا الكتاب قام عبد الله بن أبي ليمتثل أوامر إخوانه المشركين من أهل مكة - وقد كان يحقد على النبي ص : لما يراه أنه استبله ملكه- يقول عبد الرحمن بن كعب : فلما بلغ ذلك عبد الله بن أبي ومن كان معه من عبدة الأوثان اجتمعوا لقتال رسول الله ص فلما بلغ ذلك النبي ص لقيهم، فقال : (لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ، ما كانت تكيدكم بأكثر ما تريدون أن تكيدوا به أنفسكم تريدون أن تقالوا أبناءكم وإخوانكم) ، فلما سمعوا ذلك من النبي ص تفرقوا (2).

امتنع عبد الله بن أبي بن سلول عن القتال إذ ذلك، لما رأي خوراً أو رشداًفي أصحابه، ولكن يبدو من تصرفاته أنه كان متواطئاً مع قريش، فكان لا يجد فرصة إلا وينتهزها لإيقاع الشر بين المسلمين والمشركين، وكان يضم معه اليهود ليعينوه على ذلك، ولكن تلك هي حكمة النبي ص التي كانت تطفئ نار شرهم حينا بعد حين .ومن المواقف العدائية التي اتخذتها قريش الصد عن المسجد الحرام واعتبار الأنصار من أهل الحرب والذي يدلعلى ذلك، ما رواه البخاري عن عبد اللهبن مسعود ت حدَّث عن سعد بن معاذ أنه قال: كان صديقاً لأمية بن خلف

(2) أخرجه أبو داود 3 / 156 (3004) والبيهقي في الدلائل 3 / 179 وعبد الرزاق في المصنف (9733).

وكان (أمية) إذا مر بالمدينة نزل على سعد، وكان سعد إذا مر بمكة نزلعلى (أمية) فلما قَدِم رسول الله ص المدينة انطلق (سعد) معتمراً فنزل على أمية بمكة، فقال لأمية: انظ ر لي ساعة خلوة لعلي أن أطوف بالبيت، فخرج به قريباً من نصف النهار، فلقيهما أبو جهل فقال: يا أبا صفوان من هذا معك؟ فقال: هذا سعد، فقال له أبو جهل: ألا أراك تطوف بمكة آمناً، وقد آويتم الصّبَاه(1) وزعمتم أنكم تنصرونهم، وتعينونهم، أما والله لولا أنك مع أبي صفوان ما رجعت إلى أهلك سالما، فقال له (سعد) ورفع صوته عليه: أما والله لئن منعتني هذا لأمنعنك ما هو أشد عليك منه، طريقك على المدينة (2) وفي رواية عند البيهقي: «والله لئن منعتني أن أطوف بالبيت لأقطعن عليك متجرك إلى الشام» (3)

---

(1) جمع صابئ: أي الخارج عن دينه، وكان المشركون يسمون من أسلم صابئاً.
(2) صحيح البخاري رقم 3950.
(3) دلائل النبوة للبيهقي، (25/3).

السرايا الاعتراضية

بعد أن هاجر الحبيب محمد ص إلي المدينةوأعلنت قريش الحرب علي الإسلام والمسلمين في المدينة ، أخذ الحبيب محمد ص يحشد قواته فيها، ويوحد صفوف سكانها على اختلاف ميولهم وأهوائهم ودياناتهم، ويجعلهم كتلة متحدة للدفاع ضد الغارات الخارجية"(14) .

واتخذ في هذا الصدد خطوتين أساسيتين هما :

أولاً: عقد المعاهدات مع حلفاء قريش التجارين الذين تخلوا عن حلفهم القديم المسمى بالإيلاف، وبالتالي ضمن رسول الله ص حيادة هذه القبائل وعدم نصرتها لقريش حتى يتمكن المسلمون من التعرض لقوافلهم وهي مفتقرة لحماية الحلفاء، وأهم القبائل التي عقد التحالفات معها تلك القبائل التي كانت مجاورة للطريق التجاري ، أو كانت تقطن ما بين هذا الطريق وما بين المدينة، وقد عقد ق معاهدة مع جهينة قبل الأخذ في النشاط العسكري،

(4) محمود شيت خطاب، الرسول القائد ، ص 74.

وكانت مساكنهم على ثلاث مراحل من المدينة،ونصت وثيقة الموادعة مع جهينة علي :(إنهم آمنون على أنفسهم وأموالهم،

وإن لهم النصر على من ظلمهم أو حاربهم إلا في الدين والأهل. ولأهل باديتهم من برّ منهم وأتقى ما لحاضرتهم) (1). كما عقد معاهدات أخرى أثناء السرايا العسكرية.

ثانياً : عمل تكتيكات عسكرية على شكل سرايا اعتراضية كان من أهدافها ما يلي

إعلان الحرب على قريش تنفيذًا لأمر الله عز وجل وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ [سورة البقرة: الآية 190].

وقوله تعالى: وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ سورة الأنفال: الآية 39].

1) محمد حميد الله الحيدربادي ، مجموعة الوثائق السياسية، ص62.

إشعار أعداء الدولة الإسلامية الفتية "بأن المسلمين أقوياء، وأنهم تخلصوامن ضعفهم القديم،ذلك الضعف الذي مكَّن قريشًا في مكة من مصادرة عقائدهم، وحرياتهم، واغتصاب دُورهم وأموالهم"(1).استهدفت إرباك قريش وحلفائها، وإضعافهم، وتحطيم معنوياتهم بضرب نشاطهم التجاري الذي يمثل عصب حياتهم، وشريان وجودهم(2).

وذلك يبث الرعب والفزع في نفوسهم بإثارتهم الدائمة فهم يتوقعون هجوم المسلمين في كل لحظة، مما يشل تفكيرهم، فيسلبهم بذلك مبدأ المبادرة الأساسيفي تحقيق أي نصر. تدريب قوات المسلمين على القتال لتتحقق لهم اللياقة الكاملة اللازمة لخوض غمار المعارك الكبرى، فهم في حالة استنفار قصوى منذ بدأت السرايا الأولى "

1) محمد الغزالي ، فقه السيرة ، ص 228.
2) خليل عماد الدين، دراسة في السيرة ، ص 171.

ومن جهة أخرى جاءت هذه الهجمات أشبه بمناورات حيّة كان المقاتل المسلم يجس عن طريقها نبض أعدائه ويختبر إمكاناتهم الحربية، ماديّا ومعنويّا، ويمارس مزيدًا من التدريب وتنمية قدراته وطاقته على الصمود".

المعاملة بالمثل فكما أن قريشًا قد استولت على أموال المهاجرين في مكة، كان في الاستيلاء على قوافلهم نوع من العوض عما فقده المهاجرون من أموال ومتاع، وبالتالي "الحصول على مورد للتموين والتسليح في أعقاب الأزمة المالية التي كان المسلمون يعانون منها في مطلع عهدهم بالهجرة"(1) بسبب ما تركوه من مال ومتاع في مكة فرارًا بدينهم وحفاظًا على عقيدتهم وهجرة إلى الله ورسوله "فلا عجب إذا رأينا المسلمين يفكرون جديًا في استخلاص أموالهممن قريش"(2).

---

1) خليل عماد الدين، دراسة في السيرة ، ص 99.
2) خطاب، الرسول القائد ، ص 99.

السرايا والغزوات (1) قبل معركة بدر :

سرية حمزة بن عبد المطلب إلى سيف البحر

بعد أن أعلنت قريش الحرب علي الدولة الإسلامية الوليدة في المدينة ، أعد الحبيب محمدا العدة لتأمين دولة الإسلام ، وتنفيذًا لأمر الله عز وجل ودعوته لجهاد المشركين انطلقت طلائع الإيمان تبث الرعب في صفوف المشركين، فقد علم رسول الله ص أن هناك قافلة قرشية محملة بالأموال والبضائع وهي في طريق عودتها إلى مكة من الشام، يقودها أبو جهل بن هشام، ويحرسها حوالي ثلاثين راكب من فرسان قريش، فجهز لها رسول الله ص "دورية قتال اعتراضية قوتها" ثلاثون مجاهدًا من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد، وعلى رأسهم أسد الله وأسد رسوله حمزة بن عبد المطلب ت.وفي شهر رمضان من السنة الهجرية المباركة ارتفع أول لواء في سبيل الله تبارك وتعالى،

1) يطلق كتاب السـير في الغالب على كل مجموعة من المسـلمين خرج بها النبي - ﷺ - ليلقى عدوه غزوة، سـواء حدث فيها قتال أو لم يحدث، وسـواء كان عددها كبيراً أو صـغيراً، ويطلق على كل مجموعة من المسـلمين يرسـلها النبي - ﷺ - لاعتراض عدو كلمة: سـرية أو بعث، وقد يحدث فيها قتال وقد لا يحدث، وقد تكون لرصـد أخبار عدوه أو غيره، وغالباً ما يكون عدد الذين يخرجون في السـرايا قليلاً، لأن مهمتهم محددة في مناوشة العدو وإخافته وارباكه، وقد قاد رسول الله - ﷺ - سبعاً وعشرين غزوة، وأرسل ما يقدر بثمان وثلاثين سرية وبعثاً، وقد خطط لها في فترة وجيزة في عمر الأمم بلغت عشر سنوات من الزمن.أنظر : أبو فارس، في ظلال السيرة / غزوة بدر، ص12.

وكان لونه أبيض، وحامله أبو مرثد كناز بن الحصينالغنوي ت حليف حمزة بن عبد المطلب ت.تحركت الدورية نحو الهدف المحدد لها وهو ساحل البحر الأحمر، حيث التقت بالقافلة القرشية ناحية العيص في منطقة نفوذ قبيلة جهينة "فالتفوا حتى اصطفوا للقتال"، وقبل أن يشتبك الطرفان في مواجهة دامية، تدخل رجل من كبار رجالات جهينة في وساطة سلام بينهم، فقام بجولات من المفاوضات المباشرة مع كل طرف على حدة حتى تمكن أخيراً من النجاح في مساعيه السليمة "فحجز بينهم مخشى بن عمرو الجهني وكان مخشي ورهطه حلفاء للفريقين جميعًا فلم يعصوه فرجع الفريقان كلاهما إلى بلادهم، فلم يكن بينهم قتال"(1).

وقد كانت نتائج هذه السرية على المعسكر الوثني سيئة للغاية حيث هزت كيان قريش وبث الرعب في نفوس رجالها، وفتحت أعينهم على الخطر المحدق بهم والذي أصبح يهدد طريق تجارتهم، وبالتالي اقتصادهم. أما المسلمون فقد كانت نتائجها عليهم إيجابية حيث تصاعدت الروح الحماسية بينهم، وأعطتهم بعدًا عميقًا من الثقة بالنفس والجرأة على عدوهم، ذلك الذي استطاعوا ولأول مرة الوقوف في وجهه بقوة أبهرت قريش وأدهشتهم

1) أنظر: البيهقي في الدلائل ، 3/9-10، ابن سـيد الناس، عيون ،271/1، ابن خياط، تاريخ ،62، ابن هشـام السـيرة ، 595/2، الطبري،404/2-405، ابن سـيد النـاس، عيون 27/1، وابن كثير، البداية 244/3 الواقدي، المغازي،9/1، وابن سعد، الطبقات ،7/2.

"قال أبو جهل حين قدم مكة منصرفه عن حمزة: يا معشر قريش إن محمدًا قد نزل يثرب وأرسل طلائعه، وإنما يريد أن يصيب منكم شيئًا، فاحذروا أن تمروا طريقه وأن تقاربوه فإنه كالأسد الضاري، إنه حنق(1) عليكم نفيتموه نفي القردان(2)على المناسم(3)، والله إن له سحرة، ما رأيته قط ولا أحدًا من أصحابه إلا رأيت معهم الشياطين وإنكم عرفتم عداوة ابني قيلة(4) فهو عدو استعان بعدو"(5).

ولما بلغ النبي ص ما دار بينهم من حوار نتيجة ردة فعلهم نحو شرارة الإنذار الأولى التي أطلقها تجاههم قال: "والذي نفسي بيده لأقتلنهم ولأصلبنهم ولأهدينهم، وهم كارهون، إني رحمة بعثني الله - عز وجل - ولا يتوفاني حتى يظهر الله دينه، لي خمسة أسماء، أنا محمد، وأحمد، وأنا الماحي الذي يمحو اللهبي الكفر، وأنا الحاشر يحشر الناس على يدي، وأنا العاقب" (6)(7).

1) الحنق: الغيظ أو شدته
2) القردان: جمع قراد وهي دويبة تعض الإبل
3) المنسم: بكسر السين: طرف خف البعير والنعامة والفيل والحافر، وقيل: هو للناقة كالظفر للإنسان .
4) كناية عن الأوس والخزرج، فقيلة أمهم وكانوا ينسبون إليها.
5) ابن هشام، سيرة ، 218/1-219
6) رواه الطبراني في المعجم الكبير ، 123-124. وقال عنه الهيثمي: ورجاله ثقات. الهيثمي، مجمع ، 68/6
7) بريك بن محمد بريك أبو مايلة العمري ،السـرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة ، تحقيق أكرم ضـياء العمري ، دار ابن الجوزي ، الطبعة الطبعة الأولى - جمادى الأول - 1417 هـ - 1996 م ، ص84 -85

سرية عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب إلى رابغ

في شوال سنة 1 من الهجرة- الموافق أبريل سنة 632م، بعث رسول الله ص عبيدة بن الحارث بن المطلب في ستين رجلاً من المهاجرين لتوقيف تجارة لقريش في منطقة رابغ الساحلية ، ولم يكن في تلك الغزوة من الأنصار أحد" "وعقد له لواءَ أبيض كان الذي حمله مسطح بن أثاثة بن المطلب بن عبد مناف".

انطلقت الدورية حتى وصلوا إلى رابغ "فلقوا بعثًا عظيمًا من المشركين على ماء يدعى الأحياء من رابغ".وهناك حدثت أول مواجهة عسكرية بين المسلمين والمشركين "وهو أول يوم التقى فيه المسلمون والمشركون في قتال" ولكن القتال اتخذ طابع المناوشة بالسهام فقط، فكان سعد بن أبي وقاص ت "أول العرب رمى بسهم في سبيل الله"في تلك المعركة التي لم تستمر طويلاً إذ قرر الفريقان الانسحاب من أرضها. وقد كان انسحاب المسلمين قويّا ومنظمًا حيث انسحبوا في قتال تراجعي تعطيلي (1) بواسطة حامية منهم تغطي انسحابهم حتى هبطوا ثنية المرة،

1) القتال التراجعي: هو ذلك الوضع الكريه أثناء الانسحاب، عندما يكون القسم الأكبر من قواتنا قد فشل في تحقيق تراجع سليم، وتتورط قواتنا في قتال مع العدو أثناء التحرك للخلف. أنظر: باهر عبد الهادي، مصطلحات عسكرية ، ص 47

وكان بطل هذا الانسحاب الناجح سعد بن أبي وقاصت الذي كان له الدور الأكبر في تشتيت وإحباط استعدادات العدو لشن أي هجوم مضاد وذلك بوابل من السهام المزعجة التي قذفها نحوه، والتي كونت ساتراَ دفاعياَ مهد لانسحاب سليم منظم بالنسبة للمسلمين، وانسحاب متوتر مرعوب بالنسبة للمشركين، هذا وقد فر عتبة بن غزوان، والمقداد بن الأسود يومئذ إلى المسلمين وكانا في حبس قريش قد أسلما قبل ذلك، فتوصلا بالمشركين حتى خرجا إلى عبيدة وأصحابه"(1)وقد تحققت في هذه السرية بعض الأوليات المهمة في تاريخ الصراع الإسلامي الوثني على المستويين العام والخاص. فعلى المستوى العام اعتبرت أول مواجهة عسكرية بين الطرفين، بعد انقضاء سنة كاملة على أول مواجهة انتهت سلمياّ دون قتال.

1) البيهقي، دلائل ، 3/8- 10، ابن سيد الناس، عيون ، 271/1

أما على المستوى الخاص فقد حقق سعد بن أبي وقاص تمن خلال هذه السرية سبقًا عسكريًا إسلاميًا يسجل في سجله الحافل بالإنجازات على امتداد حياته التي أفناها في سبيل إعلاء كلمة الله منذ أن نطق بالشهادتين فكان ثلث الإسلام(1)،

ثم أريق على يديه أول دم في سبيل الله(2) ومرورًا بمشاركته الجهادية الفعالة مع رسول الله ص وانتهاءً بالقادسية والمدائن وفتح فارس وبناء الكوفة أول مدينة إسلامية خارج الجزيرة العربية.كما أكدت هذه السرية استمرار سياسة رسول الله ص التعبوية الخاصة بحشد المهاجرين فقط في الغزوات والسرايا الأولى حتى بدر تنفيذًا لاتفاقية العقبة الثانية(3).

1) أخرجه البخاري في مناقب سعد. انظر ابن حجر، فتح ،83/7
2) أخرجه الترمذي. انظر الألباني، صحيح سنن الترمذي ،277/2
3) بريك بن محمد بريك أبو مايلة العمري ،السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة ، ص92-93

سرية الخرار(1)

وكانت في ذي العقدة سنة 1 هـ الموافق مايو سنة 623م،وذلك أنهعندما بلغ رسول الله ص أن كرز بن جابر(2) أغار على سرح المدينة(3)، واستاقه معهوقدخرج ق لاعتراضه ، ولكن فاته كرز بالسرح، فاستنتج ق بذكائه العسكري المعروف أنه لن يستطيع اللحاق به بقوات قد تكون بطيئة الحركة نوعا مافي سيرها الاقترابي، لذلك جهّز على الفور "دورية تعقُّبية" (4)صغيرة، قوتها "ثمانية رهط من المهاجرين"(5) وأسند القيادة فيها إلى رجل من أصحابه، معروف عنه سرعة البديهة في المناورة، وقد سبق له أن حقق نجاحا ملموسا على مستوى السرايا الاعتراضية التي سبقت هذه السرية،

1) ماء لبني زهير وبني بدر، وهو واد بالحجاز يصب على الجحفة، وفيه آبار عن يسار الجحفة قريب من خمٍّ، يقع شرق رابغ على قرابة خمسة وعشرين كيلاً. انظر ابن سعد، طبقات ، 7/2، البكري، معجم ما استعجم ، 492/2، والبلادي، معجم معالم السيرة ، ص112.
2) كرز بن جابر حسل بن لاحب بن حبيب بن عمرو بن سفيان بن محارب بن فهر القرشي الفهري، كان من رؤساء المشركين قبل أن يسلم، استشهد في الفتح . انظر ابن حجر، الإصابة ، 290/3-291
3) السرح: المال السائم.
4) اختلف أهل المغازي في مهمة هذه السـرية، وهل كانت لاعتراض قافلة تجارية لقريش أو لتعقب كرز بن جابر الذي سلب عيرا للمسلمين ، فالواقدي وكاتبه ابن سعد ذكرا أن هذه السرية كانت لاعتراض القافلة . انظر الواقدي، مغازي (11/1)، وابن سعد، طبقات (4/2)، ولم يوضح ابن إسحاق مهمتها. انظر خليفة، تاريخ (62)، وابن هشام، سيرة (600/2)، والبيهقي، دلائل (2-13-14)، أما ابن حزم، وابن عبد البر: فقد ذكرا أن هذه السـرية كانت لتعقُّب كرز بن جابر الذي أفلت من النبي ﷺ. انظر ابن حزم، جوامع (104)، وابن عبد البر، درر (106). ولعل ذلك هو الصـواب، بناء على الوقت الذي خرجت فيه السـرية وقوتها الصغيرة المناسبة لهذه المهمة التي لا تتطلب عددا كبيرا من القوات لأجل خفة الحركة في المسير.
5) ابن هشام، السيرة ، 600/2

ذلكم هو سعد بن أبي وقاص ت و"عقد له لواء أبيض حمله المقداد بن عمرو البهراني".وفي الحال انطلقت الدورية في إثر كرز بن جابر ومن معه لعلها تلحق بهم قبل أن يدخلوا منطقة نفوذ قريش وحلفائها الواقعة بعد الخرّار الذي حذّرهم رسول الله ص من مجاوزته. ولكن كرزًا تمكن من الإفلات أيضا فلم يستطع سعد الإمساك بهم حتى منطقة "الخرّار من أرض الحجاز" التي رجع منها(1).

غزوة الأبواء أو ودان :

وفي صفر سنة 2 هـ الموافق أغسطس سنة 623م، خرج رسول الله ص فيها بنفسه في سبعين رجلاً من المهاجرين خاصة يعترض عيراً لقريش، حتى بلغ الأبواء(2)، وتعرف بغزوة ودان(3) أيضاً، وهما موقعان متجاوران بينهما ستة أميال أو ثمانية ، فلم يلق كيداً، واستخلف فيها على المدينة سعد بن عبادة ت. وانتهز النبي صفي غزوة الأبواء فرصة ذهبية، فعقد حلفاً عسكرياً مع شيخ بني ضمرة، فقد كان موقع بلاده ذا قيمة عسكرية لا تقدر بثمن في الصراع بين الدولة الإسلامية الناشئة وقريش

1) ابن هشام، السيرة ، 600/2 ، . السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة ، ص92-93
2) الأبواء: قرية من أعمال الفُرُع من المدينة، بينها وبين الجُحْفَة مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلًا.
3) وَدَّان هي قرية بين مكة والمدينة من نواحي الفُرُع، بينها وبين هرش ســـتة أميال، وبينها وبين الأبواء نحو من ثمانية أميال، قرية من الجحفة.

ولذلك عمل رسول الله صعلى ضمان حيدتهم في حالة وقوع صدام مسلح بين المدينة وأهل مكة، وكانت خطتهقحتى وقعة بدر، أن يزعج قوافل قريش بإرسال مجموعات صغيرة من المهاجرين وخاصة أن هذه القوافل كانت غير مصحوبة بجيش يحميها، وهو أمر لم تفكر فيه قريش حتى تلك اللحظة(1).

وقد نصت المعاهدة علي: (هذا كتاب من محمد رسول الله لبني ضمره، فإنهم آمنون على أموالهم وأنفسهم، وإن لهم النصر على من رامهم إلا أن يحاربوا دين الله ن ما بل بحر صوفة وأن النبي إذا دعاهم لنصره أجابوه) .

وهذه أول غزوة غزاها رسول الله ص، وكانت غيبته خمس عشرة ليلةوكان اللواء أبيض وحامله حمزة بن عبد المطلب(2) .

1) د. عون الشريف، نشأة الدولة الإسلامية، ص43.
2) ابن عبد البر ، الدرر في اختصار المغازي والسير، تحقيق : الدكتور شوقي ضيف ، وزارة الأوقاف المصرية - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي – القاهرةالطبعة : الأولى 1415 هـ - 1995 م، ص 103 ، الواقدي ، المغازي ، ص11

غزوة بواط(1)

وكانت غزوة رسول الله ص (بواط) في شهر ربيع الأول في السنة الثانية من الهجرة ، وخرج في مائتين من أصحابه وكان مقصده أن يعترض عيراً لقريش كان فيها أمية بن خلف في مائة رجل وألفين وخمسمائة بعير، فلم يلق النبي ص كيداً فرجع إلى المدينة. واستخلف في هذه الغزوة على المدينة سعد بن معاذ، واللواء كان أبيض وحامله سعد بن أبي وقاص ت (2).

غزوة سفوان أو بدر الأولي:

في شهر ربيع الأول سنة 2 هـ الموافق سبتمبر سنة 623م، أغار كرز بن جابر الفهري في قوات خفيفة من المشركين على مراعي المدينة، ونهب بعض المواشي فخرج رسول الله ص جمع من أصحابه لمطارته، حتى بلغ وادياً يقال له : سفوان من ناحية بدر، ولكنه لم يدرك كرزاً وأصحابه، فرجع من دون حرب، وهذه الغزوة تسمى بغزوة بدر الأولى .واستخلف في هذه الغزوة على المدينة زيد بن حارثة، وكان اللواء أبيض، وحامله علي بن أبي طالب (3).

---

1) بواط: هو جبل من جبال جهينة، بناحية رضوى بقرب ينبع.
2) ابن هشام ، السيرة النبوية ، 601/2 ، الواقدي ، المغازي ، ص11
3) ابن هشام ، السيرة النبوية ، 601/2

غزوة ذي العشيرة (1):

كانت غزوة العشيرة في جمادي الأولى وقيل الآخرة على رأس ستة عشر شهرا من الهجرة (أكتوبر سنة 623 م) وحمل لواءه حمزة بن عبد المطلب وكان لواء أبيض واستخلف على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي وخرج في خمسين ومائة ويقال في مائتين من المهاجرين ممن انتدب ولم يكره أحدا على الخروج وخرجوا على ثلاثين بعيراً يع تقبونها، يعترضون عيراً لقريش، ذاهبة إلى الشام، وقد جاء الخبر بفصولها من مكة، فيها أموال لقريش فبلغ ذا العشيرة، فوجد العير قد فاتته بأيام، وهذه هي العير التي خرج في طلبها حين رجعت من الشام، فصارت سبباً لغزوة بدر الكبرى .وبالعشيرة كنى رسول الله علي بن أبي طالب أبا تراب وذلك أنه رآه نائما متمرغا في البوغاء (2)فقال أجلس أبا تراب فجلس،وفي هذه الغزوة وادع بني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة ثم رجع إلى المدينة (3).

---

1) العشيرة: موضع بين مكة والمدينة من ناحية ينبع على ساحل البحر الاحمر.
2) البوغاء ماثار من الغبار ودقاق التراب
3) طبقات ابن سعد ، 10/2

سرية عبد الله بن جحش ت إلى نخلة

بعد عدد من الغزوات والسرايا الاعتراضية أراد رسول الله ص أن يستطلع أخبار قريش ومن ثمّ وقع تلك الهجمات عليها والتي صارت تهدد تجارة مكة الصيفية.

ففي شهر جمادى الآخرة أو رجب - على خلاف بين أهل المغازي -من السنة الثانية الهجرية جهّز رسول الله صسرية قوامها ثمانية مهاجرين وأسند قيادتها في أول الأمر إلى أبي عبيدة عامر بن الجراح ت ا لذي لم يستطع الاعتذار عن المهمة بالكلام تأدباً وخوفًا من معصية خليله رسول الله ص الذيلم يكن يحب مفارقته والبعد عنه، لكنه لم يتمالك نفسه "فلما ذهب لينطلق بكى صبابة(1) إلى رسول الله ص حبّا فيه وجزعًا من مفارقته فاستبقاه رسول الله ص واستدعى ابن عمته عبد الله ابن جحش ت وكلفه بالمهمة بعد أن أعطاه (كتاباً مكتومًا) وأمره أن لا يقرأ الكتاب حتى يبلغ مكان كذا وكذا (2) وقال: "لا تكرهَنَّ أحدا من أصحابك على المسير معك".

امتثل القائد المتضبط للأوامر النبوية العليا فسار مع أصحابه بعدأن استوضح عن الجهة التي تقود للهدف غير المعلن. "

1) الصبابة: الشوق أو قيل: رقته وحرارته.
2) وقع في رواية السـدي عن ابن عباس أنه أمره أن لا يفتح الكتاب حتى ينزل بطن ملل. الطبري، تفسـير (349/2)، وتاريخ (413/2)، وملل: منزل على طريق المدينة إلى مكة على ثمانية وعشـرين ميلا من المدينة، وهو واد ينحدر من ورقانجبل مزينة حتى يصب في الفرش. فوق سويقة.

فلما سار يومين فتح الكتاب فإذا فيه: إذا نظرت في كتابي هذا حتى تنزل نخلة(1) بين مكة والطائف فترصّد(2) بها قريشا تعلَّم لنا من أخبارهم". "فلما قرأ الكتاب استرجع(3) وقال: سمعًا وطاعة لله ولرسوله""ثم قال لأصحابه: قد أمرني رسول الله ص أن أمضي إلى نخلة أرصد بها قريشًا حتى آتيه منهم بخبر، وقد نهاني أن أستكره أحدًا منكم، فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق، ومن كره ذلك فليرجع، فأما أنا فماضٍ لأمر رسول الله ص".فما كان لهؤلاء الجنود المؤمنين الذين استرخصوا حياتهم في سبيل الله أن يتخلفوا عن أمر رسول الله ص "فمضى ومضى معه أصحابه لم يتخلف عنه منهم أحد، وسلك على الحجاز حتى إذا كان بمعدن فوق الفرع يقال له بحران(4)أضل سعد بن أبي وقاص، وعتبة بن غزوان بعيراَ لهما كانا يعتقبانه" ولأنه لم تكن هنالك وسيلة تنقلهما غير البعير الذي أضلاه،

1) نخلة اليمانية: هي بستان ابن عامر عند العامة، والصحيح أن نخلة اليمانية هي: بستان عبد الله بن معمر، وبنخلة قتل عامر بن الحضرمي. وهي موضع على ليلة من مكة، وهي التي ينسب إليها بطن نخلة. البكري، معجم ما استعجم ، 1305-1304/4
2) ترصد: الترقب.
3) أي قال: إنا لله وإنا إليه راجعون.
4) بحران: جبل يضرب إلى الخضرة والسمرة بين وادي حجر المعروف قديمًا بالسائرة، أو مر عنيب المعروف اليوم بمصر وبوادي رابغ. يقع بحران عند التقائهما يفترقان عنه شرق مدينة رابغ على (90) كيلو وهو في ديار زبيد بن حرب. البلادي، معجم معالم السيرة ،ص 40

ولأن المهمة سر ية لا تحتمل التأخير وأهم عنصر فيها الوقت الذي يعتبر أساسيّا لعنصر المباغتة استأذنا القائد في التخلف عنه في طلبه حتى لا يكونا سبباَ في تعطيل مسير السرية الاقترابي نحو الهدف لعلهما يجدانه فيلحقا بهم فيما بعد،
فأذن لهما "فتخلفا في طلبه. ومضى عبد الله بن جحش وبقية أصحابه حتى نزل بنخلة، فمرت به عير لقريش تحمل زبيباَ وأدمًا(1) ، وتجارة من تجارة قريش، فيها عمرو بن الحضرمي، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة، وأخوه نوفل بن عبد الله المخزوميان، والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة، فلما رآهم القوم هابوهم وقد نزلوا قريباَ منهم" ولكنهم ما لبثوا أن اطمأنوا إليهم بعد الخطة التمويهية الذكية التي قام بها بعض أفراد السرية عندما"أشرف لهم عكاشة بن محصن وقد حلق رأسه، فلما رأوه أمنوا وقالوا: عُمار، لا بأس عليكم منهم".وفي الحال عقد عبد الله بن جحش ت مع أصحابه مؤتمراَ حربيّاَ مصغراَ تداولوا فيه الرأي حول القافلة هل يهجمون عليها؟، ويستغلون هذه الفرصة المواتية من غرة عدو طالما أفلت منهم نتيجة حذره الشديد، ولكن الشهر الحرام ورسول الله ص لم يأمرهم بقتال فيه، أيتركونهم لأجل ذلك؟ ولكن هل راعت قريش الحرمات عندما طردتهم من ديارهم

1) أدمًا: جمع أديم و هو الجلد.

واستولت على أموالهم، وصدتهم عن سبيل الله؟ إذًا فليعاملوهم بالمثل والبادي أظلم، وأخيراً خرجوا بقرار جماعي حاسم بالهجوم عليهم و"قتل من قدروا عليه منهم، وأخذ ما معهم" فاشتبكوا معهم في قتال سريع خاطف حيث "رمى واقد بن عبد الله التميمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله، واستأسر عثمان بن عبد الله، والحكم بن كيسان، وأفلت القوم نوفل بن عبد الله، فأعجزهم، وأقبل عبد الله بن جحش بالعير وبالأسيرين حتى قدموا على رسول الله ص المدينة" فوقف العير والأسيرين" قائلاً لهم: "ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام"(1) .

ويصل الخبر إلى قريش فثارت ثائرتها وشنت هجومًا إعلاميّا مركزًا تخللته دعايات مغرضة ضد المسلمين استغلت فيها التعاليم الإبراهمية التي لا زالت بعض آثارها باقية في المجتمع الجاهلي حتى ذلك الوقت من تحريم القتال في الأشهر الحرم وغير ذلك."انتهزت قريش هذه الفرصة للتشهير بمحمد ص وبالمسلمين وإظهارهم بمظهر المعتدي الذي لا يراعي الحرمات"(2) "قالت قريش: قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام وسفكوا فيه الدم، وأخذوا فيه الأموال، وأسروا فيه الرجال".

1) انظر : ابن هشام، السيرة ، 603/2، واللفظ له، والبيهقي، السنن ، 59/9، والدلائل ، 19/3

2) الشريف أحمد إبراهيم، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ﷺ ، ص: 445

ونجحت قريش في خطتها تلك بادىء الأمر حيث "كان لدعايتها صدًى كبير، وأثر ملموس حتى في المدينة نفسها، فقد كثر الجدل والنقاش بين المسلمين أنفسهم، وأنكروا على رجال السرية محاربتهم في الشهر الحرام،

واشتد الموقف، ودخلت اليهود تريد إشعال الفتنة" حتى ظن أهل السرية أنهم قد هلكوا وسُقط في أيديهم، ولكن الله عز وجل لم يكن ليدع أولياءه تتقاذفهم أهواء ورغبات أعدائه، فهو قد تكفل بنصرهم. ماديّا ومعنويّا، فنزلت الآيات البينات ترد وبقوة على دعايات قريش المغرضة موضحة أنه وإن كان الشهر الحرام لا يحل فيه القتال، ولكنلا حرمة عند الله لمن هتك الحرمات، وصد عن سبيله ونزل

قوله تعالي : يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ ۚ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ [سورة البقرة: الآية 217].

وهنا اطمأن المسلمون لسلامة موقفهم ورد الله كيد أعدائهم إلى نحورهم "وقبض رسول الله ص العير والأسيرين وبعثت إليه قريش" "ليفادوا الأسيرين فأبى رسول الله ص وقال: أخاف أن تكونوا قد أصبتم سعد بن مالك وعتبة بن غزوان، فلم يفادهما حتى قدم سعد وعتبة، ففوديا، فأسلم الحكم بن كيسان وأقام عند رسول الله ص، ورجع عثمان بن عبد الله بن المغيرة كافراَ"(1).

وهكذا "يمكن اعتبار سرية عبد الله بن جحش الجسر الذي اجتازه صراع المناوشات بين الإسلام والوثنية صوب القتال المنظم المكشوف الذي بدأته معركة بدر، ذلك أن هذه السرية كشفت بسبب توغل مقاتليها بعيدًا إلى طريق التجارة المكية اليمنية مدى خطورة الدولة الناشئة على تجارة مكة خاصة، ووجودها الوثني عامة"(2).

إن الجرأة الشديدة التي تمت بها هذه العملية أذهلت قريش التي لم يدر بخلدها أن النبي صوأصحابه يستطيعون التوغل إلى هذه الدرجة في منطقة نفوذها، وكان التوغل من منطقة بعيدة عن أعين قريش، وغير متوقعة على الإطلاق

1) انظر: البيهقي، الدلائل ، 21/3، ابن حجر، فتح ، 153/1-154
2) عماد الدين خليل، دراســـة في الســـيرة ، ص: 174، بريك بن محمد بريك أبو مايلة العمري ، الســـرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة ، ص 101

ومما زاد في دهشتها تلك السّرية التامة، والدقة المتناهية التي تمت بها العمليةحتى إن عيون قريش لم ترصدها (ومخابراتها) لم تستطع معرفة الوجهةالتي قصدتها، وكان ذلك ما أراده رسول الله ص وخطط له بابتكاره أسلوب الرسائل المكتومة للمحافظة على الكتمان وحرمان العدو من الحصولعلى المعلومات التي تفيده عن حركات المسلمين "ولكتمان أهم عامل من عوامل مبدأ (المباغتة) وهي أهم مبدأ من مبادئ الحرب"(1).وبالإضافة إلى ذلك فقد أثبتت هذه السرية بما لا يدع مجالاً للشك بأن جيش النبي ص قوي يندفع للقيام بأصعب الأعباء والمهمات، ويتحلى بمزايا القتال وبمقدرته على إنجاز الواجبات بكل كفاءة واقتدار مما يدل على روحه المعنوية العالية.فكم كان موقف قائد السرية رائعًا، يدل على ضبطه العسكري الجيد بإطاعته الأوامر النبوية العليا دون تردد أو تخاذل، وهو بعيد عن مقر القيادة العليا، فما أن قرأ الكتاب حتى امتثل فورا للأمر ونفذه بحذافيره، معطيَا من نفسه القدوة الحسنة، باثًّا في نفوس جنوده الحماس وهو يقول لهم: "من كان منكم يريد الشهادة،

1) خطاب، الرسول القائد ، ص94

ويرغب فيها فلينطلق، ومن كره ذلك فليرجع، فأما أنا فماضٍ لأمر رسول الله ص"(1). ولا غرو في ذلك، فهو خريج مدرسة رسول الله ص العسكرية.

وكم كان موقف جنوده البواسل عظيمًا، عندما امتثلوا جميعًا لأمر رسول الله ص ومضوا له لم يتخلف عنه منهم أحد، على الرغم من تأكيداتالرسول ص للقائد بترك الحرية الكاملة لهم في الاختيار.ومن هذا المنطلق تتجلى عدالة الإسلام بإعطاء الأفراد الحرية الكاملة في أمر لم تكن فيه ضرورة إلزامية.إن النتائج التي تحققت في هذه السرية، اعتُبرت أوليات في تاريخ الصراع الإسلامي الوثني، فالقتال الذي دار فيها اعتبر أول مواجهة عسكرية دموية بين الطرفين نتج عنها أول قتيل في الإسلام، وأول أسيرين، وأول غنيمة ينفلّها اللهعز وجل للمسلمين، كأول تعويض يقبضه المهاجرون عن أموالهم التي استولت عليها قريش في مكة، والشاهد أن ما تمخض عن هذه السرية من أحداث مهمة أصبح سابقة في التاريخ الإسلامي، مما جعلها تستأثر باهتمام كبير ومركز من أهل المغازي حتى اعتبرها بعضهم أول سرية في الإسلام(2).

وقد كان موقف قريش التالي لأحداث هذه السرية مزيجًا من الغضب والخوف في آن واحد، لذلك فكرت وبدهاء شديد استغلال الثغرة الناتجة عن الخطأ التقديري الذي وقع فيه أصحاب السرية

1) ابن هشام، سيرة ، 602/2
2) بريك بن محمد بريك أبو مايلة العمري ، السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة ، ص 102

علّها تستطيع بذلك أن تشفي غيظها من المسلمين بإثارة العرب ضدهم، فأخذت أبواق دعايتها ترعد، وتبرق تصم الآذان بشتم المسلمين، ووصفهم بأنهم أناس لا يراعون الحرمات، ولا يحترمون التقاليد والأعراف المتعارف عليها بين العرب، وأن ما قاموا به يناقض تعاليمهمالتي ينادون بها، وغير ذلك فلما أكثرت قريش وتمادت في غيها نزلت الآيات من فوق سبع سماوات تقريعًا وتوبيخًا لقريش المتشدقة بحماية الحرمات ورعاية الأعراف.

قال الله تعالى يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ ۚ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ [سورة البقرة: الآية 217].

"فحدثهم الله في كتابه أن القتال في الشهر الحرام حرام كما كان، وأن الذي يستحلون من المؤمنين هو أكبر من ذلك من صدهم عن سبيل الله، حين يسجنونهم ويعذبونهم ويحبسونهم أن يهاجروا إلى رسول الله ص وكفرهم بالله، وصدهم المسلمين عن المسجد الحرام في الحج والعمرة والصلاة فيه، وإخراجهم أهل المسجد الحرام وهم سكانه من المسلمين وفتنهم إياهم عن الدين.

فمن يدافع عن الحرمات لا بد أن يكون مؤهلا لذلك بأن يكون على الأقل قدوة فيما يدَّعيه، فهلا قومت قريش سلوكها تجاه من فرض وأمر بهذه الحرمات التي يدَّعون أنهم قَيّمون عليها، وهم يشركون معه في العبادة أحجارًا وأوثانًا لا تنفع ولا تضر. لقد كان في هذا التقريع والتوبيخ الإلهي ما يكفي لردع قريش وكبح جماحها وكتم أبواق دعايتها وبالتالي تعريتها أمام الرأي العام العربي.وكان فيه الطمأنينة والأمان للمسلمين وعلى رأسهم رسول الله ص وراحةُ بال لأهل السرية الذين أسعدهم دفاع الله عز وجل عنهم فطمعوا في الأجر فأنزل الله عز وجل في ذلك:

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (218) [سورة البقرة: الآية 218].فوضعهم الله عز وجل من ذلك على أعظم الرجاء".

أما موقف اليهود بالمدينة فكان ينم عن حقد دفين وكره للمسلمين الذين كانوا يتربصون بهم الدوائر، فما حصلت تلك المواجهة بينهم وبين قريشحتى تفاءلوا عليهم بها شامتين، وهم يعتقدون أنها بداية الشرارة لحرب شعواء يكون فيها القضاء تمامًا على المسلمين القلة في ذلك الوقت بالنسبة لقوة قريش وحلفائها الضاربة في الجزيرة العربية.

ولكن الله كبتهم، فصار فألُهم شؤمًا عليهم عندما أعز الله جنده ونصرهم على أعدائهم من المشركين، فتفرغوا بذلك اليهود وقذف الله الرعب في قلوبهم، وركبهم الذل والهوان حتى خرجوا من المدينة صاغرين.

ومما يستفاد أيضا: "أن شرع من قبلنا شرع لنا حتى يرد ناسخ، وذلك أن تحريم القتال في الأشهر الحرم كان حكما معمولا به من عهد إبراهيم، وإسماعيل وكان من حرمات الله، ومما جعله الله مصلحة لأهله.

قال الله تعالى﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [سورة المائدة: الآية 97].

فكان رجب أمانا للسالكين إليها مصلحة لأهلها، ونظرا من الله لهم دبّره وأبقاه من ملة إبراهيم لم يُغيَر حتى جاء الإسلام، ثم أباحته آية السيف في سورة براءة؛ فإن براءة كان فيها نبذ العهد العام وهو أن لا يصد أحد عن البيت جاءهولا يخاف أحد في الأشهر الحرم، وأن لا يحج مشرك، وإباحة القتال في الأشهر الحرم، أي مع بقاء حرمتها فإنها لم تنسخ، قال تعالى:

إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ [سورة التوبة: الآية 36].فتعظيم حرمتها باق، وإن أبيح القتال(1).

1) السهيلي، الروض ، 5/80-81، الحلبي،السيرة ، 3/142، والزرقاني، شرح المواهب ، 1/398

وفيها أيضا دليل على تسويغ الاجتهاد في زمنه ق، فإن أصحاب السرية قد أدَّاهم اجتهادهم إلى مهاجمة القافلة دونما أمر منه ق، ونزل قول الحق سبحانه وتعالى فيه تصويب لاجتهادهم ذلك بعد أن أكثر الناس في تقريعهم ولومهم بناء على دعاية قريش المغرضة ضدهم والله أعلم (1)

إن المتأمل في أحداث وتفاصيل حركة السريا والغزوات التي سبقت موقعة بدر الكبرى يجد أن أفرادها كلهم كانوا من المهاجرين ليس فيهم واحد من الأنصار يقول ابن سعد/ (2): (والمجتمع عليه أنهم كانوا جميعاً من المهاجرين) ولم يبعث رسول الله ص أحداً من الأنصار مبعثاً حتى غزا بهم بدراً . وهذا كان أمراً مدروساً له أهدافه منها، إحياء قضية المهاجرين في أنفسهم أولاً وإحيائها على المستوى الخارجي، وإنهاك الاقتصاد القرشي ومحاصرته واستعادة بعض الحقوق المسلوبة، وإضعاف قريش عسكرياً، وتدريب الصحابةعلى إتقان فنون القتال، رصد تحركات قريش، إرهاب العدو الداخلي في المدينة وما حولها، اختبار قوة العدو،

1) بريك بن محمد بريك أبو مايلة العمري ، السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة ، ص 106
2) الطبقات الكبرى ، 6/2.

وقد استطاعت تلك السرايا والغزوات أن تلفت أنظار قريش ومن تحالف معها إلى قوة المسلمين وقدرتهم على ضرب أية حركة مناوئة سواء في الداخل أو الخارج حتى لا يحدث أحد نفسه بمهاجمة الدولة الإسلاميةالتي لا يتوقف جيشها ليل نهار،

مما أرهب الأفاعي اليهودية، والقبائل الوثنية المحيطة بالمدينة وجعل الجميع يعمل ألف حساب قبل أن تحدثه نفسه بغزو المدينة، أو مناصرة أحد من الأعداء عليها(1).

كما أن القراءة في أحداث وتفاصيل حركة السرايا تظهر الزيادة المضطردة في أعداد وقوة المشاركين في تلك الغزوات والسرايا من المهاجرين، ومجيئها متتابعة علي فترات زمنية قصيرة ، فلا تكاد السرية أو الغزوة تعود حتى تكون التي بعدها قد خرجت لتحقيق نفس الهدف وهو ضرب مصالح قريش الاقتصادية، وقطع طرق تجارتها،

وخصوصاً إلى بلاد الشام مما أقلق مضجع قريش وكلفها زيادة عدد حراس قوافلها، وارتفاع قيمة بضائعها، عدا الرعب والخوف الذي شعر به رجال القوافل القرشية، وأصحاب الأموال في مكة على حد سواء(2).

1) بريك بن محمد بريك أبو مايلة العمري ، السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة ، ص 75
2) د. كامل سلامة، دولة الرسول من التكوين إلى التمكين، ص532

ولما وادع الحبيب محمدصعدد من القبائل الواقعة علي تخوم المدينة مثل قبيلة جهينة فإن ذلك أدي إلي تحييد تلك القبائل في الصراع الدائر بين مكة والمدينة والعمل على كسبها في هذا الصراع ، ولهذا الأمر أهميته الكبرى إذ أن تلك القبائل كانت ترتبط مع قريش بأواصر وعلاقات تجارية وتتعاون معها، وعقدت بينهما مُحَالفَات تاريخية سمّاها القرآن الكريم بالإيلاف (في سورة قريش)سعت قريش من خلالها لتأمين تجارتها مع الشام واليمن).

وبمقتضي هذه المعاهدات ، أمنت الدولة الإسلامية في المدينة من خطر تلك القبائل أولاً ، و ثانيا أصبحت خطراً علي قوافل قريش التجارية مما زاد العبء عليها فأصبحت تلك القبائل تشكل خطراً على تجارة قريش (1).كما شعر الأعراب الضاربينحول المدينة بقوة المسلمين ، فلم تعد لهم الجرأة في مهاجمة القوافل التجارية ولا الأموال لأهل المدينة ، وتلاشت قوتهم وقدرتهم علي فرض الإتاوات علي القوافل المارة بهم ، وبالرغم من أن كرز الفهري قد أغار علي قافلة للمسلمين

---

1) د. أكرم ضياء العمري، المجتمع المدني، ص27، مؤنس ، دراسات في السيرة، ص19

إلا أنه وجد رسول الله ص يطارده ويجد في طلبه ، وأصبح ذلك درسا قاسيا لكل من تسول له نفسه في مهاجمة المدينة بعد هذه المطاردة (1).

كما أن السرايا والغزوات التي وقعت قبل موقعة بدر، لم يجر في احد منها سلب الأموال وقتل الرجال إلا بعد ما ارتكبه المشركون في قيادة كرز بن جابر الفهري، فالبداية إنما هي من المشركين مع ما كانوا قد أتوه قبل ذلك من الأفاعيل .

وبعد وقوع ما وقع في سرية عبد الله بن جحش تحقق خوف المشركين وتجسد أمامهم الخطر الحقيقي، ووقعوا فيما كانوا يخشون الوقوع فيه، وعلموا أن المدينة في غاية من التيقظ والتربص، تترقب كل حركة من حركاتهم التجارية وأن المسلمين يستطيعون أن يزحفوا إلى ثلاثمائة ميل تقريباً، ثم يقتلوا ويأسروا رجالهم، ويأخذوا أموالهم، ويرجعوا سالمين غانمين، وشعر هؤلاء المشركون بأن تجارتهم إلى الشام أمام خطر دائم، لكنهم بدل أن يفيقوا عن غيهم، ويأخذوا طريق الصلاح والموادعة - كما فعلت جهينة وبنو ضمرة ازدادوا حقداً وغيظًا، وصمم صناديدهم وكبراؤهم على ما كانوا يوعدون ويهددون به من قبل : من إبادة المسلمين في عقر دارهم، وهذا هو الطيش الذي جاء بهم إلى بدر (2).

1) د. عبد الرحمن الشجاع، دراسات في عهد النبوة، ص131.
2) الرحيق المختوم ، ص 198

كان هذا النشاط المتدفق من السرايا والبعوث على شكل موجات متعاقبة من جند الإسلام الأوائل دلالة قاطعة على أن دولة الإسلام في المدينة وبقيادة النبي القائد ق كانت مثل خلية النحل لا تهدأ ولا تكل، عمل دءوب متواصل لتبليغ دعوة الحق إلى الناس جميعًا، وهؤلاء الرجال الأفذاذ جنود الحق الذين لا تأخذهم فيه لومة لائم، والذين كانوا يتسابقون في الخروج تطوعًا وعن طيب خاطر، جنودًا بواسل في هذه السرايا والبعوث غير آبهين بالمشاق والمصاعب والمخاطر، بل كانوا يتحرّقون لملاقاتها وقهره ا طمعًا في الأجر وإعلاء لكلمة الله عزّ وجلَّ.كما أن هذه السرايا كانت بمثابة تمرينات عسكرية تعبوية، ومناورات حية لجند الإسلام، استعدادًا للغزوات الكبرى التي كانوا يخوضون غمارها مع قائدهم الأعلى المصطفى ق من حين لآخر.إننا نرى وبوضوح كامل كيف كان معظم الصحابة رضوان الله عليهم مشاركين ضمن هذه السرايا والبعوث قوادًا تارة، وجنودًا عاديين أخرى، فكان ذلك من الخطط (والاستراتيجيات) بعيدة المدى التي كان يعدَّها النبي ص لتثبيت دعائم الدولة الإسلامية، وإعدادًا منظمًا ودقيقًا لجيوش الفتوحات الإسلامية التي ما فتىء عليه الصلاة والسلام يبشر بها أصحابه بين الفينة والأخرى في أوقات السلم والحرب والخوف والأمن.

إنه بنظرة فاحصة في قوّاد وجنود تلك السرايا والبعوث تطالعنا أسماء لمعت كثيراً في تاريخ الفتح الإسلامي فيما بعد. مثل قائد فتوحات الشام، أمين الأمة، أبي عبيدة بن الجراح، وسعد بن أبي وقاص بطل القادسية وفاتح المدائن والذين كانوا علي إثرهم أمثال سيف الله المسلول أسد العرب خالد بن الوليد وأرطبون العرب فاتح مصر عمرو بن العاص، وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين.إذا كانت تلك السرايا بمثابة تدريب عملي حي نابض، بل يمكن اعتبارها بلا مبالغة دورات أركان للقادة الذين فتحوا مشارق الأرض ومغاربها فيما بعد.إن هذا الكم الوافر من السرايا والبعوث، والطرق التي كانت تتمّ بها تنقلاتها المسيرية نحو أهدافها، يدل على أن الجندي المسلم في ذلك الوقت كان يتمتع بلياقة بدنية هائلة مع خفة حركة تشحذها روح إيمانية لتضيف إليها العزم والتصميم اللذين يمثلان الروح المعنوية اللازمة، والتي كانت أحد الأسباب الرئيسية للانتصارات المتوالية التي كان يحققها جند الإسلام في كل معركة، ولا شكَّ أن تلك اللياقة القوية لم تأت من فراغ، أو أنها كانت محض صدفة، فالمتتبع للحياة اليومية التي كان يعيشها جند الإسلام الأوائل، يستطيع أن يعرف لماذا كانوا يتمتعون بتلك اللياقة العالية على الرغم من أنهم لم يكونوا جنودًا نظاميين يخضعون بتدريبات عنيفة، وينتظمون في معسكرات إلزامية في مؤسسات عسكرية نظامية كما هو الحال في عالمنا المعاصر.

ولكن بالنظر في حياتهم وتحركاتهم خلال الأربع والعشرين ساعة اليومية يرى أنها كانت عبارة عن تدريب مستمر، فالبرنامج اليومي المنتظم يبدأ مبكرَامع صلاة الفجر تؤدى جماعة مع قائدهم الأعلى رسول الله ص الذي كان دائمًا ما يحثهم على أداء هذه الصلاة جماعة وفي وقتها موضحًا لهم ولأمته أنها المفتاح العجيب ليوم مليء بالنشاط والحيوية "يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ فذكر الله انحلَّت عقدة، فإن توضأ انحلَّت عقدة، فإن صلَّى انحلَّت عقده كلها فأصبح نشيطًا طيَب النفس، وإلاَّ أصبح خبيث النفس كسلان"(1) .ثم ينطلق كل منهم إلى عمله الذي تتخلله فترات الصلوات الباقيةحتى إذا ما صلَّوا الصلاة الآخرة (صلاة العشاء) ناموا تطبيقًا لأمر القائد الأعلى،حتى إذا ما أخذوا قسطًا وافرًا من النوم أوّل الليل إلى الثلث الأخير منه، قام معظمهم لأ داء صلاة التهجد التي تملأ قلوبهم روحانية وتكسبهم مزيدًا من النشاط لأدائها في وقت يكون الجسم فيه مرتاحًا. فبالإضافة إلى أن حركات الصلاة حركات تدريبية رياضية لكل أعضاء الجسم، فإن في الروحانية المتمثلة في اتصال العبد مع خالقه عزّ وجلَّ في خشوع وطمأنينة، رياضة إضافية للنفس تملؤها إيمانًا ويقينًا،

1) أخرجه مسلم، انظر الألباني، مختصر صحيح مسلم ، 106

هذا بالإضافة إلى الاستعداد الدائم واليقظة التامّة امتثالاً لقوله تعالى وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ [سورة الأنفال: الآية 60].

فكانوا دائمًا يقومون بنشاطات تدريبية مركَّزة تتمثَّل في ركوب الخيل، والسبق، والرماية، وكان النبي ص يحثُّهم على فعل ذلك، بل ويشاركهم فيه، معطيًا من نفسه القدوة، فكان يبزّ الشباب من الصحابة قوة ومهارة ونشاطًا وحيوية، فعن سلمة بن الأكوع ت: "أنّ رسول الله ص مرّ على ناس يتنضَّلون(1)، فقال: حسن هذا اللهم - مرتين أو ثلاثًا - ارموا وأنا مع ابن الأدرع، فأمسك القوم بأيديهم، فقالوا: لا والله لا نرمي معه وأنت معه يا رسول الله إذًا ينضلنا. فقال: ارموا وأنا معكم جميعًا، فقال: لقد رموا عامة يومهم ذلك ثمّ تفرقوا على السواء ما نضل بعضهم بعضًا"(2).

وكان ق يركِّز على تعلم الرماية كثيرًا موضِّحًا أنها خير ما يعدّ من قوة استعدادية للكفار،

1) التناضل ،الترامي للسبق.
2) أخرجه أحمد، والحاكم واللفظ له، وقال: صحيح. ووافقه الذهبي.
انظر البنا، الفتح الرباني (128/13)، والحاكم، المستدرك (103/2-104).

عن عقبة بن عامر ت قال: "سمعت رسول الله ص يقول وهو على المنبر وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ [سورة الأنفال: الآية 60]ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي" (1) .بل وكان عليه الصلاة والسلام يشجعهم على الصناعة الحربية المتمثلةفي ذلك الوقت بصناعة الأسهم، وأن الأجر الذي غايته الجنة ينسحب على صاحبها والمتنبل بها، فيروي لنا عقبة، عن رسول الله ص قوله: "إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة، صانعه الذي احتسب في صنعته الخير، ومتنبله، والرامي ارموا واركبوا، وأن ترم وا أحب إليّ من أن تركبوا، وليس من اللهو إلاَّ ثلاثة: تأديب الرجل فرسه، وملاعبته زوجته، ورميه بنبله عن قوسه، ومن عُلِّم الرمي ثم تركه فهي نعمة كفرها" (2).

1) أخرجه مسلم. انظر صحيح مسلم بشرح النووي (64/13).
2) أخرجه أحمد، والحاكم وقال: صـــحيح. ووافقه الذهبي. انظر البنا، الفتح (129/13)، والحاكم، المســـتدرك (104/2).

فما أروعه من عصر تمسك فيه الصحابة بالتعاليم القرآنية الربانية، وعضّوا عليها بالنواجذ، وقاموا بتطبيقاتها حرفيّاً في شتى شئون حياتهم، فعزوا واستعلوا على أمم الأرض، شرقًا وغربًا، رغم قلتهم وبساطتهم. وحين ابتعد المسلمون عن تلك التعاليم وألقوا بها وراء ظهورهم ركبهم الذُلُّ والصغار، وتداعت عليهم الأمممن أقطارها بعد أن أصبحوا غثاءَ كغثاء السيل.إن المهمات والأهداف التي أوكلت للسرايا والبعوث النبوية، كانت تتفاوت تبعًا لاختلاف الظروف المحيطة والحادثة، فكانت السرايا الأولى في معظمها عبارة عن دوريات استطلاعية واستكشافية وجسَ نبض، ثمّ تطوّرت إلى سرايا اعتراضية توقع الرعب والفزع في القوافل القرشية، وذلك قبل غزوة بدر الفاصلة، وعندما قويت شوكة المسلمين بعدها، أصبحت مهمّة بعض السرايا والبعوث تنصب في تصفية الأفراد من أعداء الدولة الإسلامية المندسين في صفوفها مثل كعب بن الأشرف، والعصماء بنت مروان، وأبي عفك، فكان في قتل كعب ردعًا لليهود، وقتل العصماء وأبي عفك ردعًا للمشركين والمنافقين في المدينة. وعندما انقلبت الأمور (الإستراتيجية) لغير صالح المسلمين بعد أحد، وعندما طمع الأعراب في خيرات المدينة، واستهانوا بالمسلمين لدرجة أنهم غدروا ببعض البعوث التعليمية كما في الرجيع وبئر معونة، غيّر تبعًا لذلك رسول الله ص (إستراتيجيته) العسكرية،

فانتقل بالسرايا من قريش إلى الأعراب لتأديبهم وردعهم، ولكن بطريقة صارمة وسريعة ومباغته.وكان أهم ما يميّز تلك السرايا هو الهجوم التعرضي، وذلك بأن يتم فيها مهاجمة الأعراب قبل تحشُّدهم وجمع أمرهم بالهجوم على المسلمين.

وهكذا ظلت السرايا والبعوث النبوية تؤدي دورها وتقوم بمهامها الخاصة لخدمة أهداف النبي ص القريبة والبعيدة المدى، فمن دوريات قتالية، إلى سرايا تعقبية، وأخرى تمويهية، حتى إذا ما توطَّد الأمر للمسلمين بعد فتح مكة، اهتمالنبي ص بإزالة كل ما يمتُّ للوثنية بصلة، فبعث السرايا والبعوث من مكة لتحطيم بقية رموز الشرك والوثنية، فانطلقت السرايا لتحطيم العزى، ومناة، واللات وسواع، وذا الخلصة، وغيرها من الأصنام والطواغيت الوثنية.ثم انطلقت السرايا الدعوية إلى كافة أرجاء الجزيرة العربية، تدعو إلى عبادة الله وحده وتزيل من طريق الدعوة كل العراقيل والقوى التي تقف في وجه الدعوة الإسلامية وهي خاضعة للضبط العسكري النبوي، منفذة لكل الأوامر النبوية العليا والتي يمكن اعتبارها قمة أهداف وممارسات الحرب الفروسية المشرفة التي لم يشهد لها العالم مثيلاً من قبل ولا من بعد، والتي هي أحد دعائم الدعوة الإسلامية، بل أحد أهمِّ الأسباب التي دعت معظم سكان المناطق التي كانت تمرّ بها هذه السرايا النبوية، ثمّ الجيوش الراشدية الفاتحة بعد ذلك إلى الدخول طواعية وبحب غامر ورغبة ملحة في الإسلام.

لقد أدهشت النتائج السريعة الإيجابية لحركة الفتوح الإسلامية جميع المحللين على اختلاف مشار بهم ودياناتهم، ولكن المحلِّل المنصف المتجرد ستزول دهشته حتمًا عندما يقرأ تلك التعاليم والوصايا النبوية لقوّاد وجنود السرايا

والبعوث والتي هي نواة حركة الفتوح الإسلامية، وأصبح الذين شاركوا بالأمس في السرايا والبعوث مشاركين اليوم على رأس تلك الجيوش الفاتحة مقتدين نفس النهج، سائرين على نفس الطريق الذي رسمه لهم قائد الأمة المصطفى ق حتى تلك الأوامر والتعاليم النبوية صارت تتكرر على ألسنة الخلفاء وقادة جيوش الفتوح فيما بعد.

والآن ما هي تلك الوصايا؟ عن بريدة ت قال: " كان رسول الله ص إذا أمّر أميراَ على جيشأو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراَ ثم قال: اغزوا باسم الله في سبيل لله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغُلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدًا، وإذا لقيت عدوّك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال، أو خلال فأيتهن ما أجابوك، فاقبل منهم وكفَّ عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم وكفَّ عنهم ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما للمهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين

ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلاَّ أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فسلهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكفَّ عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم. وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه فلا تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك؛ فإنكم إن تخفروا ذممكم وذمم أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك، فإنك لا تدري أتصيب حكم اللهفيهم أم لا" (1).

وعن أنس تقال: (كان رسول الله ص إذا بعث جيشًا قال: "انطلقوا باسم الله، لا تقتلوا شيخًا فانيَا، ولا طفلاً صغيراً، ولا امرأة، ولا تغلُّوا وضموا غنائمكم، وأصلحوا، وأحسنوا، إن الله يحب المحسنين" (2).وعن أبي موسى ت قال: "كان رسول الله ص إذا بعث أحدًامن أصحابه في بعض أمره قال: بشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا" (3).

وعن ابن عمر ر ت قال: "كان رسول الله ص إذا بعث جيشًا أو سرية يقول: إذا رأيتم مسجدًا أو سمعتم مؤذنًا فلا تقتلوا أحدًا" (4).

1) رواه مسلم، الصحيح (4/8-9).
2) رواه أبو داود. انظر شمس الحق العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود (274/7).
3) رواه مسلم، الصحيح (9/4).
4) رواه الترمذي انظر المباركفوري، تحفة الأحوذي (155/5) وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

وعن ابن عباس ب قال: "كان رسول الله ص إذا بعث جيوشه قال: اخرجوا باسم الله تقاتلون في سبيل الله من كفر، لا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تمثلوا ولا تقتلوا الولدان، ولا أصحاب الصوامع" (1)وعن عبد الرحمن بن عائذ /قال: "كان رسول الله ص إذا بعث جيشًا قال: تألفوا الناس وتأتوهم ولا تغيروا عليهم حتى تدعوهم إلى الإسلام؛ فماعلى الأرض من أهل بيت مدر ولا وبر إلاَّ تأتوني بهم مسلمين أحبّ إليّ من أن تقتلوا رجالهم وتأتوني بنسائهم" (2).وقد كان المصطفى ق يتمنى ألا يتخلف عن أي سرية أو بعث يبعثه للجهاد في سبيل الله تعالى، وإعزاز دينه، ولكنه كان يفعل ذلك اضطرارًا لدرء المشقة عن المسلمين ، وها هو يعتذر عن ذلك، موضحًا حكمة بعوثه وسراياه فيقول: "والذي نفسي بيده، لولا أن أشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبدًا، ولكن لا أجد سعة فأحملهم، ولا يجدون سعة فيتبعوني، ويشق أن يقعدوا بعدي، والذي نفسي بيده لوددت أني أغزو في سبيل الله فأقتل، ثُم أحيا ثم أقتل، ثم أحيا ثم أقتل" (3).فيا لروعة هذا الاعتذار وسُموِّه، والذي يوضح بطريق غير مباشر، المنزلة العظيمة للشهيد عند الله عزّ وجلَّ لدرجة أن المصطفى ق يتمنى أن يقتل شهيدًا في سبيل الله عدة مرات(4).

1) رواه أحمد. انظر البنا، الفتح الرباني (52/14).
2) انظر الشامي، سبل (17/6).
3) رراه البخاري: الصحيح (203/3).
4) بريك بن محمد بريك أبو مايلة العمري ، السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة ، ص 61-68.

تحويل القبلة :

اقتضت حكمة الله تعالى أن تكون الكعبة قبلة للمسلمين بعد أن حازوا شرف التوجه إلى بيت المقدس؛ ليكونوا من أهل القبلتين، وليتميزوا عن المشركين قبل الهجرة وعن اليهود بعدها، فتطلع الرسول ص وهو بالمدينة بعد الهجرة واشتد شوقًا إلى نزول الوحي عليه بالتوجه إلى بيت الله الحرام. وقد كان يتوقع ذلكمن ربه لأن الكعبة أقدم القبلتين، ولأنها قبلة إبراهيم ÷ ، ومفخرة العرب حيث كانت مثابة للناس وأمنًا ومزارًا ومطافًا، وذلك أدعى إلى دخول العرب في الإسلام، فنزل قول الله تعالى:

قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ [سورة البقرة: الآية 144]، ولا يعد تطلّعهق إلى تحويل القبلة متعارضا مع أمر ربّه لأن صفاء روحه وقوة يقينه يجعله يتطلع إلى ما يظنه خيرا، ويعتقد أن فيه الرّضا والخير (1).

1) السمهودي ، وفاء الوفاء ، 321/1، العمري ،السيرة النبوية الصحيحة ، 257/1 -258

ولما تمّ تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة بأمر الله تعالى وذلك بعد ستة عشر شهراً من هجرته ق إلى المدينة، بقي حائط القبلة الأولى في مؤخر المسجد النبوي ، فأمر النبي ص به فظلل أو سقف وأطلق عليه اسم الصفة أو الظلة، ولم يكن له ما يستر جوانبها(1).كانت معاناة رسول الله ص والمسلمين من اليهود شديدة وأليمة، فالقرآن الكريم تحدث عن بعضها، وكتب السنة والسير والتاريخ حافلة بالأحداث الجسيمة مع اليهود، ولقد قامت الحجج القاطعة والبراهين الساطعة لليهود على صدق رسالة الرسول ق ، ولكن ذلك لم يزدهم إلا عناداً وعداوة واستكباراً وحقداً وحسداً على الرسول والذين آمنوا معه،وقد شن اليهود على رسول الله ص والذين آمنوا معه حملات متواصلة لتشويه صورة الرسول ص وتنفير الناس منه، ونزع الثقة فيه منهم، لقد شعر اليهود بخطورة هذا الدين على مصالحهم، وعلى عقيدتهم المنحرفة المزيفة، القائمة على الاستعلاء واحتقار الناس عدا الجنس اليهودي، لقد جاء ينادي بعقيدة التوحيد، وهم يقولون: عزيز ابن الله، وجاء ينادي بالمساواة بين أفراد الجنس البشري، وأنه لا يعلو شعب على شعب ولا جماعة على جماعة،

---

1) السمهودي ، وفاء الوفاء ، 321/1، العمري ،السيرة النبوية الصحيحة ، 257/1 -258

وهم يرون أنهم شعب الله المختار، يترفعون عن بقية الأجناس، وينظرون إليهم على أنهم دونهم، وأقل منهم ،

ولذلك لم يلتزموا ببنود الوثيقة، وشرعوا في التشكيك في نبوة الرسول ص ورسالته، وأكثروا من الأسئلة لإحراج رسول الله ص وخدعوا المؤمنين ودلسوا عليهم ، وكان اليهود يتحينون الفرص للنيل من المسلمين والبحث عما يفرق كلمتهم،وغير ذلك من الأعمال الخبيثة (1).

واستغل اليهود حادثة تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة في إشعال الحرب الكلامية وحرب المناوشات لزعزعة الدولة الإسلامية الناشئة ، فعن البراء بن عازب تقال: إن النبي ص كان أول ما قدم المدينة نزل على أجدادأو قال: أخواله، من الأنصار وأنه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهرا، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت، وأنه صلي أول صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن صلى معه فمر على أهل مسجد وهم راكعون فقال: أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله ص قبل مكة، فداروا كما هم قبل البيت، وكانت اليهود قد أعجبهم إذ كان يصلي قِبَل بيت المقدس وأهل الكتاب، فلما ولى وجهه قبل البيت أنكروا ذلك(2)

1) محمد أبو فارس ، الصراع مع اليهود ، 31/1

2) البخاري، كتاب الإيمان، باب الصلاة رقم 40.

قال تعالى: ۞ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (142) وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (143) [سورة البقرة: الآية 142،143]

فقد أخبر الله ـ بما سيقوله اليهود عند تحول القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة من إثارة الشكوك والتساؤلات قبل وقوع الأمر، ولهذا دلالته فهو يدلعلى نبوة محمد ص إذ هو أمر غيبي، فأخبر عنه قبل وقوعه ثم وقع، فدل ذلكعلى أن محمداً ق رسول ونبي يخبره الوحي بما سيقع، إذ من الأدلة على صدق رسالة الرسول أن يخبر بأمور غيبية ثم تقع بعد ذلك.وقد وصف الله تعالى اليهود بالسفه لاعتراضهم على تحويل القبلة وللكيد ضد رسول الله ص قال أبو السعود: «والسفهاء الذين خفت أحلامهم، واستمهنوها بالتقليد والإعراض عن التدبر والنظر وقولهم: ثوب سفيه إذا كان خفيف النسيج،

وقيل: السفيه البهات الكذاب المتعمد خلاف ما يعلم، وقيل: الظلوم الجهول، والسفهاء هم اليهود»(1). والتحول من بيت المقدس إلى الكعبة كان أيضاً اختباراً وامتحاناً، قال تعالي :وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (143) [سورة البقرة: الآية 143] قال البيضاوي في تفسيره: { إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلبعلى عقبيه } إلا لنمتحن به الناس، ونعلم من يتبعك في الصلاة إليها ممن يرتدعن دينك إلفاً لقبلة آبائه، أو لنعلم من يتبع الرسول ممن لا يتبعه، وما كان لعارض، يزول بزواله، وعلى الأول معناه ماردناك إلى التي كنت عليها إلاّ لنعلم الثابت على الإسلام ممن ينكص على عقبيه لقلقلة وضعف إيمانه(2).

فالصلاة إلى الكعبة في بداية الأمر، ثم الصلاة إلى بيت المقدس، ثم العودةإلى الكعبة واستمرار ذلك لاشيء فيه، مادام الباري سبحانه أمر بذلك، ومن ثم فالتوجه في كل حالة هو عبادة، وما على الناس

1) تفسير أبي السعود ، 171/1

2) تفسير البيضاوي ، 415/1

إلا أن ينقادوا لأمر الله تبارك وتعالى، ويلتزموا بأمره فالذي يتبع الرسول وينقاد لأوامره في القبلة يعد فائزاًفي الاختبار والامتحان والذي يجد في نفسه على حكم من الأحكام الشرعية كان ساقطاً وهالكاً، والإيمان الحق هو الذي يلزم صاحبه بالاتباع ومخالفة الهوى ولهذا ثبت الصحابة الكرام واستجابوا لأوامر الله تعالى، فعن ابن عمر ت قال: بينا الناس يصلون الصبح في مسجد قباء، إذ جاء رجل فقال: قد أنزل علىالنبيق قرآن، وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها، فتوجهوا إلى الكعبة(1).إن لحادثة تـحويل القبلة أبعاداً كثيرة: منها السياسي، ومنها العسكري ومنها الديني البحت، ومنها التاريخي. فبعدها السياسي أنها جعلت الجزيرة العربية محور الأحداث، وبعدها التاريخي أنها ربطت هذا العالم بالإرث العربي لإبراهيم ÷ ، وبعدها العسكري أنها مهدت لفتح مكة وإنهاء الوضع الشاذفي المسجد الحرام حيث أصبح مركز التوحيد مركزاً لعبادة الأصنام، وبعدها الديني أنّها ربطت القلب بالحنيفية وميزت الأمة الإسلامية عن غيرها، والعبادةفي الإسلام عن العبادة في بقية الأديان(2).

1) تفسير ابن كثير ، 337/1
2) سعيد حوى ، الأساس في السنّة ، 440/1

فريضة الصيام:

وفي شعبان من السنة الثانية من الهجرة النبوية المباركة نزل قوله تعالى :
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ [سورة البقرة: الآية 183]. ؛ففرض صوم رمضان .

ومنْ حِكَمِ الصيام أنَّه عبادةٌ لله تعالى يَتَقَرَّبُ العبدُ فيها إلى ربِّه بتْرْكِ محبوباتِه ومُشْتَهَياتِه منْ طعام وشرابٍ ونِكاح، فيظْهرُ بذلك صدقُ إيْمانِه وكمالُ عبوديتِه لله وقوةُ مَحَبّتِه له ورجائِه ما عنده. فإنَّ الإنسانَ لا يتركُ محبوباً له إلاَّ لمَا هو أعْظَمُ عنده مِنه. ولما عَلِمَ المؤمنُ أن رضَا الله في الصِّيام بترك شهواته المجبول على محبّتِها قدَّمَ رضَا مولاه على هواه فَتَرَكها أشدَّ ما يكونُ شوقاً إليها لأنَّ لذتَه وراحةَ نفْسِهِ في تْركِ ذلك لله عزَّ وَجلَّ، ولذلك كان كثيرٌ من المؤمنين لو ضُربَ أو حُبسَ على أن يُفْطر يوماً من رمضانَ بدونِ عُذْرٍ لم يُفطِرْ. وهذه الحكمةُ من أبلغ حِكمِ الصيامِ وأعظمِها.
والغاية الأولى من فرض لصيام هي إعداد القلوب للتقوى والشفافية والحساسية والخشية من الله تعالى، كما قال سبحانه وتعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ [سورة البقرة: الآية 183].

هكذا تبرز الغاية الكبيرة من الصوم.. إنها التقوى.. فالتقوى هي التي تستيقظ في القلوب وهي تؤدي هذه الفريضة، طاعة لله، وإيثاراً لرضاه، والتقوى هي التي تحرس هذه القلوب من إفساد الصوم بالمعصية،

ولو تلك التي تهجس في البال والخاطبون بهذا القرآن يعلمون مقام التقوى عند الله، ووزنها في ميزانه، فهي غاية تتطلع إليها أرواحهم، وهذا الصوم أداة من أدواتها، وطريق موصل إليهاومن ثم يرفعها السياق أمام عيونهم هدفاً وضيئاً يتجهون إليه عن طريق الصيام (لعلكم تتقون) ثم يثني بتقرير أن الصوم أيام معدودات، فليس فريضة العمر وتكليف الدهر، ومع هذا فقد أعفى من أدائه المرضى حتى يصِحوا، والمسافرونحتى يقيموا تخفيفاً وتيسيراً.فالدين لا يقود الناس بالسلاسل إلى الطاعات، إنما يقودهم بالتقوى وغاية هذه العبادة خاصة هي التقوى.والذي يفلت من أداء الفريضة تحت ستار الرخصة لا خير فيه منذ البدء لأن الغاية الأولى من أداء الفريضة لا تتحقق.وهذا الدين دين الله لا دين الناس، والله أعلم بتكامل هذا الدين، بين مواضع الترخص ومواضع التشدد، وقد يكون وراء الرخصة في موضع من المصلحة ما لا يتحقق بدونها، بل لابد أن يكون الأمر كذلك، ومن ثم أمر رسول الله صأن يأخذ المسلمون برخص الله التي رخص لهم.وإذا حدث أن فسد الناس في جيل من الأجيال، فإن صلاحهم لا يتأتى من طريق التشدد في الأحكام،

ولكن يتأتى من طريق إصلاح تربيتهم وقلوبهم واستحياء شعور التقوى في أرواحهم وإذا صح التشدد في أحكام المعاملات عند فساد الناس كعلاج رادع، وسد للذرائع، فإن الأمر في الشعائر التعبدية يختلف، إذ هي حساب بين العبد والرب، والظاهر في العبادات لا يجدي ما لم يقم على تقوى القلوب، وإذا وجدت التقوى لم يتفلت متفلت، ولم يستخدم الرخصة إلى حيث يرتضيها قلبه، ويراها وهى الأولى .

وهكذا تبدو منة الله في هذا التكليف الذي يبدو شاقّاً على الأبدان والنفوس وتتجلى الغاية التربوية منه، والإعداد من ورائه للدور العظيم الذي أخرجت هذه الأمة لتؤديه أداء تحرسه التقوى ورقابة الله وحساسية الضمير" (1).

ومن حكَم الصيامِ أن القلب يتخلَّى للفِكْرِ والذِّكْرِ، لأنَّ تَناوُلَ الشهواتِ يستوجبُ الْغَفْلَةَ ورُبّما يُقَسِّى القلبَ ويُعْمى عن الحقِّ، ولذلك أرشَدَ النبيّ ق إلى التخفيفِ من الطَّعامِ والشراب، فقال ق: «مَا مَلأ ابنُ آدمَ وِعَاءً شراً من بطنٍ، بحَسْبِ ابن آدمَ لُقيْماتٌ يُقمن صُلْبَه، فإِن كان لا مَحالَةَ فَثُلثٌ لطعامِهِ وثلثٌ لشرابه وثلثٌ لنفسِهِ» رواه أحمد والنسائيّ وابن ماجة (2)

1) سيد قطب ، الظلال،172/1

2) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح وصححه أيضاً الحاكم.

ومنْ حِكَمِ الصيامِ أنَّ الغنيَّ يَعرفُ به قدْرَ نعمةِ الله عليه بالغِنَى حيثُ أنعمَ الله تعالى عليه بالطعامِ والشرابِ والنكاح وقد حُرِمَهَا كثيرٌ من الْخلْق فَيَحْمَد الله على هذه النِعمةِ ويشكُرُه على هذا التَّيسيرِ،

ويذكرُ بذلك أخَاه الفقيرَ الذي ربَّما يبيتُ طاوياً جائعاً فيجودُ عليه بالصَّدَقةِ يكْسُو بها عورتَهويسُدَّ بها جَوعتَه. ولذلك كانَ النبيّ ص أجْوَدَ الناسِ وكان أجْودَ ما يكونُ في رمضان حين يلقاه جبريلُ فيَدارِسُه القرآنَ.

ومن حِكَمِ الصيامِ التَّمرُّنُ على ضَبْطِ النَّفْسِ، والسَّيْطرةُ عليها، والْقوَّةُعلى الإمساكِ بزِمَامِهَا حتى يتمكنَ من التحكم فيها ويقودَها إلى ما فيه خيرُها وسعادتها، فإنَّ النَّفس أمّارةٌ بالسوء إلا ما رَحِمَ ربي، فإذا أطلقَ المرءُ لنَفْسِهِ عنَانها أوقعتْهُ في المهالك وإذا ملَكَ أمْرَها وسيْطر عليها تمكَّنَ من قيادتِها إلى أعلى المراتب وأسْنَى المَطَالب.

ومن حِكَمِ الصيام كسْرُ النفْس والحدُّ من كِبريائِها حتى تخضعَ للحق وتَلِيْنَ للخَلْق، فإنَّ الشَبعَ والرِّيَّ ومباشَرةَ النساءِ يَحمِلُ كلٌّ منها على الأشَرِ والْبَطرِ والعُلوِّ والتكبُّر على الخَلْقِ وعن الحقِّ. وذلك أنَّ النفسَ عند احتياجِها لهذه الأمورِ تشغلُ بتحصيلِها فإذا تَمكَّنتْ منها رأتْ أنَّها ظَفرتْ بمطلوبها فيحصلُ لها من الفَرحِ المذمومِ والبطرِ ما يكونُ سبباً لِهلاكها، والمَعْصومُ مَنْ عَصَمَه الله تعالى.

ومن حِكَمِ الصيامِ أنَّ مجارِيَ الدَّم تضيقُ بسببِ الجوع والعطشِ فتضيقُ مَجارِي الشيطانِ من الْبَدنِ فإنَّ الشيطانَ يَجْري مِن ابن آدَمَ مجْرَى الدم، كما ثبت ذلك في الصحيحين عن رسول الله ص، فتسْكُنُ بالصيامِ وَسَاوسُ الشيطانِ

وتنكسرُ سَورةُ الشهوةِ والغضبِ، ولذلك قال النبي ص: «يا مَعْشَر الشبابِمَن استطاع منكم الْبَاءةَ فلْيتزوجْ فإنَّه أغَضُّ للبَصر وأحْصَنُ لِلفَرْجِ، ومَن لم يستطعْ فعليه بالصومِ فإنه له وِجاء»(1).فجعل الصوم وجاء لشهوة النكاح وكسراً لحدتها.

زكاة الفطر:

وفي السنة الثانية من الهجرة المباركة وفي رمضان منها فرضت صدقةالفطرففي ' الصحيحين ' ، عن ابن عمر ب قال :فرض رسول الله صزكاة الفطر صاعا من تمر، أو صاعا من شعير، على كل حر أو عبد ، ذكر أو أنثى من المسلمين(2) . وقال عبد الله بن عباس ب (فرض رسول الله ص زكاة الفطر طهره للصائم من اللغو والرفث وطعمه للمساكين، من أدّاها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات) (3) .

1) متفق عليه
2) أخرجه البخاري 3 / 432 (1504) ومسلم 2 / 677 (984) وأبو داود 2 / 112 (1612) والترمذي 3 / 61 (676) والنسائي 5 / 34 وابن ماجه 1 / 584 (1829).
3) أبو داود، كتاب الزكاة، باب زكاة الفطر رقم 1609.

وقد جاءت هذه الزكاة في ختام شهر رمضان تطهيراً للصائم مما خالط صومه من ذلك من لغو أو رفث لأن النفوس مجبولة على الخطأ والتقصير والوقوعفي لغو القول الذي لا فائدة فيه، أو فيه ضرر، من الكلام الباطل ونحو ذلك، مما لا يسلم الإنسان منه غالباً. والهدف من فرضها هو إغناء المحتاج في يوم العيد الذي يعقب الفطرمن رمضان، فهذا يوم يسعد فيه المجتمع المسلم كله، فينبغي أن يعم هذا السرور على الجميع، فشرعت هذه الزكاة لكف هؤلاء عن ذلّ السؤال واستجداء الناسلذلك كانت خاصة بالفقراء والمساكين لا تعطى لغيرهم.

ولما حدد الحبيب محمد ص مقدارها فإنه لم يقدرها بشيء كثير يعجز كثير من الناس عنه، بل جعل الواجب شيئاً قليلاً، مما يسهل على الناس ولا يشق عليهم بل ومن من غالب قوت البلد، حتى يتمكن من أدائها كثير من المسلمين، فيحصل الغناء بذلك لهؤلاء المحتاجين.

صلاة العيد:

وفي هذا العام سنّ الله للعالم الإسلامي سنّة عظيمة، بها يتمكن أبناء البلد الواحد من المسلمين أن يجددوا عهود الإخاء، ويقووا عُروة الدين الوثقى، وهي الاجتماع في يومي عيد الفطر وعيد الأضحى. وكان عليه الصلاة والسلام يجمع المسلمين في صعيد واحد، ويصلي بهم ركعتين تضرعًا إلى الله أن لا يَفْصِم عروتهم وأن ينصرهم على عدوهم، ثم يخطبهم حاضًّا لهم على الائتلاف، ومذكرًا لهم ما يجب عليهم لأنفسهم، ثم يصافح المسلمون بعضهم بعضًا، حتى يكون السرور عامّا لجميع المسلمين، فبعد الصيام زكاته، وبعد الأضحى تضحيته.

وقد أَمَرَ النبيّ ص النساءَ أن يَخْرُجنَ إلى صلاةِ العيد، مع أنَّ البيوتَ خيرٌ لهن فيما عدَا هذه الصلاة. وهذا دليلٌ على تأكيدها، قالت أمّ عطيةَ ل: أَمَرَنَا رسول الله ص أن نُخرجهُن في الْفِطْرِ والأضحى؛ العَوَاتِقَ والحُيَّضَ وذواتِ الخُدورِ، فأمَّا الحيَّضُ فيعتزِلْنَ المُصَلَّى ويشهدنَ الخيرَ ودعوةَ المسلمين. قلتُ: يا رسولَ الله إحْدانَا لا يكونُ لها جِلبابٌ، قال: «لِتُلْبِسْها أختُها مِنْ جلبابِها(1)»(2).

1) الجلبابُ لباسٌ تلتحفُ فيه المرأة بمنزلةِ العباءةِ.

2) البخاري (139/1، 333) (344، 938)، مسلم (606/2) (890)، أبو داود (296/1) (1136)، النسائي (180/3)، الترمذي (419/2) (539)، ابن ماجه (414/1، 415) (1307، 1308)، أحمد (84/5).

فريضة الزكاة:

وفي السنة الثانية للهجرة شرع الله الزكاة التي هي ركن من أركان الإسلام وكان ذلك بعد شهر رمضان، لأن تشريع الزكاة العامة كان بعد زكاة الفطر، وزكاة الفطر كانت بعد فرض صيام رمضان قطعاً، يدل على هذا ما رواه الأئمة أحمد وابن خزيمة والنسائي وابن ماجة والحاكم من حديث قيس بن سعد بن عبادة قال:(أمرنا رسول الله ص بصدقة الفطر قبل أن تنزل الزكاة، ثم نزلت فريضة الزكاة، فلم يأمرنا ولم ينهنا ونحن نفعله) (1)

وجمهور العلماء سلفاً وخلفاً على أن مشروعية الزكاة إنما كانت بالمدينة في السنة الثانية(2).

فالزَّكاةُ أحدُ أركانِ الإِسْلامِ ومبانيه العِظَام وهي قرينةُ الصلاةِ في مواضِعَ كثيرةٍ من كتاب الله عزَّ وجلَّ، وقد أجْمعَ المسلمونَ على فرْضِيّتها إجماعاً قَطْعِيّاً. فمنْ أنْكَر وجوبَها مع عِلْمه به فهو كافرٌ خارجٌ عن الإِسْلامِ، ومن بخِلَ بها أو انْتَقصَ منها شيئاً فهو من الظَّالمينَ المتَعرضينَ للعقوبةِ والنَّكالِ.

1) أنظر : فتح الباري 3/266

2) أبو شهبة ، السيرة النبوية ،111/2

وجعل الله تعالى الزكاة أحد مباني الإسلام وأردف بذكرها الصلاة التيهي أعلى الأعلام

فقال تعالى : وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ [البقرة : 43] ،

وقال تعالي : وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ [البقرة : 83]،

وقال تعالي : وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ [البقرة :110] وقال تعالي : أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا [النساء : 77]،

وقال تعالي : وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ [النور : 56]،

وقال تعالي : ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ ۙ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ [المزمل : 20]

وقال ص : " بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيتمن استطاع إليه سبيلا "(1) .وشدد الوعيد على المقصرين فيها فقال :

۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۗ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ [سورة التوبة: الآية 34]

1) رواه البخاري في كتاب الزكاة برقم (1407 و 1408)، ومسلم في كتاب الزكاة برقم (992)واللفظ له.

ومعنى الإنفاق في سبيل الله إخراج الزكاة ، قال : " الأحنف بن قيس " : "كنت في نفر من قريش فمر " أبو ذر " فقال : " بشر الكانزين بكي في ظهورهم يخرج من جنوبهم ، وبكي في أقفائهم يخرج من جباههم " (1).

وللزكاة آثار كبيرة في حياة الفرد والمجتمع فالزكاة تطهير من صفة البخل فإنه من المهلكات ، قال تعالى:

وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [الحشر : 9 ،

فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ والتغابن : 16]

1) أخرجه البخاري (1 / 10) ومسلم (1 / 35) والنسائي (2 / 268) والترمذي (2 / 101) وأحمد (2 / 143) وقال الترمذي : " حديث حسن صحيح "

وإنما تزول صفة البخل بأن تتعود بذل المال فحب الشيء لا ينقطع إلا بقهر النفس على مفارقته حتى يصير اعتيادا ، والزكاة بهذا المعنى طهرة ، أي تطهر صاحبها عن خبث البخل المهلك ، وإنما طهارته بقدر بذله وبقدر فرحه بإخراجه واستبشاره بصرفه إلى الله تعالى . وهي تنمية للمال وزيادته ، قال تعالى:

قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۚ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ [سورة سبأ: الآية 39].

وقال تعالى: وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ [سورة إبراهيم: الآية 7].وقال تعالى: يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ [سورة البقرة: الآية 276]. وقالق: (ما نقص مال من صدقة) (1).وقالق:(مامن يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما : (اللهم أعط منفقاً خلفاً ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تَلَفاً) (2). وهكذا يتم تطهير نفس المسلم من آفة الشح والبخل، ويسارع إلى الإنفاق موقناً بفضل الله ووعده الذي لا يتخلف بالرزق الواسع(3).

1) مسلم، كتاب البر والصلة، باب استحباب العفو والتواضع رقم 2588.
2) البخاري، كتاب الزكاة، باب قوله تعالى {فأما من أعطى} (120/2).
3) منهج الاسلام في تزكية النفس ، 249/1

وبالزكاة حصل للمزكي الأمن في الدنيا والآخرة، قال تعالى: الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ [سورة البقرة: الآية 274]

فهم في أمن وسعادة وراحة بال، لأنهم أدوا ما أمرهم الله تعالى به، وانتهوا عما نهاهم الله عنه.ومن آثار الزكاة على المجتمع، حصول المحبة بين الأغنياء والفقراء وشيوع الأمن والطمأنينة في أوساطه، وشعور الأفراد في بينهم كالجسد الواحد قالق: مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى(1) والزكاة شكر النعمة ، فإن لله عز وجل على عبده نعمة في نفسه ومالهفالعبادات البدنية شكر لنعمة البدن ، والمالية شكر لنعمة المال ، وما أخسمن ينظر إلى الفقير وقد ضيق عليه الرزق وأحوج إليه ثم لا تسمح نفسه بأن يؤدي شكر الله تعالى على إغنائه عن السؤال وإحواج غيره إليه بربع العشر أو العشرمن ماله(2) .

1) مسلم، كتاب البر والصلة (1999/4) رقم 2586.

2) محمد جمال الدين بن محمد ســعيد بن قاســم الحلاق القاســمي ، موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين،تحقيق مأمون بن محيي الدين الجنان ، الناشر: دار الكتب العلمية، سنة النشر: 1415 هــ - 1995 م، ص 51

زواجه ص بعائشة ل:

تزوجها ص في شوال سنة إحدى عشرة من النبوة، بعد زواجه بسودة بسنة، وقبل الهجرة بسنتين وخمسة أشهر، تزوجها وهي بنت ست سنين، وبني بها في شوال بعد الهجرة بسبعة أشهر في المدينة، وهي بنت تسع سنين، وكانت بكراً ولم يتزوج بكراً غيرها، وكانت أحب الخلق إليه، وأفقه نساء الأمة، وأعلمهن على الإطلاق، فضلها على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام . توفيت في 17رمضان سنة 57هـ أو 58 هـ ودفنت بالبقيع(1).

عن عائشة لقالت:(لما توفيت خديجة لقالت خولة بنت حكيم ل : يا رسول الله ألا تتزوّج؟ قال: ومن؟ قالت: إن شئت بكرا وإن شئت ثيبا، قال: فمن البكر؟ قالت:ابنة أحب خلق الله إليك عائشة بنت أبي بكر. قال: فمن الثيب؟ قالت: سودة بنت زمعة. قال: فاذهبي فاذكريهما عليّ،فجاءت فدخلت بيت أبي بكر فوجدت أم رومان أم عائشة ب، فقالت: "يا أم رومان ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة! أرسلني رسول الله ص أخطب عليه عائشة، قالت: وددت، انتظري أبا بكر فإنه آت، فجاء أبو بكر

1) ابن هشام ، السيرة النبوية ، 644/2 ، الروض الأنف ، 425/4

فقالت: يا أبا بكر ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة! أرسلني رسول الله ص أخطب عليه عائشة، فقال: هل تصلح له؟ إنما هي بنت أخيه. فرجعت إلى رسول الله ص فذكرت ذلك له فقال: ارجعي إليه فقولي: أنت أخي في الإسلام وأنا أخوك، وابنتك تصلح لي، فأتت أبا بكر فقال: ادعي لي رسول الله ص فجاء فأنكحه.

وكل ما نعلمه عن عائشة يومذاك أنها بنت ست سنين أو سبع، وأنها كانت قد خطبت لمطعم بن عدي وأن أبا بكر وعده.. فلما طلبها رسول الله.. ذهب أبو بكر إلى المطعم ليكلمه بشأن هذه الخطبة فوجد عنده امرأته (أم جبير)، فبادرت أبا بكر وقالت: لعلنا إن أنكحنا هذا الفتى تصبيه (فيرتد عن دينه) وتدخله في دينك الذي أنت عليه، فاقبل أبو بكر على المطعم وقال له: ماذا تقول أنت؟ فقال: إنها لتقول ما تسمع. فخرج من عنده واعتبر هذا الكلام يحلّه من وعده السابق.. فدعا إليه النبي ص وزوجه عائشة(1).عندما يمعن الإنسان الحصيف النظر في سيرة السيدة عائشة أم المؤمنين يجد كيف أنها شهدت المواقع كلها..

1) علي بن برهان الدين الحلبي ، السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون ، 43/2 ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، 162/3، مصطفى الطحان ، أمهات المؤمنين في مدرسة النبوة ، ص 29

وكيف أعدّها القدر على عينه لتصبح في بيت أبيها الصديق أو بيت زوجها النبي..ص إحدى شاهدات العصر الإسلامي في مراحل قوته وضعفه، وفي مرحلة انبساطه وانكماشه، وفي مرحلة فتنه وعطائه..والحقيقة إذا نظرنا إلى الواقع الاجتماعي الذي كان يعيش فيه النبي في ذلك الوقت. فقد كانت طبيعة العرب أنهم يزوجون بناتهم في سن صغيرة جدا، بل إن عائشة نفسها كانت مخطوبة قبل النبي لمطعم بن عدي، ولكنه كان رجلا كافرا شديد الكراهية للإسلام، فقرر أبو بكر ألا يزوجه ابنته.

وعلي المستشرقين أن يضعوا هذه المسألة نصب أعينهم؟ وهي أن عائشة إن لم تكن قد تزوجت النبي في هذه السن الصغيرة، فقد كانت ستتزوج غيره. فهل إذا تزوجت عائشة بغير النبي، كان سيصبح ذلك أمرا مقبولا؟!والأمر الآخر الذي لم يلتفت إليه المستشرقون هو أن الفتاة (كما يخبرنا أهل العلم الحديث) في البلاد الحارة تبلغ مبلغ النساء قبل مثيلاتها في البلاد الباردة.وبيئة الجزيرة التي تنضج فيها الفتاة في وقت مبكر غير بيئة أوروبا التي عليها يقيسون، ولقد أدرك ذلك المستشرق (بودلي) بعدما زار الجزيرة العربية

فعادمن زيارته يقول: كانت عائشة على صغر سنها نامية ذلك النمو السريع الذي تنموه نساء العرب. ومثل هذا الزواج مازال عادة آسيوية، وشرق أوروبية وكذلك كان طبيعيا في إسبانيا والبرتغال حتى سنين قليلة (1).

ولو تعمقنا أكثر في تلك البيئة، لوجدنا أن مثل هذا الوضع، كان طبيعيا ومنتشرا ومألوفا. فقد عرض أبو بكر ابنته حفصة على عمر ليتزوجها وهي الشابة الصغيرة، بينما كان عمر شيخا عجوزا.والذي يجب أن يعرفه الناس عن هذه الزيجة، أنها كانت بوحي من السماء، ولم تكن باختيار النبي ص. فقد روي عن النبي ص أنه قال لعائشة ل : "أريتك في المنام ثلاث ليالِ. جاءني بك الملك في سرقة من حرير، فيقول: هذه امرأتك؛ فأكشف عن وجهك، فإذا أنت هي، فأقول: إن يك هذا من عند الله يمضه."(2) أي أن زواج النبي بعائشة، كان بوحي من الله عز وجل، وهذا ما تقتضيه ضروريات أمر النبوة. فلابد من وجود شخص ما، يحكي ما يحدث في بيت النبوة من مواقف النبي. فالناس يعلمون ما يحدث بين أيديهم، ولكن كيف بحياة النبي الخاصة؟

1) مصطفى الطحان ، أمهات المؤمنين في مدرسة النبوة ، ص 35

2) أخرجه أحمد 6 / 41 و128 و161، والبخاري 7 / 175، في مناقب الانصـــار: باب تزويج النبي ﷺ عائشـــة، و9 / 156 في النكاح: باب النظر إلى المرأة قبل التزويج، و12 / 353 في التعبير: باب كشـــف المرأة في المنام، وباب ثياب الحرير في المنام، ومسلم (2438) في فضائل الصحابة: باب فضل عائشة من طرق عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة.

فالله عز وجل أراد بزواج الرسول من السيدة عائشة وهي في هذه السن الصغيرة أن تتعلم منه أمور الدين لتنقلها إلى لأمة فيما بعد. وبالفعل، فقد عاشت عائشة لبعد النبي، اثنين وأربعين عاما تنشر العلم، وتروى الأحاديث، وتعلم.

ولقد كانت عائشة أكثر من روي عن النبي ص. والعجيب أن المغرضين يحاولون الآن النيل من النبي ص من خلال هذه الزيجة، ولو كان المجتمع الجاهلي رأى فيها عيبا أو نقيصة في حق النبي، لما توانى عن إظهارها، وهو المجتمع الذي عادى النبي ص واتهمه بكل ما ذهب إليه خياله، فقالوا عنه تارة إنه مجنون، وتارة كاهن، وتارة شاعر. لماذا لم يتهم هذا المجتمع النبي ص حين تزوج من عائشة؟وبعد فإنها حبيبة الحبيب ص! إنها المرأة التي ولدت في الإسلام، في بيت الصدق والتوحيد والإيمان، في بيت صديق هذه الأمة الأكبر أبي بكر ت وأرضاه! إنها الزهرة التي نشأت ونبتت في حقل الإسلام، وسقيت بماء الوحيعلى يد صديق الأمة ابتداءَ، ثم بعد ذلك على يدي رسول هذه الأمة ق.

غزوة بدر الكبرى :

كانت غزوة بدر الكبرى تطبيقًا عمليّا وضحت به مشروعية القتال في الإسلام وهي الدفاع عن النفس ورد الظلم والعدوان، كما كانت الغزوات التي جاءت بعدها في حياة الرسول ص دفاعًا عن النفس وردًّا للظلم وتأمينًا لطريق الدعوةحتى تقف في سبيلها الحواجز، وحتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله.

لم يكن المسلمون قد اشتبكوا مع قريش بشكل حاسم حتى تاريخ هذه الغزوة وذلك ما أتاح لقريش مواصلة إرسال قوافلها التي كانت تمثل شريان الحياة لاقتصادها، ويلاحظ أن قريشا استشعرت الخطر فأخذت تهيىء لقوافلها حراسات شديدة وكثيفة، وتنوع الطرق التي تسلكها. وكان المسلمون يرصدون تحرك القوافل القرشية وتتجمع لديهم الأخبار عن محتواها وبضاعتها وحراساتها والطرق التي تسلكها(1).

---

1) عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي ، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - ﷺ ، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة ، الطبعة الرابعة ، 286/1

وكانت البداية أنه بلغ المسلمين تحرك قافلة تجارية كبيرة من الشام وهي تحمل أموالا عظيمة (1)لقريش يقودها أبو سفيان ويقوم على حراستها بين ثلاثين وأربعين رجلا (2)، فأرسل الرسول ص بسبس بن عمرو (3) لاستطلاع أخبار القافلة، فلمّا عاد بسبس بخبرها ندب النبي ص أصحابه للخروج متعجلا بمن كانوا على استعداد دون أن ينتظر تهيؤ الآخرين ممن أبدى رغبة في الخروج حرصا منه على ألّا تفوتهم القافلة (4)، وكلّف عبد اللّه بن أم مكتوم بالصلاة بالناس في المدينة عند خروجه إلى بدر، ثم أعاد أبا لبابة من الروحاء إلى المدينة وعيّنه أميرا عليها(5).أرسل النبي ص اثنين من أصحابه وهما عدي بن الزغباء، وبسبس بنعمرو (6) إلى بدر طليعة للتعرف على أخبار القافلة، فرجعا إليه بخبرها (7)،

1) قدرت قيمة البضائع التي تحملها القافلة بخمسين ألف دينار، انظر: الواقدي- المغازي 1/ 200، البلاذري- أنساب الأشراف 1/ 312.
2) ابن حزم- جوامع السيرة ص 107.
3) ورد الإسم في صحيح مسلم بصيغة التأنيث مصحّفا إلى «بسيسة»، وصححه ابن حجر في الإصابة / 151.
4) مسلم- الصحيح (شرح النووي 12/ 84 حديث 1157).
5) الحاكم- المستدرك 3/ 632. ابن كثير، البداية والنهاية 3/ 260.
6) انظر ابن سعد- الطبقات 2/ 24.
7) ابن سعد- الطبقات 2/ 24 بإسناد صحيح.

وقد حصل خلاف بين المصادر الصحيحة حول عدد الصحابة الذين رافقوا النبي صفي غزوته هذه إلى بدر، ففي حين جعلهم البخاري «بضعة عشر وثلاثمائة» (1)يذكر مسلم بأنهم ثلاثمائة وتسعة عشر رجلا (2)، في حين ذكرت المصادر أسماء ثلاثمائة وأربعين من الصحابة البدريين (3).

غير أن علينا أن نتذكر بأن قوات المسلمين هذه التي صاحبت النبي صفي غزوته إلى بدر لا تمثل الطاقة العسكرية القصوى للحكومة النبوية، ذلك أنهم إنما خرجوا لاعتراض قافلة تجارية واحتوائها، يدل على ذلك قول النبي ص للمسلمين: «هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعلّ اللّه ينفلكموها» (4)، ولم يكونوا يعلمون أنهم سوف يواجهون قوات قريش وأحلافها مجتمعة للحرب والتي بلغ تعدادها ألفا (5)، معهم مائتا فرس يقودونها إلى جانب جمالهم، ومعهم القيان (6)

1) فتح الباري 7/ 290- 292.
2) مسلم- الصحيح (بشرح النووي 12/ 84) وتذكر الرواية وهي عن طريق الزبير بن العوام وقد شهد الموقعة بأن منهم مائة من المهاجرين والباقي من الأنصـــار، في حين ذكر البراء بن عازب أن المهاجرين كانوا يزيدون على الستين وأن الأنصار يزيدون على أربعين ومائتين (فتح الباري 7/ 290- 292، 324- 326).
3) مثلا: ابن كثير- البداية والنهاية 3/ 314، وكذلك كتب الطبقات لابن سعد وخليفة بن خياط العصفري.
4) ابن هشام- السيرة 2/ 61 بسند صحيح إلى عبد الله بن عباس- رضي الله عنهما-.
5) مسلم- الصحيح (بشرح النووي 12/ 84).
6) القيان : جمع قينة ، وهي : الجارية المغنية

يضربن بالدفوف ويغنين بهجاء النبي ص وأصحابه (1)، في حين لم يكن مع القوات الإسلامية من الخيل إلا فرسان، وكان معهم سبعون بعيرا يتعاقبون ركوبها (2).

بلغ أبا سفيان خبر مسير النبي ص بأصحابه من المدينة بقصد اعتراض قافلته واحتوائها، فبادر إلى تحويل مسارها إلى طريق الساحل، في نفس الوقت الذي أرسل فيه إلى قريش يستنفرها لإنقاذ قافلتها وأموالها. وكان وقع ذلك شديدا على قريش، التي اشتاط زعماؤها غضبا لما يرونه من امتهان للكرامة، وتعريض للمصالح الاقتصادية للأخطار إلى جانب ما ينجم عن ذلك من انحطاط لمكانة قريش بين القبائل العربية الأخرى ولذلك فقد سعوا إلى الخروج لمجابهة الأمر بأقصى طاقاتهم القتالية (3).

وأرسل أبو سفيان بعد ذلك إلى زعماء قريش وهم بالجحفة برسالة أخبرهم فيها بنجاته والقافلة، وطلب منهم العودة إلى مكة، وذلك أدّى إلى حصول انقسام حاد في آراء زعماء قريش، فقد أصر أغلبهم على التقدم نحو بدر من أجل تأديب المسلمين وتأمين سلامة طريق التجارة القرشية (4)

1) ابن كثير- البداية 3/ 260.
2) أحمد- المسند 1/ 411، والحاكم- المستدرك 3/ 20. الهيثمي- مجمع الزوائد 6/ 69، ابن كثير- البداية والنهاية 3/ 260، ابن حزم- جوامع السيرة ص 108.
3) ابن حجر- فتح الباري 7/ 283، ابن هشام- السيرة 2/ 298، 311 بأسانيد حسنة.
4) ابن حجر- فتح الباري 7/ 283، ابن هشام- السيرة 2/ 298، 311 بأسانيد حسنة.

وإشعار القبائل العربية الأخرى بمدى قوة قريش وسلطانها . وقد انشق بنو زهرة (1)، ومن كان مع قريش من بني هاشم (2). وعادوا إلى مكة، أما غالبية قوات قريش وأحلافهم فقد تقدمت حتى وصلت إلى منطقة بدر(3).

بلغت أخبار تجمع قريش وتقدمهم تجاه منطقة بدر إلى الرسول ص وهو في طريقه إلى بدر، فاستشار أصحابه في الأمر (4)، وأبدى بعض الصحابة عدم ارتياحهم لمسألة المواجهة الحربية مع قريش حيث إنهم لم يتوقعوا المواجهة ولم يستعدوا لها، وحاولوا إقناع الرسول ص بوجهة نظرهم، وقد صور القرآن الكريم موقفهم وأحوال الفئة المؤمنة عموما في قوله تعالى: كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ (5) يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ (6) وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ (7) لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (8) [سورة الأنفال: الآية5- 8].

---

1) كان عدد بني زهرة في قوات قريش حوالي ثلاثمائة مقاتل، ابن هشام- السيرة 2/ 212.

2) كانوا بقيادة طالب بن أبي طالب، وكانت قريش قد اتهمتهم بأن هواهم مع محمد ص، ابن هشام- السيرة 2/ 311- 312.

3) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - ﷺ ، 288/1

4) البخاري- الصحيح (حديث 3952)، مسلم- الصحيح (حديث 1779)، أحمد- الفتح الربّاني 21/ 29- 30، ابن أبي شيبة- المصنف 14/ 355، ابن كثير- البداية 3/ 262- 63.

ترحيب الصحابة بمواجهة قريش

وقد أجمع قادة المهاجرين على تأييد فكرة التقدم لملاقاة العدو (1)، وكانت لهم مواقف مشهودة في تأييد فكرة الخروج لقتال قريش ، منها موقف المقداد بن الأسود ،فيروي عن عبد الله بن مسعود ت أنه قال : شهدتمن المقداد بن الأسود مشهداً لأن أكون صاحبه أحب إليّ مما عُدِلَ به (2) :أتىالنبيصوهو يدعو على المشركين فقال: لا نقول كما قال قوم موسى: قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا ۖ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ[سورة المائدة: الآية 24]. ولكن نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك.فرأيت الرسول أشرق وجهه وسره (3) وفي رواية (4)قال المقداد: يا رسول الله، لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: (فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون) ولكن امضي ونحن معك، فكأنه سُرى عن رسول الله.وبعد ذلك عاد النبي ص فقال: «أشيروا عليّ أيّها النّاس» وكان إنما يقصد الأنصار، لأنهم غالبية جنده، ولأن بيعة العقبة الثانية لم تكن في ظاهرها ملزمة لهم بحماية الرسول ص خارج المدينة.

1) البخاري- الصحيح (فتح الباري- حديث 3952)، أحمد- المسند 5/ 259، ابن هشام- السيرة 2/ 305.
2) المبالغة في عظمة ذلك المشهد، وأنه كان لو خير بين أن يكون صاحبه وبين أن يحصل له مايقابل ذلك لكان حصوله أحب إليه.
3) البخاري ، كتاب المغازي (287/7).
4) البخاري، كتاب التفسير (273/8).

وقد أدرك الصحابي سعد بن معاذ، وهو حامل لواء الأنصار، مقصد النبي ص من ذلك فنهض قائلا: «والله لكأنك تريدنايا رسول الله؟» قال ق: «أجل»، قال: «لقد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت، فو الذي بعثك بالحق لو

استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلّف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدوّنا غداإنا لصبر في الحرب، صدق عند اللقاء، ولعل الله يريك منا ما تقرّ به عينك، فسر على بركة الله» (1).سرّ النبي ص من مقالة سعد بن معاذ، ونشّطه ذلك، فقال ص: «سيروا وأبشروا، فإنّ الله تعالى قد وعدني إحدى الطّائفتين. والله لكأنّي أنظر إلى مصارع القوم» (2).

كانت كلمات سعد مشجعة لرسول الله ص وملهبة لمشاعر الصحابة فقد رفعت معنويات الصحابة وشجعتهم على القتال إن حرص النبي على استشارة أصحابه في الغزوات يدل على تأكيد أهمية الشورى في الحروب بالذات، ذلك لأن الحروب تقرر مصير الأمم، فأما إلى العلياء، وأما تحت الغبراء (3) .

---

1) مسلم- الصحيح 3/ 1404 (حديث 1779)، ابن كثير- البداية 3/ 351.

2) ابن كثير- البداية 3/ 262- 3 بإسناد صحيح، وذكر الحافظ ابن كثير أن له شواهد في وجوه كثيرة إذ رواه البخاري والنسائي والإمام أحمد (فتح الباري- 7/ 287)، وأحمد- المسند 5/ 259 (حديث 3698).

3) أبو فارس ، غزوة بدر الكبرى ، ص37.

تنظيم النبي ص للجيش :

نظّم النبي ص جنده، بعد أن رأى طاعة الصحابة وشجاعتهم واجتماعهم على القتال، وعقد اللواء الأبيض وسلمه إلى مصعب بن عمير، وأعطى رايتين سوداوين إلى سعد بن معاذ، وعلي بن أبي طالب، وجعل على الساقة قيس بن أبي صعصعة (1).

وقامق ومعه أبو بكر يستكشف أحوال جيش المشركين وبينما هما يتجولان في تلك المنطقة لقيا شيخاً من العرب، فسأله رسول الله صعن جيش قريش، وعن محمد وأصحابه، وما بلغهق من أخبارهم: فقال الشيخ لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتما. فقال له رسول الله ص : إذا أخبرتنا أخبرناك فقال: أو ذاك بذاك؟ قال: نعم. فقال الشـ يخ : فإنه بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا -للمكان الذي به جيش المسلمين- وبلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا - للمكان الذي فيه جيش المشركين فعلاً- ثم قال الشيخ: لقد أ خبرتكما عما أردتما، فأخبراني:ممن أنتما؟ فقال رسول الله ص : نحن من ماء. ثم انصرف النبيصوأبو بكر عن الشيخ، وبقي هذا الشيخ يقول: ما من ماء؟ أمن ماء العراق (2) .

1) ابن القيم- زاد المعاد 2/ 85.
2) سيرة ابن هشام (228/2).

وتورية الرسولقفي إجابته على سؤال الشيخ (ممن أنتما؟) بقوله ص: (نحن من ماء). وهو جواب يقتضيه المقام، فقد أراد به الرسول قكتمان أخبار جيش المسلمين عن قريش ، وفي انصرافه فور استجوابه كتمان - أيضاً- وهو دليل على ما يتمتع به رسول الله ص من الحكمة، فلو أنه أجاب هذا الشيخ ثم وقف عنده لكان هذا سبباً في طلب الشيخ بيان المقصود من قولهق(من ماء) (1) .

وهذه هي صفة الكتمان والسرية التي حافظ عليها الحبيب محمد ص في عامة غزواته.وحصل الرسول ص على معلومات كثيرة عن موقع الجيش المكي، ومن به من الأشراف، واستنتج عدد أفراده من معرفته لعدد ما ينحر لهم يوميّا من الجمال، فقد أرسل ق عليّ بن أبي طالب والزبير بن العوّام ليعرفا الأخبار، فوجدوا غلامين يستقيان لجيش المشركين فأتوا بهما إلى رسول الله ص ، فقال لهما: أخبراني عن جيش قريش، فقالا هم وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى. فقال لهما: كم القوم؟ قالا: كثير. قال: ما عدتهم؟ قالا: لا ندري. قال الرسولق : كم ينحرون كل يوم؟ قال: يوماً تسعاً ويوماً عشراً، فقال رسول الله ص: (القوم مابين التسعمائة والألف)

1) سيرة ابن هشام (228/2).

فقال لهما: فمن فيهم من أشراف قريش؟ فذكرا عتبة بن ربيعة وشيبة وأبا جهل وأمية بن خلف في آخرين من صناديد قريش، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه قائلاً: (هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها) (1).

وفي ليلة بدر أنزل اللّه تعالى على المؤمنين نعاسا أمنهم وأراحهم، ومطرا طهرهم به، وأذهب عنهم رجس الشيطان وربط على قلوبهم وثبّت به أقدامهم، قال تعالى: إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ [سورة الأنفال: الآية 11] لقد امتن اللهالمسلمين يوم بدر بأن أنزل عليهم النعاس والمطر وذلك قبل أن يلتحموا مع أعدائهم قال تعالى: إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ [سورة الأنفال: الآية 11]لقد فزع المسلمون وهم يرون أنفسهم قلة في مواجهة خطر لم يحسبوا حسابه ولم يتخذوا له عدته . . فإذا النعاس يغشاهم ، ثم يصحون منه والسكينة تغمر نفوسهم؛ والطمأنينة تفيض على قلوبهم . ولقد وقعت هذه المعجزة بشكل واضح للمسلمين المجهودين في غزوة بدر

1) مسلم- الصحيح 3/ 1404، كما ورد في السيرة النبوية لابن هشام برواية ابن إسحاق.

وامتن الله عليهم بها . وهو يقول :إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ [سورة الأنفال: الآية 11]لقد كانت هذه الغشية ، وهذه الطمأنينة ، مدداً من أمداد الله للعصبة المسلمة يوم بدر : كلها تشترك في إلقاء ظل لطيف شفيف؛ وترسم الظل العام للمشهد ، وتصور حال المؤمنين يومذاك ، وتجلي قيمة هذه اللحظة النفسية الفاصلة بين حال للمسلمين وحال فهي قصة مدد آخر من أمداد الله للعصبة المسلمة ، قبيل المعركة .

ففي هذه الليلة - وقبل إنفاذ مشورة الحباب بن المنذر - كانت هذه الحالة التي يذكر الله بها العصبة التي شهدت بدراً . . والمدد على هذا النحو مدد مزدوجمادي وروحي . فالماء في الصحراء مادة الحياة ، فضلاً على أن يكون أداة النصروالجيش الذي يفقد الماء في الصحراء يفقد أعصابه قبل أن يواجه المعركة . ثم هذه الحالة النفسية التي صاحبت الموقف ووسوس بها الشيطان! حالة التحرج من أداء الصلاة على غير طهر لعدم وجود الماء (ولم يكن قد رخص لهم بعد في التيمم ، فقد جاء هذا متأخراً في غزوة بن المصطلق في السنة الخامسة) .وهنا تثور الهواجس والوساوس ، ويدخل الشيطان من باب الإيمان ليزيد حرج النفوس ووجل القلوب! والنفوس التي تدخل المعركة في مثل هذا الحرج

وفي مثل هذا القلق تدخلها مزعزعة مهزومة من داخلها . . وهنا يجيء المدد وتجيء النجدة .

ويتم المدد الروحي بالمدد المادي؛ وتسكن القلوب بوجود الماء ، وتطمئن الأرواح بالطهارة؛ وتثبت الأقدام بثبات الأرض وتماسك الرمال(1) .

روى ابن جرير عن ابن عباس في قوله تعالى إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ [سورة الأنفال: الآية 11] قال: نزل النبيص ، يعني حين سار الى بدر والمسلمون بينهم وبين الماء رملة دِعْصَةٌ -أي كثير مجتمعة- فأصاب المسلمين ضعف شديد وألقى الشيطان في قلوبهم الغيظ، فوسوس بينهم تزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم تصلون مجنبين، فأمطر الله عليكم مطراً شديداً، فشرب المسلمون وتطهروا ، وأذهب الله عنهم رجز الشيطان، وثبت الرمل حين أصابه المطر، ومشى الناس عليه والدواب فساروا إلى القوم (2).

---

1) أنظر الظلال في تفسير قوله تعالي : ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴾

2) تفسير الطبري ، 195/9

الوصول إلي بدر ومشورة الحباب ت :

وبعد هذا الفيض الإلهي سار الحبيب محمد بالجيش الإسلامي حتى وصل إلى بدر واستطلعوا الموضع قبل وصول قوات قريش، وهنا قام الحباب بن المنذر وقال: يا رسول الله: أرأيت هذا المنزل، أمنزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمهولا نتأخر عنه؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: بل هو الرأي والحرب والمكيدة. قال: يا رسول الله، فإن هذا ليس بمنزل، فانهض يا رسول الله بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم - أي جيش المشركين- فننزله ونغوِّر -نخرب- ما وراءهمن الآبار ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماءَ ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون(1) فأخذ النبي ص برأي الحباب بن المنذر وفعل بما أشار به ونهض بالجيش حتى أقرب ماء من العدو فنزل عليه ثم صنعوا الحياض وغوروا ما عداها من الآبار (2).

هذا هو الموقف العملي منحياة الحبيب محمد ص صفمع عظمة وجلالة قدر الحبيب محمد صلم يمنع ذلك من أن يدلو كل فرد في جيشه بدلوه في وضع الخطة الحربية للجيش

---

1) ابن حجر- الإصابة 1/ 302 بسند حسن إلى عروة ولكنه مرسل.

2) ابن هشام- السيرة 2/ 312- 313 وإسناده مرسل موقوف على عروة كما في المصدر السابق، والحاكم- المستدرك 3/ 446- 447، قال الذهبي عنه حديث منكر، وفي البداية والنهاية 3/ 293: إسناده منقطع.

مادام ذلك يصب في مصلحة الجميع ،فلم يجل بخطر الحباب احتمال غضب القائد الأعلى، ثم حصول ما يترتب على ذلك الغضب من تدني سمعة ذلكالناصحبخلاف رأي القائد وتأخره في الرتبة وتضررهفي نفسه أو ماله.

وهذه الحرية التي ربّى عليها رسول الله ص أصحابه مكنت مجتمعهممن الاستفادة من عقول جميع أهل الرأي السديد والمنطق الرشيد، فالقائد فيهم ينجح نجاحاً باهراً وإن كان حديث السن لأنه لم يكن يفكر برأيه المجرد أو آراء عصبة مهيمنة عليه قد تنظر لمصالحها الخاصة قبل أن تنظر لمصلحة المسلمين العامة، وإنما يفكر بآراء جميع أفراد جنده، وقد يحصل له الرأي السديد من أقلهم سمعة وأبعدهم منزلة من ذلك القائد، لأنه ليس هناك ما يحول بين أي فرد منهم والوصول برأيه إلى قائد جيشه (1).

وهناك مشهد آخر من مشاهد العظمة في معركة بدر ، ذلك الأدب الجم الذي يتعامل به الصحابة رضوان الله عليهم مع الحبيب ص ،

---

1) الحميدي ، التاريخ الاسلامي ، 110/4

فقد جعل هذا الأدب الحباب يتقدم إلي رسول الله ص ويقدم مشورته في صورة استفهام ويقول "أرايت هذا المنزل أمنزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ "

فإن كان الوحي هو الذي اختار هذا المنزل، فلأن يقدم فتقطع عنقه أحب إليه من أن يلفظ بكلمة واحدة، وإن كان الرأي البشري فلديه خطة جديدة كاملة بإستراتيجية جديدة. إن هذا الموقف ليشي بعظمة هذا الجوهر القيادي الفذ الذي يعرف أين يتكلم ومتى يتكلم بين يدي قائده، إن هذه النفسية الرفيعة، عرفت أصول المشورة، وأصول إبداء الرأي، وأدركت مفهوم السمع والطاعة، ومفهوم المناقشة، ومفهوم عرض الرأي المعارض لرأي سيد ولد آدم - عليه الصلاة والسلام.

وتبدو عظمة القيادة النبوية في استماعها للخطة الجديدة، وتبني الخطة الجديدة المطروحة من جندي من جنودها، أو قائد من قوادها (1) .

وفي صباح السابع عشر من شهر رمضان نظّم الرسول ص جيشه على هيئة صفوف (2)

1) التربية القيادية ، 21/3

2) أحمد- المسند، وهو أسلوب جديد لم تعتد عليه العرب قبل ذلك يقلل من خسائر الجيش ويعوض عن قلة العدد أمام العدو ويمكن القيادة من إحكام السيطرة. انظر: محمود شيت خطاب- الرسول القائد ص 78- 79.

بناء العريش :

وبعد نزول النبي والمسلمين معه على أدنى ماء بدر من المشركين، اقترح سعد بن معاذ على رسول الله ص بناء عريش(1) له يكون مقراً لقيادته ويأمن فيه من العدو، وكان مما قاله سعد في اقتراحه: (يا نبي الله ألا نبني لك عريشاً تكون فيه ثم نلقي عدونا فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا، فقد تخلف عنك، أقوام، يا نبي الله، ما نحن بأشدَّ لك حبّاً منهم، ولو ظنّوا أنك تلقى حرباً متخلفوا عنك يمنعك الله بهم ويناصحونك ويجاهدون معك) فأثنى النبي ص خيراً ودعا له بخير، ثم بني المسلمون العريش لرسول الله صعلى تلٍّ مشرف على ساحة القتال، وكان معه فيه أبو بكر ت، وكانت ثلة من شباب الأنصار بقيادة سعد بن معاذ يحرسون عريش رسول الله ص (2) .

وقد ثبت أنه ق خرج من مقر قيادته- العريش- وهو يقرأ قول اللّهعزّ وجلّ: سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ [سورة القمر: الآية 45] (3).

وقد أثنى الحبيب محمد ص على سعد ودعا له بخير، ولأنه قدر الظروف وعرف أن مكان القائد هو الإشراف والتوجيه

---

1) شبه خيمة يكون مقراً للقيادة وظلاً للقائد

2) سيرة ابن هشام (233/2).

3) البخاري- الصحيح (فتح الباري 7/ 287).

فلا ينبغي أن يتعرض للأخطار، لأن في حياته حياة الأمة وكيانها وكرامتها، ثم بني العريش للنبي قحتى يكون في مأمن من العدو إذا لم يكن النصر في جانب المسلمين، وهكذا الإخلاص والإيثار: إخلاص الجندي الأمين لقائده الأمين، وإيثار المؤمن لنبيه على نفسه. وبمثل هذا الإخلاص والإيثار مَنَّ الله على المسلمين، ومكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وبدلهم من بعد خوفهم أمنًا، وإن في ذلك لعبرة

دعاء النبي ص:

وأكثر النبي ص من الدعاء، واستغاث باللّه تعالى ، عن عمر بن الخطّاب ت أنّه قال: لمّا كان يوم بدر، قال: نظر النّبيّ ص إلى أصحابه وهم ثلثمائة ونيّف، ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة، فاستقبل النّبيّ ص القبلة، ثمّ مدّ يديه وعليه رداؤه وإزاره، ثمّ قال: « اللّهمّ أنجز ما وعدتني،اللّهمّ أت ما وعدتني، اللّهمّ إنّك إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلا تعبد في الأرض أبدا»،

قال: فما زال يستغيث ربّه- عزّ وجلّ- ويدعوه حتّى سقط رداؤه: فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فردّه، ثمّ التزمه من ورائه،

ثمّ قال: يا نبيّ اللّه، كفاك مناشدتك ربّك(1)، فإنّه سينجز لك ما وعدك، وأنزل اللّه- عزّ وجلّ-: إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ [سورة الأنفال: الآية 9](2).

هذا درس مهم لكل قائد أو حاكم أو زعيم أو فرد في التجرد من النفس وحظها، والخلوص واللجوء لله وحده والسجود والجثي بين يدي الله سبحانه لكي ينزل نصره ويبقى مشهد نبيه، وقد سقط رداؤه عن كتفه وهو ماد يديه يستغيث بالله، يبقى هذا المشهد محفوراً بقلبه ووجدانه، يحاول تنفيذه في مثل هذه الساعات، وفي مثل هذه المواطن، حيث تناط به المسؤولية وتلقى عليه أعباء القيادة(3).

ومن فوائد الاستغاثة :

فيها صرف الهمّة كلّها إلى اللّه المتصرّف في الكون كلّه بكمال قدرته واليقين بأنّ الخلق ينفّذون قدره وأمره. الاستغاثة في الأمور الّتي لا يقدر عليها إلّا اللّه من التّوحيد؛ فهي دليل الإيمان به وحده. بالاستغاثة تقوى عزيمة الإنسان لمعرفته بأنّ من يستغيث به قادرعلى إغاثته.

1) منا شدتك ربك: المناشدة السؤال، مأخوذة من النشيد وهو رفع الصوت، هكذا وقع لجماهير رواة مسلم، ولبعضهم: كفاك، وكلّ بمعنى واحد.
2) البخاري- الفتح 7 (3953) مختصرا، مسلم (1763) واللفظ له.
3) التربية القيادية ، 36/3

الاستغاثة سبب من أسباب النّصر كما حدث للمسلمين يوم بدر.

الاستغاثة تقوّي الرّوح المعنويّة للمستغيث وتعلمه بأنّ الفرج قريب.

الاستغاثة مجلبة للخير، وبها يعمّ الخير العباد والبلاد.

تنظيم الصفوف :

وفي صباح السابع عشر من شهر رمضان نظّم الرسول ص جيشه على هيئة صفوف (1)، وهو أسلوب جد يدفي مقتالة أعداء الله تعالى، لم يكن معروفاًمن قبل حتى قاتل بهقوهو أسلوب جديد لم تعتد عليه العرب قبل ذلك وفيه يكون المقاتلون على هيئة صفوف الصلاة وتقل هذه الصفوف أو تكثر تبعاً لقلة المقاتلين أو كثرتهم ، وتكون الصفوف الأولى من أصحاب الرماح لصّد هجمات الفرسان وتكون الصفوف التي خلفها من أصحاب النبال، لتسديدها من المهاجمين على الأعداء، وهذا الأسلوب في القتال يقلل من خسائر الجيش ويعوض عن قلة العدد أمام العدو ويمكن القيادة من إحكام السيطرة(2).

1) أحمد- المسند
2) محمود شيت خطاب- الرسول القائد ص 78- 79.

وأمر الحبيب محمد ص الصحابة برمي الأعداء إذا اقتربوا منهم، لأن الرمي يكون أقرب إلى الإصابة في هذه الحالة،وأبقي للأسلحة حتة لا يستخدمونها فيما لا طائل منه وبالاقتصاد في الرمي وكانت توجيهات النبي ص: «إذا أكثبوكم فارموهم واستبقوا نبلكم. ولا تسلّوا السّيوف حتّى يغشوكم»(1)

وعدل رسول الله ص صفوف المسلمين، وبينما هو يعدلها وقع أمر عجيبفقد كان في يديه قِدْح يعدل به، وكان سَوَاد بن غَزِيَّة مُسْتَــنْصِلا من الصف، فطعن في بطنه بالقدح، وقال : (استو يا سواد) ، فقال سواد : يا رسول الله،ص أوجعتني فأقدني، فكشف عن بطنه وقال : (استقد) ، فاعتنقه سواد وقبل بطنه، فقال(ما حملك على هذا يا سواد ؟) قال : يا رسول الله، صد حضر ما ترى، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدى جلدك . فدعا له رسول الله ص بخير (2).

---

1) أبو داود- السنن 4/ 49.

2) ابن هشام - (ج 1 / ص 626)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، 2835

قلما نرى في تاريخ الحروب صورة تعبر عن العدل بيت القادة والجنود فالتاريخ الإنساني حافل بصور استبداد القادة العسكريين وظلمهم للجنود.. أما محمد فنراه في أرض المعركة يقف أمام جندي من جنوده ليقتص الجندي منه (1)

ثم عبأ رسول الله صجيشه ، وحثهم علي القتال امتثالاً لقوله تعالى

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ [سورة الأنفال: الآية 65]

ونادي الحبيب محمدص في أصحابه وقال لهم : " قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض، فقال عمير بن الحمام الأنصاري ت:يارسول الله جنة عرضها السموات والأرض؟ قال:نعم، قال:بخ بخ (2)فقال رسول الله ص ما يحملك على قولك:بخ بخ؟ قال:لا والله يا رسول الله إلا رجاءة (3) أن أكون من أهلها قال: فإنكمن أهلها.

فأخرج ثمرات من قرنه(4)

---

1) محمد مسعد ياقوت ، الأخلاق النبوية في الصراعات السياسية والعسكرية ، ص59

2) بخ بخ: كلمة تطلق لتفخيم الأمر وتعظيمه في الخير. وتقال بالسكون وبالجر والتنوين (بخ بخ).

3) إلا رجاءة: أي والله ما فعلته لشيء إلا رجاء أن أكون من أهلها.

4) قرنه: أي جعبة النشاب.

فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييتحتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة.

قال:فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل(1) .

و كان ص يبشرهم بقتل صناديد المشركين، ويحدد مكان قتلى كل واحد منهم ، فروي عن أنس بن مالك ت قال: كنّا مع عمر بين مكّة والمدينةفتراءينا الهلال. وكنت رجلا حديد البصر (2). فرأيته. وليس أحد يزعم أنّه رآه غيري. قال فجعلت أقول لعمر: أما تراه؟ فجعل لا يراه. قال يقول عمر: سأراه وأنا مستلق على فراشي. ثمّ أنشأ يحدّثنا عن أهل بدر فقال: إنّ رسول الله ص كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس. يقول: هذا مصرع فلان غدا، إن شاء اللّه قال فقال عمر: فو الّذي بعثه بالحقّ ما أخطئوا الحدود الّتي حدّ رسول اللّه ص. (3)

كما كان ق يبشر المؤمنين بالنصر وتأييد الملائكة لهم قبل بدء المعركة مما يرفع من روحهم القتالية وينشطهم فيقول: ابشر أبا بكر هذا جبريل معتجر بعمامة صفراء آخذ بعنان فرسه بين السماء والأرض(4) .

---

1) مسلم- الصحيح 3/ 1509- 1510 (ح 1901).
2) حديد البصر: أي نافذه ومنه قوله تعالى: (فبصرك اليوم حديد).
3) رواه مسلم برقم (2873).
4) رواه البيهقي في دلائل النبوة ، 38/3

وأمر النبي ص أصحابه صبيحة يوم المعركة أنه: «لا يتقدّمنّ أحد منكمإلى شيء حتّى أكون أنا دونه» (1)، فدنا المشركون فقال رسول اللّه ص: «قوموا إلى جنّة عرضها السّماوات والأرض» (2).

ووقف المسلمون بانتظار المعركة هادئي الأنفاس منيري الآفاق، تغمر الثقة قلوبهم، تنتابهما الراحة النفسية ؛ أملين أن يروا بشائر ربهم بعيونهم ، وأن يتحقق موعود الله ورسوله ص.

وقبل أن تبدأ المعركة أراد النبي ص أن يستنفذ كل وسائل الصلح والسلام قبل أن يخوض المعركة، فما أرسل إلا رحمة للعالمين، فأراد أن يبادر بمبادرة للسلام ليرجع الجيشان إلى ديارهما، فتحقن الدماء، أو ليقيم الحجة على المشركين، فلما نزل الجيش الوثني أرض بدر أرسل رسول الله ص عمر بن الخطاب إلى قريش وقد كان سفيرهم في الجاهلية، فنصحهم عمر بالرجوع إلى ديارهم حقنا للدماء .. فتلقفها حكيم بن حزام أحد عقلاء المشركين، فقال: قد عرض نصفا، فاقبلوه، والله لا تنصرون عليه بعد ما عرض من النصف .

1) مسلم- الصحيح 3/ 1510 (حديث 1901).
2) المنذري- مختصر صحيح مسلم 2/ 70 (حديث 1157).

فقال أبو جهل : والله لا نرجع بعد أن أمكننا الله منهم(1).

فكان ق حريصاً على حقن الدماء ، في حين كان أبو جهل حريصاًعلى سفك الدماء، وانظر إلى هذه القيمة الحضارية التي يسجلها نبي الرحمة في هذه المعركة (2)

أما قريش فقضت ليلتها هذه في معسكرها بالعدوة القصوى، ولما أصبحت أقبلت في كتائبها، ونزلت من الكثيب إلى وادي بدر ، فلما رآها رسول الله ص تصوب من الكثيب الذي جاءوا منه قال اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني به اللهم أحنهم(3) الغداة(4).

وقد كان خفاف بن أيماء بن رحضة الغفاري - أو أبوه أيماء بن رحضة الغفاري - بعث إلى قريش ، حين مروا به ، ابنا له بجزائر أهداها لهم؛ وقال لهم : إن أحببتم أن نمدكم بسلاح ورجال فعلنا . قال : فأرسلوا إليه مع ابنه : أن وصلتك رحم! قد قضيت الذي عليك . فلعمري لئن كنا إنما نقاتل الناس فما بنا من ضعف عنهم . ولئن كنا إنما نقاتل الله - كما يزعم محمد - فما لأحد بالله من طاقة (5).

1) الواقدي ، 1 / 62 ، والسيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون ،399/2 ، و سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد ، 33/4
2) محمد مسعد ياقوت ، الأخلاق النبوية في الصراعات السياسية والعسكرية ، ص60
3) أحنهم: أي أهلكهم.
4) البداية والنهاية ، 267/3
5) البداية والنهاية ، 267/3

وبعد أن استقر رأي قريش علي خوض غمار المعركة بعثت عُمَيْر بن وهب الجُمَحِى للتعرف على مدى قوة جيش المدينة فقالوا : احزر لنا أصحاب محمد ، فاستجال حول العسكر على فرس له ثم رجع إليهم فقال : ثلاثمائة وخمسون يزيدون قليلا أو ينقصون قليلا ، ولكن انظروني حتى أنظر في الوادي حتى أرى هل لهم مدد أو كمين ؟

فضرب في الوادي حتى أمعن ، ثم رجع فقال : ما رأيت شيئا ، ولكن يا معشر قريش ، قد رأيت البلايا تحمل المنايا ، نواضح (1) تحمل الموت الناقع (2)، قد رأيت أقواما ما وراءهم مرجع ، وما عصمتهم إلا سيوفهم ، ولا والله ما أرى أن يقتل رجل حتى يقتل مثله ، فإذا قتلوا مثل أعدادهم فما خير في العيش بعده ، فروا رأيكم يا معشر قريش(3).

1) الناضح : الجمل أو الثور أو الحمار الذي يستقى عليه الماء
2) الموت الناقع : الدائم البالغ
3) من دلائل البيهقي 3 / 65 والخبر في سيرة ابن هشام 2 / 274 وكامل ابن الاثير 2 / 123.

فلما سمع حكيم بن حزام ذلك مشى في الناس فلقي عتبة بن ربيعة قاليا أبا الوليد ، إنك كبير قريش وسيدها والمطاع فيها ، فهل لك إلى أن لا تزال منها بخير إلى آخر الدهر ؟ فقال : وما ذاك ؟ قال ترجع بالناس وتحمل دم حليفك عمرو بن الحضرمي (1)، فقال عتبة : قد فعلت فائت ابن الحنظلية (2)، يعني أبا جهل بن هشام ، ثم قام عتبة خطيبا فقال : يا معشر قريش ، إنكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمدا وأصحابه شيئا ، وقد نجى الله عيركم وأموالكم فلا حاجة لكم في أن تسيروا في غير صنيعة ، وإنما خرجتم لتمنعوا عيركم وأموالكم فاجعلوابي جبنها وارجعوا ، والله لئن أصبتم محمدا وأصحابه لا يزال رجل ينظر في وجه رجل يكره النظر إليه قتل ابن عمه ، أو ابن خاله ، أو رجلا من بني عشيرته فارجعوا وخلوا بين محمد وبين سائر العرب ، فإن أصابوه فذاك الذي أردتم وإن كان غير ذلك ألفاكم ولم تعرضوا منه لما لا تريدون . قال حكيم : فانطلقت حتى جئت أبا جهل فقلت : يا أبا الحكم ، إن عتبة بن ربيعة أرسلني إليك بكذا وكذا للذي قال ،

1) وكان عمرو بن الحضرمي قتل في سرية عبد الله بن جحش، وأسر عثمان والحكم واستولي المسلمون علي القافلة ثم قدموا بالعير والأسيرين إلى المدينة .

2) قال ابن هشام: الحنظلية أم أبي جهل، وهي أسماء بنت مخربة أحد بني نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد بن مناة بن تميم.

فقال أبو جهل : انتفخ والله سحره (1) حين رأى محمدا وأصحابه ، كلا والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، وما بعتبة ما قالولكنه قد رأى أن محمدا وأصحابه أكلة جزور وفيهم ابنه وقد تخوفكم عليه . ثم بعث إلى عامر بن الحضرمي فقال : هذا حليفك يريد أن يرجع بالناس ، وقد رأيت ثأرك بعينك ، فقم فأنشد خفرتك ومقتل أخيك ، فقام عامر فاكتشف ثم صرخ : واعمراه ، واعمراه ، فحميت الحرب وحقب أمر الناس واستوسق على ما هم فيه من الشر وأفسد على الناس الرأي الذي دعاهم إليه عتبة بن ربيعةفلما بلغ ذلك عتبة من قول أبي جهل ، انتفخ سحره قال : سيعلم مصفر استه أينا الجبان المفسد لقومه ، أنا أم هو ، ثم التمس عتبة بن ربيعة بيضة ليدخلها رأسهفما وجدت في الجيش بيضة تسعه من عظم هامته ، فاعتجر حين رأى ذلك ببرد له على رأسه ، وأقبل نفر من قريش حتى وردوا حوض رسول الله ص فيهم حكيم بن حزام ، فقال رسول الله ص :" دعوهم " ، فما شرب منهم رجل يومئذ إلا قتل ، إلا حكيم بن حزام فإنه لم يقتل ، وأسلم بعد ذلك فحسن إسلامه ، فكان إذا اجتهد يمينه قال : والذي نجاني يوم بدر(2).

1) سحره: رئته ، يقال ذلك للجبان.
2) سيرة ابن هشام 2 / 275 والبيهقي في الدلائل 3 / 65 وابن الاثير 2 / 124.

وهكذا تغلب الطيش على الحكمة، وذهبت هذه المعارضة دون جدوى .

ولما تراءى الجمعان وتقابل الجيشان ودنا بعضهم من بعض، أخذ أبو جهل يدعو على رسول الله ص يقول: « اللهم أينا كان أقطع للرحم وأتانا بما لا نعرف فأحنه الغداة» فكان ذلك استفتاحه الذي أشارت إليه الآية الكريمة إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ [سورة الأنفال: الآية 19] (1).

ثم إن رسول الله ص أخذ حفنة من الحصباء (2) فاستقبل بها قريشاثم قال شاهت (3) الوجوه ثم نفحهم بها ، وجعل الله تلك الحصباء عظيما شأنها لم تترك من المشركين رجلا إلا ملأت عينيه ، فما أصاب رجلا منهم إلا قتل يوم بدر ، فقتل الله من قتل من صناديد قريش، وأسر من أسر من أشرافهم.

---

1) الطبري- التفسير 13/ 454، والحاكم- المستدرك 2/ 328.

2) الحصباء : الحجارة الصغيرة

3) شاهت : قبحت

ولهذا قال الله تعالى: فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (17) [سورة الأنفال: الآية 17].

ومعنى الآية: أن الله سبحانه أثبت لرسوله ابتداء الرمي ونفى عنه الإيصال الذي لم يحصل برميته فالرمي يراد به الحذف والإيصال، فأثبت لنبيه الحذفونفى عنه الإيصال (1).

ونلحظ أن الرسول ص أخذ بالأسباب المادية والمعنوية وتوكل على الله فكان النصر والتأييد من الله تعالى، فقد اجتمع في بدر الأخذ بالأسباب بالقدر الممكن مع التوفيق الرباني في تهيئة جميع أسباب النصر متعاونة متكافئةمع التأييدات الربانية الخارقة والغيبية، ففي عالم الأسباب تشكّل دراسة الأرض والطقس ووجود القيادة والثقة بها والروح المعنوية لبناتِ أساسية في صحة القرار العسكري، ولقد كانت الأرض لصالح المسلمين وكان الطقس مناسباً للمعركة والقيادة الرفيعة موجودة والثقة بها كبيرة، والروح المعنوية مرتفعة،

1) زاد المعاد، 183/3

وبعض هذه المعاني كان من الله بشكل مباشر وتوفيقه وبعضها كان من فعل رسول الله ص أخذاً بالأسباب المطلوبة فتضافر الأخذ بالأسباب مع توفيق الله وزيد على ذلك التأييدات الغيبية والخارقة

فكان ما كان، وذلك نموذج على ما يعطاه المسلمون بفضل الله إذا ما صلحت النيات عند الجند والقادة ووجدت الاستقامة على أمر الله، وأخذ المسلمون بالأسباب (1) .

إندلاع شرارة القتال :

وكان أول وقود المعركة الأسود بن عبد الأسد المخزومى ـ وكان رجلًا شرسًا سيئ الخلق ـ خرج قائلًا : أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه أو لأموتن دونه . فلما خرج خرج إليه حمزة بن عبد المطلبت فلما التقيا ضربه حمزة فأطَنَّ (2) قدمه بنصف ساقه وهو دون الحوض، فوقع على ظهره تشخب رجله دمًا نحو أصحابه، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه، يريد أن تبر يمينه، ولكن حمزة ثنى عليه بضربة أخرى أتت عليه وهو داخل الحوض(3) .

1) الأساس في السنّة وفقها السيرة النبوية ، 474/1

2) أي: قطع.

3) في الواقدي: زحف الاسود حتى وقع في الحوض فهدمه برجله الصحيحة، وشرب منه. وقال موسى بن عقبة في روايته: فأقبل يحبو حتى وقع في جوف الحوض فهدم منه واتبعه حمزة حتى قتله . أنظر : دلائل البيهقي 3 / 113 ، مغازي الواقدي ، 1 / 68

فحمى عند ذلك عتبة بن ربيعة وأراد أن يظهر شجاعته، فبرز بين أخيه شيبة وابنه الوليد، فلما توسطوا بين الصفين طالبين المبارزة، فخرج إليهم فتيةمن الأنصار ثلاثة وهم عوف ومعاذ ابنا الحارث ـ وأمهما عفراء ـ وعبد اللهبن رواحة، فقالوا : من أنتم ؟ قالوا : رهط (1) من الأنصار . قالوا : أكِفَّاء كرام، ما لنا بكم حاجة، وإنما نريد بني عمنا، ثم نادى مناديهم : يا محمد، ص أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا، فقال رسول الله ص : (قم يا عبيدة بن الحارث، وقم يا حمزة، وقم يا على) ، فلما قاموا ودنوا منهم، قالوا : من أنتم ؟ فأخبروهم، فقالوا : أنتم أكفاء كرام، فبارز عبيدة ـ وكان أسن القوم ـ عتبة بن ربيعة، وبارز حمزة شيبة، وبارز على الوليد . فأما حمزة وعلى فلم يمهلا قرنيهما أن قتلاهما، وأما عبيدة فاختلف بينه وبين قرنه ضربتان، فأثخن كل واحد منهما صاحبه، ثم كَرّ على وحمزة على عتبة فقتلاه، واحتملا عبيدة وقد قطعت رجله، فلم يزل ضَمِنًاحتى مات بالصفراء،بعد أربعة أو خمسة أيام من وقعة بدر،

1) الرهط : الجماعة من الرجال دون العشرة

حينما كان المسلمون في طريقهم إلى المدينة . وكان على يقسم بالله أن هذه الآية نزلت فيهم :

هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ۖ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (19) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ (20) وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ (21) كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (22) إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (23) وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَمِيدِ [سورة الحج: الآية 19- 24](1).

وكانت هذه بداية سيئة للمشركين؛ إذ فقدوا ثلاثة من خيرة فرسانهم وقادتهم دفعة واحدة،فاستشاطوا غضباً،وكروا على المسلمين كرة رجل واحد .

1) البخاري- الصحيح (فتح الباري- الأحاديث: 3966- 3969).

وأما المسلمون فبعد أن استنصروا ربهم واستغاثوه وأخلصوا له وتضرعوا إليه تلقوا هجمات المشركين المتتالية، وهم مرابطون في مواقعهم، واقفون موقف الدفاع وقد ألحقوا بالمشركين خسائر فادحة، وهم يقولون : أَحَد أَحَد(1) .

وكانت توجيهات النبي ص

: « إذا أكثبوكم فارموهم واستبقوا نبلكم.ولا تسلّوا السّيوف حتّى يغشوكم» (2).

وحرضهم ق على القتال قائلا: والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة(3).

وقد ارتفعت معنويات الصحابة وزاد نشاطهم واندفاعهم في القتال بعد سماعهم قول النبي ص: سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ [سورة القمر: الآية 45]

وعلمهم وإحساسهم بإمداد الملائكة وبتقليلهم في أعين المسلمين وتقليل المسلمين بأعين المشركين. فقد كان ق قد رأى في منامه ليلة اليوم الذي التقى فيه الجيشان، رأى المشركين عددهم قليل، وقد قص رؤياه على أصحابه فاستبشروا خيراً قال تعالى:

إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ [سورة الأنفال: الآية 43]

1) البخاري- الصحيح (فتح الباري 4/ 480، 7/ 293- 96، 321)، مسلم- الصحيح (بشرح النووي 12/ 59- 60)، وابن كثير- البدآية 3/ 286، والهيثمي- مجمع الزوائد 6/ 79، وانظر: عن الشعار ابن هشام- السيرة/ 634.

2) أبو داود- السنن 4/ 49.

3) ابن هشام ، السيرة النبوية ، 239/1

والمعنى أن النبي ص رآهم -أي رأى المشركين- في منامه قليلا، فقص ذلك على أصحابه فكان ذلك سببَا لثباتهم، قال مجاهد: ولو رآهم في منامه كثيراَ لفشلوا وجبنوا عن قتالهم، ولتنازعوا في الأمر: هل يلاقونهم أم لا، والمضارع في الآية بمعنى الماضي؛ لأن نزول الآية كان بعد الإراءة في المنام (وَلَكِنَّ اللهَ سَلَّمَ) أي عصمهم من الفشل والتنازع فقللهم في عين رسول الله ص ، فقص رؤياه على أصحابه فكان في ذلك تثبيت لهم وتشجيعهم وجرأتهم على عدوهم. وعند لقاء جيش المسلمين مع جيش المشركين، رأى كل منهم عدد الآخر قليلا، قال تعالى:

وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (44) [سورة الأنفال: الآية 44]. وإنما قللهم في أعين المسلمين تصديقًا لرؤيا النبي ص ، وليعاينوا ما أخبرهم به فيزدادوا يقينا ويجدّوا في قتالهم ويثبتوا، قال عبد الله بن مسعود ت قلت لرجل إلى جنبي: أتراهم سبعين؟ قال: أراهم مائة، فأسرنا رجلا منهم فقلنا له: كم كنتم؟ قال: ألفًا. وقوله تعالى: حتى قال قائل من المشركين: إنما هم أكلة جزور.. ووجه الحكمة واللطف بالمسلمين في هذا التقليل، هو أن إراءة المسلمين عدد الكافرين قليلا ثبتهم ونشطهم وجرّأهم على قتال المشركين، ونزع الخوف من قلوب المسلمين من أعدائهم.

ووجه الحكمة في تقليل المسلمين في أعين المشركين هو أنهم إذا رأوهم قليلا أقدموا على قتالهم غير خائفين ولا مبالين بهم، ولا آخذين الحذر منهم، فلا يقاتلون بجد واستعداد ويقظة وتحرز، ثم إذا ما التحموا بالقتال فعلا تفجؤهم الكثرة فيبهتون ويهابون، وتكسر شوكتهم حين يرون ما لم يكن في حسابهم وتقديرهم، فيكون ذلك من أسباب خذلانهم وانتصار المسلمين عليهم(1).

الملائكة في ساحة المعركة :

لقد ثبت الصحابة رضوان الله عليهم أمام ضربات المشركين ، وأظهروا ضروبا من الشجاعة ، جعلت همة وحماسة القريشيين تفتر أمامها ، وضعفت هجماتهم ، فاستغل الحبيب محمد ص ذلك الوهن الذي أصاب كفار قريش وباغتهم بالهجوم عليهم ،فأقبل المسلمون يضعضعون صفوف الكفار قتلاً وأسراًوارتفعت معنوياتهم بعد أن رأوا رسول الله ص يخرج من العريش – بعد مناجاته ربه عز وجل - يثب في الدرع،

1) تفسير الزمخشري (225/2)، تفسير ابن كثير (315/2).

وقد تقدمهم فلم يكن أحد أقربمن المشركين منه، وهو يقول في جزم وصراحة :
سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّ [سورة القمر: الآية 45]
(1)فقاتل المسلمون أشد القتال ومنح الله المسلمين أكتاف المشركين . فتناولوهم قتلا وأسراً ونصرتهم الملائكة (2).

ولقد ثبت من نصوص القرآن الكريم والسنّة النبوية المطهرة، ومرويات عدد من الصحابة ا لبدريين أن اللّه سبحانه وتعالى قد أمدّ الفئة المؤمنة بالنصر، وبأنه أمدهم بالملائكة الذين ثبّتوا الذين آمنوا فقاتلوا معهم، وأنه تعالى ألقى في قلوب الذين كفروا الرعب،

قال تعالى: إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ [سورة الأنفال: الآية 12].

1) وهذه الآية وإن كانت مكية فقد جاء تصديقها يوم بدر كما روي عن عكرمة قال لما نزلت: (سيهزم الجمع ويولون الدبر) قال عمر: أي جمع يهزم وأي جمع يغلب ؟ قال عمر فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله ﷺ يثب في الدرع وهو يقول: (سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) فعرفت تأويلها يومئذ . أنظر : ابن كثير ، البداية والنهاية ، 337/3

2) في كتب التفسير - تفسير سورة القمر باب قوله: (سيهزم الجمع) ح 4875 فتح الباري 8 / 619 وأخرجه في كتاب الجهاد.باب: ما قيل في درع النبي ﷺ. وفي كتاب المغازي باب: إذ تستغيثون ربكم.

وقال تعالى: وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (123) إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ (124) بَلَىٰ ۚ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ (125) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ ۗ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (126) [سورة آل عمران: الآية 123-126]

وأورد البخاري ومسلم وأحمد بن حنبل وغيرهم عددا من الأحاديث الصحيحة التي تشير إلى مشاركة الملائكة في معركة بدر، وقيامهم بضرب المشركين وقتلهم (1).

روي ابن سعد عن عكرمة قال : كان يومئذ يَنْدُر رأس الرجل لا يدرى من ضربه، وتندر يد الرجل لا يدرى من ضربها (2).

1) البخاري- الصحيح (فتح الباري 1/ 311- 312، 7/ 312)، مسلم- الصحيح (بشرح النووي 12/ 85- 86)، أحمد- المسند 2/ 194 بإسناد صحيح، الهيثمي- مجمع الزوائد 6/ 75- 76، ابن كثير- البداية 3/ 284. وأشار أكرم العمري في السيرة النبوية الصحيحة إلى أن بعض الكتاب المسلمين يتحاشون الإشارة إلى مشاركة الملائكة ببدر وهو يرى بأن «هذا من مظاهر الهزيمة أمام الفكر المادّي الذي لا يؤمن إلّا بالمحسوسات» في حين أن الإيمان برسالة محمد ص يقتضي الإيمان بالملائكة ،2/ 366. أنظر : موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ،1 /291

2) محمد بن عبد الله بن يحي ابن سيد الناس ، عيون الاثر في فنون المغازي والشمائل والسير، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان ، 338/1 ، محمد بن يوسف الصالحي الشامي ، سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد ، 42/4

وقال علي : قال لي رسول الله ص يوم بدر، ولأبي بكر : (مع أحدكما جبريل ومع الآخر ميكائيل، وإسرافيل ملك عظيم يشهد القتال، أو يكونفي القتال)(1) . وهذا يشبه الحديث أن أبا بكر كان في الميمنة ولما تنزل الملائكة يوم بدر تنزيلا كان جبريل على أحد المجنبتين في خمسمائة من الملائكة، فكانفي الميمنة من ناحية أبي بكر الصديق، وكان ميكائيل على المجنبة الأخرى في خمسمائة من الملائكة فوقفوا في المسيرة وكان علي بن أبي طالب فيها(2)

عن ابن عباس تقال:(بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في إثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوت الفارس يقول أقدم حيزوم (3). فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقياً، فنظر إليه فإذا هو خطم أنفه (4) ، وشق وجهه كضربة السوط فاخضر ذلك، فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله فقال:(صدقت) ذلك مدد من السماء الثالثة (5)

1) مسند أحمد 2 / 255 ونقله السيوطي في الخصائص الكبرى 1 / 201 والصالحي في السيرة الشامية وعزاه للامام أحمد والبزار والحاكم: في 4 / 63.
2) رواه البيهقي في الدلائل 3 / 55 وأبو يعلى والحاكم عن علي ﷺ. وذكره الهيثمي في الزوائد 6 / 77 وقال: رواه أبو يعلى ورجاله ثقات، ونقله الصالحي في السيرة الشامية 4 / 61.
3) حيزوم: اسم الفرس الذي يركبه الملك.
4) خطم: الخطم الأثر على الأنف.
5) مسلم في الجهاد، باب الإمداد بالملائكة رقم (1763).

ومن حديث ابن عباس ب أيضاً قال: (إن النبيصقال يوم بدر:"هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب" (1)

ومن حديث علي بن أبي طالب ت قال:(فجاء رجل من الأنصار قصير بالعباس بن عبدالمطلب أسيراً، فقال العباس: يا رسول الله ص إن هذا والله ما أسرني، لقد أسرني رجل أجلح (2) من أحسن الناس وجهاً على فرس أبلق(3)ما أراه في القوم، فقال الأنصاري: أنا أسرته يا رسول الله فقال:(أسكت فقد أيدك الله بملك كريم) ، ومن حديث أبي داود المازني قال: (إني لأتبع رجلاً من المشركين لأضربه إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي فعرفت أنه قتله غيري) (4).إن إمداد الله تعالى للمؤمنين بالملائكة أمر قطعي ثابت لاشك فيه، وإن الحكمة من هذا الإمداد تحصيل ما يكون سبباً لانتصار المسلمين، وهذا ما حصل بنزول الملائكة، فقد قاموا بكل ما يمكن أن يكون سبباً لانتصار المسلمين، وهذا ما حصل بنزول الملائكة،

1) البخاري في المغازي، باب فضل من شهد بدراً رقم (3995).
2) الأجلح: الذي انحسر شعره عن جانبي رأسه.
3) الأبلق: ارتضع التحجيل الى فخذيه.
4) صحيح السيرة النبوية ، ص247.

فقد قاموا بكل ما يمكن أن يكون سبباً لنصر المسلمين: من بشارتهم بالنصر، ومن تثبيتهم بما ألقوه في قلوبهم من بواعث الأمل في نصرهم والنشاط في قتالهم، وبما أظهروه لهم من أنهم معاونون من الله تعالى، وأيضاً بما قام به بعضهم من الاشتراك الفعلي في القتال ولاشك أن هذا الاشتراك الفعلي في القتال قوّى قلوبهم وثبتهم في القتال، وهذا ما دلت عليه الآيات، وصرحت به الأحاديث النبوية (1).

إن الإمداد بالملائكة هو بعض ثمرات إيمان تلك العصبة المجاهدة، ذلك الإمداد الذي تحقق به ما يستلزم الغلبة على العدو، ولكن بقيت الغلبة موقفةعلى ما قدمه أولئك المؤمنون في قتال ومباشرة لأعمال القتال، وتعرضهم للقتل وصمودهم وثباتهم في الحرب، واستدامة توكلهم على الله، واعتمادهم عليه، وثقتهم به، وهذه معان جعلها الله حسب سننه في الحياة أسباباً للغلبة والنصرمع الأسباب الأخرى المادية، مثل العُدة والعدد والاستعداد للحرب وتعلم فنونه .. الخ ولهذا فإن الإسلام يدعو المسلمين إلى أن يباشروا بأنفسهم إزهاق الباطل وقتال المبطلين، وأن يهيئوا الأسباب المادية والإيمانية للغلبة والانتصار، وبأيديهم إن شاء الله تعالى ينال المبطلون ما يستحقونه من العقاب

1) المستفاد من قصص القرآن ، 2/131-132

قال تعالى: قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ (14) وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (15) [سورة التوبة: الآية14،15]

إن نزول الملائكة عليهم السلام من السموات العلى إلى الأرض لنصر المؤمنين حدث عظيم ، إنه قوة عظمى، وثبات راسخ للمؤمنين حينما يوقنون بأنهم ليسوا وحدهم في الميدان، وأنهم إذا حققوا أسباب النصر واجتنبوا موانعه فإنهم أهل لمدد السماء، وهذا الشعور يعطيهم جرأة في مقابلة الأعداء وإن كان ذلك على سبيل المغامرة، لبَعد التكافؤ المادي بين جيش الكفار الكبير عدداً القوي إعداداً، وجيش المؤمنين القليل عدداً الضعيف إعداداً.وهو في نفس الوقت عامل قوي في تحطيم معنوية الكفار وزعزعة يقينهم، وذلك حينما يشيع في صفوفهم احتمال تكرار نزول الملائكة الذي شاهدهم بعضهم عياناً إنهم مهما قدروا قوة المسلمين وعددهم فإنه سيبقى في وجدانهم رعب مزلزل من احتمال مشاركة قوى غير منظورة، لا يعلمون عددها ولا يقدِّرون مدى قوتها وقد رافق هذا الشعور المؤمنين في كل حروبهم التي خاضها الصحابة يفي العهد النبوي وفي عهد الخلفاء الراشدين، كما رافق بعض المؤمنين بعد ذلك، فكان عاملاً قوياً في انتصاراتهم المتكررة الحاسمة مع أعدائهم (1) .

1) التاريخ الاسلامي ، الحميدي ، 145/4

إبليس ينسحب عن ميدان القتال

وكان إبليس في جند من الشياطين معه رايته في صورة رجال من بني مدلج، والشيطان في صورة سراقة بن مالك بن جعشم(1)، فقال الشيطان للمشركين:لا غالب لكم اليوم من الناس، وإني جار لكم، وهذا ما حكاه القرآن في قوله تعالى :

وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ ۚ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ [سورة الأنفال: الآية 48]

وأقبل جبريل إلى إبليس فلم رآه - وكانت يده في يد رجل من المشركين - انتزع إبليس يده. ثم ولى مدبرا وشيعته، فقال الرجل: يا سراقة، ألست تزعم أنك جار لنا فقال: إني أرى ما لا ترون، إني أخاف الله، والله شديد العقاب، وهذا ما حكاه القرآن في قوله تعالىوَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ ۚ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ [سورة الأنفال: الآية 48]

---

1) أنظر : سيرة ابن هشام 2 / 317 - 318 ، ونقله البيهقي عن موسى بن عقبة كتاب المغازي يزيد كلمة وينقص كلمة والمعنى واحد، دلائل النبوة 3 / 147 - 149

وذلك حين رأى الملائكة، فتشبث به الحارث بن هشام - وأسلم بعد ذلك - وهو يرى أنه سراقة لما سمع كلامه، فضرب الشيطان في صدر الحارث فسقط الحارث، وانطلق إبليس لا يلوي، حتى سقط في البحر، ورفع يديه وقال: يا رب موعدك الذي وعدتني، اللهم إني أسألك نظرتك إياي ،وخاف أن يخلص إليه القتل. ويروى أنهم رأوا سراقة بمكة بعد ذلك فقالوا له: يا سراقة أخرمت الصف وأوقعت فينا الهزيمة، فقال: والله ما علمت بشيء من أمركم حتى كانت هزيمتكم، وما شهدت وما علمت، فما صدقوه حتى أسلموا وسمعوا ما أنزل الله تعالى فيه. فعلموا أنه كان إبليس تمثل لهم(1).

ففي ذلك يقول حسان :

1) محمد بن يوسف الصالحي الشامي ، سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد ، 43/4

سرنا وساروا إلى بدر لحينهم   لو يعلمون يقين العلم ما ساروا

دلاهم بغرور ثم أسلمهم   إن الخبيث لمن والاه غرار

وقال إني لكم جار فأوردهم   شر الموارد فيه الخزي والعار

ثم التقينا فولوا عن سراتهم   من منجدين ومنهم فرقة غاروا (1).

وهذا كقوله تعالى:

كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ [سورة الحشر: الآية 16].

1) محمد بن عبد الله بن يحي ابن سيد الناس ، عيون الاثر في فنون المغازي والشمائل والسير، 325/1 ، أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي ، لاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، تحقيق : د . محمد كمال الدين عز الدين علي ، عالم الكتب - بيروت ، الطبعة الأولى- 1417هـ ، 43/2

وقد قال الله تعالى: وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ۚ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا [سورة الإسراء: الآية 81].

فإبليس لعنه الله لما عاين الملائكة يومئذ تنزل للنصر فر ذاهبا فكان أول من هزم يومئذ بعد أن كان هو المشجع لهم المجير لهم كما غرهم ووعدهم ومناهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا. وبعد انسحاب إبليس من المعركة بدأت أمارات الفشل والاضطرابفي صفوف المشركين، وجعلت تتهدم أمام حملات المسلمين العنيفة، واقتربت المعركة من نهايتها، وقد حاول أبو جهل إعادة ترتيب صفوف المشركين ، وإرجاع من فر منهم ، وتثبيت من اضطرب منهم فنادي عليهم قائلا: يا معشر الناس لا يهمنكم خذلان سراقة، فإنه كان على ميعاد من محمد، ولا يهمنكم قتل عتبة وشيبة،

فإنهم قد عجلوا.فواللات والعزى لا نرجع حتى نقرن محمدا وأصحابه بالحبال، ولا ألفين رجلا منكم قتل رجلا منهم، ولكن خذوهم أخذا حتى نعرفهم سوء صنعيهم(1).

ولكن ذهبت هذه المناشدات أدراج الرياح وتصدعت صفوف المشركين أمام تيارات هجوم المسلمين ، وأخذت جموع المشركين في الفرار والانسحاب المبدد، وركب المسلمون ظهورهم يأسرون ويقتلون، حتى تمت عليهم الهزيمة ، وانتصر المسلمون عليهم ، وقتل من المشركين سبعين رجلاً، وأسر منهم سبعون، وكان أكثرهم من قادة قريش وزعمائهم، واستشهد من المسلمين أربعة عشر رجلاً، منهم ستة من المهاجرين، وثمانية من الأنصار (2) .

1) محمد بن يوسف الصالحي الشامي ، سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد ، 43/4

2) انظر: الواقدي:ص 143، وابن هشـــام 2/ 365، وابن ســـيد الناس، ص 285، وتاريخ الخميس 1/ 403 ، وأنظر : البخاري ، كتاب المغازي ،10/ ح 3986 وأعاده في التفسير - سورة آل عمران - وأخرجه أبو داود في الجهاد في باب أي وقت يستحب اللقاء ورواه البيهقي في الدلائل 3 / 124.

مصرع أبي جهل:

قال عبد الرحمن بن عوف ت:بينما أنا واقف في الصف يوم بدر، نظرت عن يميني وشمالي، فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثة أسنانهما، تمنيت لو كنت بين أضلع منهما (1)،

فغمزني (2) أحدهما فقال:يا عم هل تعرف أبا جهل؟ قال:قلت: نعم وما حاجتك إليه يا ابن أخي؟ قال:أخبرت أنه يسب رسول الله ص ، والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده، حتى يموت الأعجل منا. قال: فتعجبت لذلك، فغمزني الآخر فقال مثالها. قال: فلم أنشب (3) أن نظرت إلى أبي جهل يزول في الناس فقلت:ألا تريان؟ هذا صاحبكما الذي تسألان عنه، قال:فابتدراه بسيفيهما حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى رسول الله صفأخبراه، فقال:(أيكما قتله؟)فقال كل واحد منهما: أنا قتلته، فقال:(كلاكما قتله)، وقضى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح. والرجلان معاذ بن عمرو بن الجموح، ومعاذ بن عفراء(4)،

---

1) أضلع: أقوى وأعظم وأشد.
2) عمزني: قرصني.
3) أنشب: ألبث.
4) البخاري، كتاب المغازي، باب من شهد بدراً رقم 3988

وفي حديث أنس قال رسول الله صيوم بدر:(من ينظر ما صنع أبو جهل؟) فانطلق ابن مسعود فوجده قد ضرباه (أبناء عفراء حتى برد (1) ، فأخذ بلحيته فقال: أنت أبو جهل، قال: وهل فوق رجل قتله قومه أو قال: (قتلتموه) (2) ، وفي حديث عبد الله بنمسعودت قال:(أدركت أبا جهل يوم بدر صريعاً، فقلت:أي عدو الله قد أخزاك الله؟ قال: وبما أخزاني؟من رجل قتلتموه، ومعي سيف لي، فجعلت أضربه ولا يحتك فيه شيء، ومعه سيف له جيد، فضربت يده فوقع السيف من يده فأخذته ثم كشفت المغفر عن رأسه، فضربت عنقه، ثم أتيت النبيصفأخبرته فقال: (الله الذي لا إله إلا هو).قلت:الله الذي لا إله إلا هو.

قال: فانطلق فاستثبت فانطلقت وأنا أسعى مثل الطائر، ثم جئت وأنا أسعى مثل الطائر أضحك فأخبرته.فقال رسول الله ص:(انطلق) فانطلقت معه فأريته، فلما وقفعليهقفال:(هذا فرعون هذه الأمة) (3) .

---

1) برد: قارب على الموت وكان في النزع الأخير.
2) البخاري، كتاب المغازي، باب قتل أبي جهل رقم 3963
3) صحيح السيرة النبوية، ص242.

كان الدافع من حرص الأنصاريين الشابين على قتل أبي جهل ما سمعاه من أنه كان يسب رسول الله ص ، وهكذا تبلغ محبة شباب الأنصار لرسولالله صإلى بذل النفس في سبيل الانتقام ممن تعرض له بالأذى.لقد كان أبو جهل مستكبراً جباراً حتى وهو صريع وفي آخر لحظات حياته،- وهذا شأن الطغاة والفراعنة في كل زمان ومكان -فقد جاء في رواية لابن إسحاق أنه قال لعبد الله بن مسعود لما أراد أن يحتزّ رأسه (لقد ارتقيت مرتقىَ صعباً يارويعي الغنم) (1) .لقد أراد الله عز وجل أن يذل فرعون هذه الأمة فقتله لم يأتي علي يد فارس من فرسان الإسلام ولا شجاعا من شجعانه ، إنما علي يد شابين صغيرين من شباب الإسلام ، وإمعانا في الامتهان لأبو جهل جاء الخلاص من الدنيا علي يد من كان يمعن في تعذيبه ، ومن أحد المستضعفين الذين طالما أذاقهم هذا الطاغية ويلات التعذيب .فالله تعالى لم يعجِّل لهذا الخبيث أبي جهل بضربات الأبطال من أشبال الأنصار، ولكنه أبقاه مصروعاً في حالة من الإدراك والوعي بعد أن أصابته ضربات أشفَتْ به على الهلاك الأبدي ليريه بعين بصره ما بلغه من المهانة والذل والخذلان على يد من كان يستضعفه ويؤذيه، ويضطهده بمكة من رجال الرعيل الأول، السابقين إلى مظلَّة الإيمان، وطهر العقيدة، والتعبد لله بشرائعه، التي أنزلها رحمة للعالمين عبد الله بن مسعود ت ،

1) ابن هشام ، السيرة النبوية ، 247/2

فيعلو على صدره، ويدوسه بقدميه، ويقبض على لحيته تحقيراً له، ويقرعه تقريعاً يبلغ من نفسه مجمع غروره واستكباره في الأرض، ويستل منه سيفه إمعاناً في البطش به فيقتله به، ويمعن في إغاظته بإخباره أن النصر عقد بناصية جند الله وكتيبة الإسلام، وأن شنار الهزيمة النكراء وعارها، وخزيها وخذلانها قد رزئت به كتائب الغرور الأجوف في حشود النفير الذي قاده هذا الكفور الخبيث) (1) .

إن ما جرى لأبو جهل وأمثاله الطغاة من قتل مفزع درساً بليغاً للطغاة المتجبرين، وعبرة للمعتبرين، الذين يغترون بقوتهم وينخدعون بجاههم ومكانتهم، فيعتدون على الضعفاء، ويسلبونهم حقوقهم مآلهم إلى عاقبة سيئة ووخيمة في الآخرة، وقد يمكن الله للضعفاء منهم في الدنيا قبل الآخرة كما حدث لأمية بن خلف وأضرابه من طغاة الكفر ، قال تعالى: وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ [سورة القصص: الآية 5]

1) صادق عرجون ، محمد رسول الله، 432/3،431

مصرع أمية بن خلف:

قال عبد الرحمن بن عوف ت : كاتبت أمية بن خلف كتاباً بأن يحفظني في صاغيتي (1) بمكة وأحفظه في صاغيته بالمدينة، فلما ذكرت (الرحمن) قال: لا أعرف الرحمن، كاتبني باسمك الذي كان في الجاهلية، فكاتبته (عبد عمرو).

فلما كان في يوم بدر خرجت إلى جبل لأحرزَه(2)حين نام الناس، فأبصره بلال، فخرج حتى وقف على مجلس من الأنصار، فقال:أمية بن خلف لا نجوتإن نجا أمية، فخرج معه فريق من الأنصار في آثارنا فلما خشيت أن يلحقونا خلفت لهم ابنه لأشغلهم فقتلوه ثم أبوا حتى يتبعونا - وكان رجلاً ثقيلاً - فلما أدركونا قلت له: ابرك، فبرك، فألقيت عليه نفسي لأمنعه، فتجللوه(3)، بالسيوف من تحتي حتى قتلوه، وأصاب أحدهم رجلي بسيفه وكان عبد الرحمن بن عوف يرينا ذلك الأثر في ظهر قدمه (4)وفي رواية أخرى لعبد الرحمن بن عوف ت قال: كان أمية ابن خلف لي صديقاً بمكة، وكان اسمي عبد عمرو فتسميت حين أسلمت عبد الرحمن، ونحن بمكة، فكان يلقاني إذ نحن بمكة فيقول: يا عبد عمرو أرغبت عن اسم سماك أبوك؟ قال:فأقول نعم.

---

1) الصاغية: صاغية الرجل ما يميل إليه، ويطلق على الأهل والمال.
2) أحرزه: أحميه.
3) تجللوه: طعنوه وأصابوه.
4) البخاري، كتاب الوكالة، باب إذا وكل مسلم حربياً رقم (2301).

قال: فإني لا أعرف الرحمن، فاجعل بيني وبينك شيئاً أدعوك به، أما أنت فلا تجبني باسمك الأول، وأما أنا فلا أدعوك بما لا أعرف!

قال: وكان إذا دعاني يا عبد عمرو لم أجبه، قال: فقلت: يا أبا علي اجعل ما شئت، قال:فأنت عبد الإله، قال:قلت: نعم.

قال: فكنت إذا مررت به قال:يا عبد الإله فأجبته فاتخذ معه، حتى إذا كان يوم بدر، مررت به وهو واقف مع ابنه علي، وهو آخذ بيده قال: ومعي أدراع لي قد استلبتها، فأنا احملها، فلما رآني قال: يا عبد عمرو فلم أجبه، فقال: يا عبد الإله فقلت: نعم، قال:هل لك فيّ فأنا خير لك من هذه الأدراع التي معك؟ قال: قلت: نعم ها لله؟ قال: فطرحت الأدراع من يدي، وأخذت بيده وبيد ابنه وهو يقول:ما رأيت كاليوم قط، أما لكم حاجة في اللبن؟ ثم خرجت أمشي بهما، قال ابن هشام: يريد باللبن أن من أسرني افتديت منه بإبل كثيرة اللبن (1).لقد جري لهذا الطاغية مثل ما جري لأبو جهل ، حيث قتل علي أيدي أحد المستضعفين الذين أذيقوا الويلات والعذاب علي أيديهم ، فحينما رأى عدوه اللدود أمية بن خلف الذي كان يسومه أقسى وأعنف أنواع العذاب في مكة فلما رآه في يد عبد الرحمن بن عوف ت أسيراً صرخ بأعلى صوته (لانجوت إن نجا).

1) سيرة ابن هشام ، 243/2

ولقد حق لبلال بن رباح وأمثاله التشفي من هذا الطاغية ومن أمثاله في الحياة الدنيا نعمة يفرَج الله بها عن المكروبين من المؤمنين الذين ذاقوا الذل والهوان على أيدي أولئك الفجرة الطغاة قال تعالى:

قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ (14) وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (15)

[سورة التوبة: الآية 15، 14]

ولما انقضت الحرب أقبل رسول الله ص حتى وقف على القتلى فقال : (بئس العشيرة كنتم لنبيكم؛ كذبتموني وصدقني الناس، وخذلتمونيونصرني الناس، وأخرجتموني وآواني الناس) ، ثم أمر بهم فسحبوا إلى قليبمن قُلُب بدر (1).وعن أبي طلحة : أن نبي الله ق أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلًا من صناديد قريش، فقذفوا في طَويّ (2)

1) زاد المعاد ، 187/3
2) الطوي : البئر التي بنيت جدرانها بالحجارة

من أطواء(1) بدر خَبِيث مُخْبث . وكان من هديه ق إذا انتصر على قوم أقام بالعَرْصَة (2)ثلاث ليال، فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فشد عليها رحلها، ثم مشى، واتبعه أصحابه . حتى قام على شفة الرِكِيّ(3)

فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم، (يا فلان بن فلان، يا فلان بن فلان، أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله ؟ فإنا قد وجدناما وعدنا ربنا حقًا، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًا ؟) فقال عمر : يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح لها ؟ قال النبي ص : (والذي نفس محمدبيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم) وفي رواية : (ما أنتم بأسمع منهم، ولكنلا يجيبون)(4) .

1) الأطواء : جمع طوي وهو بئر مبنية بالحجارة
2) العرصة: كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء، والعرصتان كبرى وصغرى بعقيق المدينة.
3) على شفة الرّكيّ: أي على طرف البئر.
4) البخاري- الفتح ، 7 / 3976

مكة تعلم بهزيمة جيشها :

لقد كانت هزيمة قريش فادحة، فقد فرو من ساحة بدر في صورة غير منظمة وتبعثروا في الوديان والشعاب، واتجهوا صوب مكة مذعورين، لا يدرون كيف يدخلونها خجلًا ، وكان خبر الهزيمة على أهل مكة كالصاعقة ولم يصدقوا ذلك في بداية الأمر، وكان أول من قدم بمصاب قريش الحَيْسُمَان بن عبد الله الخزاعى فقالوا : ما وراءك ؟ قال : قتل عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو الحكم بن هشام وأمية بن خلف، في رجال من الزعماء سماهم . فلما أخذ يعد أشراف قريش قال صفوان بن أمية وهو قاعد في الحِجْر : والله إن يعقل هذا، فاسألوه عنى . قالوا : ما فعل صفوان بن أمية ؟ قال : ها هو ذا جالس في الحجر، وقد والله رأيت أباه وأخاه حين قتلا (1). وهذا أبو رافع مولى رسول الله ص يقص علينا أثر خبر هزيمة قريش على أبي لهب - لعنه الله- حيث قال: كنت غلامًا للعباس بن عبد المطلب، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت، وأسلمتْ أم الفضل وأسلمتُ، وكان العباس يهاب قومه ويكره أن يخالفهم، وكان يكتم إسلامه، وكان ذا مال كثير متفرق في قومه وكان أبو لهب عدو الله قد تخلف عن بدر فبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة.. فلما جاءه الخبر عن مصاب أصحاب بدر من قريش كبته الله وأخزاه ووجدْنا في أنفسنا قوةً وعزةً.

---

1) صحيح السيرة النبوية، ص257.

قال: كنت رجلاً ضعيفًا، وكنت أعمل القداح وأنحتها في حجرة زمزم، فوالله إني لجالس فيها أنحت القداح وعندي أم الفضل (زوجة العباس بن عبد المطلب) جالسة وقد سرّنا ما جاءنا من الخبر، إذ أقبل الفاسق أبو لهب يجر رجليه بشرَ حتى جلس على طنب الحجرة، فكان ظهره إلى ظهري فبينما هو جالس إذ قال الناس: هذا أبو سفيان بن الحارث ابن عبد ا لمطلب قد قدم، فقال: أبو لهب: هلم إليّ فعندك لعمري الخبر، قال: جلس إليه والناس قيام عليه فقال: يا ابن أخي أخبرني كيف كان أمر الناس؟ قال: والله ما هو إلا أن لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا يقودوننا كيف شاؤوا ويأسروننا كيف شاؤوا، وايم الله مع ذلك ما لُمت الناس، لقينا رجالاً بيضًا على خيل بلق (1) بين السماء والأرض، والله ما تليق(2) شيئًا، ولا يقوم لها شيء.

قال أبو رافع: فرفعت طنب الحجرة بيدي ثم قلت: تلك والله الملائكة، قالفرفع أبو لهب يده فضرب بها وجهي ضربة شديدة، قال: وثاورته(3)

---

1) البلق : جمع أبلق وهو الذي فيه سواد وبياض
2) ما تليق: ما تبقي.
3) ثاورته: ثبت له.

فاحتملني وضرب بي الأرض ثم برك عليّ يضربني وكنت رجلاً ضعيفًا، فقامت أم الفضلإلى عمود من عمد الحجرة فأخذته فضربته به ضربة فلعت(1)في رأسه شجة منكرة، وقالت: استضعفته أن غاب عنه سيده، فقام موليَا ذليلاً، ثم مات بعد سبع ليالِ بالعدسة(2) فقتلته، فقتلته، فتركه بنوه، وبقى ثلاثة أيام لا تقرب جنازته ولا يحاول دفنه، فلما خافوا السبة في تركه حفروا له، ثم دفعوه بعود في حفرته وقذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه .

وعن ابن إسحاق: فلقد تركه ابناه بعد موته ثلاثا ما دفناه حتى أنتن.

وكانت قريش تتقي هذه العدسة كما تتقي الطاعون حتى قال لهم رجلمن قريش: ويحكما ألا تستحيان أن أباكما قد أنتن في بيته لا تدفنانه ؟ فقالا إنا نخشى عدوة هذه القرحة، فقال: انطلقا فأنا أعينكما عليه فوالله ما غسلوه إلا قذفا بالماء عليه من بعيد ما يدنون منه، ثم احتملوه إلى أعلا مكة فأسندوه إلى جدار ثم رضموا عليه بالحجارة(3).

1) فلعت: شقت
2) العدسة: قرحة قاتلة كالطاعون، وقد عدس الرجل: إذا أصابه ذلك.
3) ابن هشام ، السيرة النبوية ، 258/2 ، دلائل البيهقي ، 3 / 146.

هكذا تلقت مكة أنباء الهزيمة الساحقة في ميدان بدر، وقد أثر ذلك فيهم أثرَا سيئًا جدًا، حتى منعوا النياحة على القتلى؛ لئلا يشمت بهم المسلمون .

قال ابن إسحاق: ناحت قريش على قتلاهم، ثم قالوا: لا تفعلوا يبلغ محمدا وأصحابه فيشمتوا بكم، ولا تبعثوا في أسراكم حتى تستأنسوا (1) بهم لا يأرب عليكم محمد وأصحابه في الفداء.

قال ابن كثير : وكان هذا من تمام ما عذب الله به أحياءهم في ذلك الوقت وهو تركهم النوح على قتلاهم، فإن البكاء على الميت مما يبل فؤاد الحزين(2).

ومن الطرائف أن الأسود بن المطلب أصيب ثلاثة من أبنائه يوم بدر، وكان يحب أن يبكي عليهم، وكان ضرير البصر، فسمع ليلا صوت نائحة، فبعث غلامه وقال : انظر هل أحل النَّحْبُ ؟ هل بكت قريش على قتلاها ؟ لعلي أبكي على أبي حكيمة ـ ابنه ـ فإن جوفي قد احترق، فرجع الغلام وقال : إنما هي امرأة تبكعلى بعير لها أضلته، فلم يتمالك الأسود نفسه وقال :

1) حتى تستأنوا: أي تؤخروا فداءهم حتى لا يتشدد في طلب الفداء.
2) البداية والنهاية ، 377/3

أتبكي أن يضل لها بعير ويمنعها من النوم السهود

فلا تبكي على بكر ولكن على بدر تقاصرت الجدود

على بدر سراة بني هصيص ومخزوم ورهط أبي الوليد

وبكى إن بكيت على عقيل وبكى حارثا أسد الأسود

وبكيهم ولا تسمى(1) جميعا وما لأبي حكيمة من نديد(2)

ألا قد ساد بعدهم رجال ولولا يوم بدر لم يسودوا(3)

---

1) لا تسمي: لا تسأمي
2) النديد: الشبيه والمثل.
3) البداية والنهاية ، 377/3 ، نسب قريش ، ص 218

لقد تركت غزوة بدر بنفوس أهل مكة المشركين كمدًا وأحزانًا وآلامًا بسبب هزيمتهم ومن فُقدوا وأسروا، فهذا أبو لهب لم يلبث أن أصيب بعلة ومات، وهذا أبو سفيان فقد ابنًا له وأُسر له ابنٌ آخر، وما من بيت من بيوت مكة إلا وفيه مناحة على قتل عزيز أو قريب، أو أسر أسير، فلا عجب أن كانوا صمموا في أنفسهم على الأخذ بالثأر، حتى إن بعضهم حرم على نفسه الاغتسال، مثل أبو سفيانبن حرب الذي نذر ألا يمس رأسه من ماء جنابة حتى يغزو المسلمين ، ويأخذ بالثأر ممن أذلوهم، وقتلوا أشرافهم وصناديدهم، وانتظروا يترقبون الفرصة للقاء المسلمين والانتصاف منهم، فكان ذلك في أحد(1).

1) أبو شهبة ، السيرة النبوية ، 171/2

المدينة تبتهج لنصر جيش المسلمين

لقد حقق المسلمون نصراً مدوياً علي مشركي مكة ، وفي الوقت الذي تلقت فيه مكة نبأ هزيمة جيشها بالألم والحسرة ، تلقت المدينة نبأ انتصار المسلمين بالتكبير والتهليل والفرحة ، فبعد أن أتم الله الفتح للمسلمين أرسل رسول الله ص بشيرين إلى أهل المدينة؛ ليعجل لهم البشرى، أرسل عبد الله بن رواحة بشيراَ إلى أهل العالية، وأرسل زيد بن حارثة بشيراَ إلى أهل السافلة .

فجاءوا يوم الأحد شد الضحى(1)، وفارق عبد الله زيدا بالعقيق فجعل عبد الله ينادي على راحلته يا معشر الأنصار، أبشروا بسلامة رسول الله ص وقتل المشركين وأسرهم قتل ابنا ربيعة، وابنا الحجاج وأبو جهل وقتل زمعة بن الأسود، وأمية بن خلف، وأسر سهيل بن عمرو ذو الأنياب في أسرى كثيرة. قال عاصم بن عدي: فقمت إليه فنحوته فقلت: أحقا ما تقول يا ابن رواحة؟ قال إي والله وغدا يقدم رسول الله إن شاء الله ومعه الأسرى مقرنين. ثم اتبع دور الأنصار بالعالية - العالية بنو عمرو بن عوف وخطمة ووائل منازلهم بها - فبشرهم دارا دارا، والصبيان يشتدون معه ويقولون قتل أبو جهل الفاسق حتى انتهواإلى بني أمية بن زيد ، ولما قدم زيد بن حارثة على ناقة النبي ص القصواء يبشر أهل المدينة،

1) شد الضحى: ارتفاعه

جاء المصلى وصاح على راحلته قتل عتبة وشيبة ابنا ربيعة. وابنا الحجاج وأبو جهل وأبو البختري. وزمعة بن الأسود، وأمية بن خلف. وأسر سهيل بن عمرو ذو الأنياب في أسرى كثيرة. فجعل الناس لا يصدقون زيد بن حارثة ويقولون ما جاء زيد إلا فلا(1) حتى غاظ المسلمين ذلك وخافوا..فقال رجل من المنافقين لأسامة بن زيد قتل صاحبكم ومن معه. وقال رجل من المنافقين لأبي لبابة بن عبد المنذر قد تفرق أصحابكم تفرقا لا يجتمعون منه أبدا، وقد قتل علية أصحابه وقتل محمد ، هذه ناقته نعرفها، وهذا زيد لا يدري ما يقول من الرعب وجاء فلا. قال أبو لبابة يكذب الله قولك وقالت يهود ما جاء زيد إلا فلا!

قال أسامة بن زيد فجئت حتى خلوت بأبي. فقلت: يا أبه. أحق ما تقول؟ قال إي والله حقا يا بني فقويت في نفسي، فرجعت إلى ذلك المنافق فقلت: أنت المرجف برسول الله وبالمسلمين ليقدمنك رسول الله ص إذا قدم فليضربن عنقك فقال يا أبا محمد إنما هو شيء سمعت الناس يقولونه، ، ولما تأكد لديهم فتح المسلمين فَعَمّت البهجة والسرور، واهتزت أرجاء المدينة تهليلًا وتكبيراً(2).

---

1) الفل: القوم المنهزمون

2) البداية والنهاية ، 371/3 ، مغازي الواقدي ، 115/1

الخلاف حول الأنفال :

وبعد انتهاء المعركة بانتصار المسلمين أقام رسول الله ص ببدر بعد انتهاء المعركة ثلاثة أيام، وذلك لدفن من استشهد من الصحابة ، وجمع الغنائم وحفظها وإعطاء الجيش الظافر فرصة يستروح فيها، ، ويضمد فيها جراح مجروحيه، (1).

وقبل رحيله ق بالجيش من مكان المعركة وقع خلاف بين الجيش حول الغنائم، فعن عبادة بن الصامت تقال: خرجنا مع النبيص فشهدت معه بدراً فالتقى الناس فهزم الله تبارك وتعالى العدو، فانطلقت طائفة في آثارهم يهزمون ويقتلون فأكبت طائفة على العسكر يحوونه ويجمعونه وأحدقت طائفة برسول الله صلا يصيب العدو منه غرة حتى إذا كان الليل وفاء الناس بعضهم إلى بعض قال الذين جمعوا الغنائم: نحن حوّيناها وجمعناها فليس لأحد فيها نصيب، وقال الذين خرجوا في طلب العدو: لستم بأحق بها منا نحن نفينا عنها العدو وهزمناهم، وقال الذين أحدقوا برسول الله صوخفنا أن يصيب العدو منه غرة واشتغلنا به فنزلت: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ ۖ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ [سورة الأنفال: الآية 1].

1) انظر: موسوعة نظرة النعيم ، 291/1 ، صادق العرجون ، محمد رسول الله ، 453/3

فقسمها رسول الله ص على فواق بين المسلمين (1)وفي رواية قال عبادة بن الصامت عن الأنفال: فينا معشر أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا فنزعه الله تبارك وتعالى من أيدينا فجعله إلى رسول الله ص ، فقسمه رسول الله فينا عن سواء أي على سواء (2).

كان الهتاف لهذه القلوب التي تنازعت على الأنفال، هو الهتاف بتقوى الله(وسبحان خالق القلوب العليم بأسرار القلوب) إنه لا يرد القلب البشري عن الشعور بتقوى الله، وخوفه وتلمس رضاه في الدنيا والأخرى. إن قلباً لا يتعلق بالله يخشى غضبه، ويلتمس رضاه، لا يملك أن يتخلص من ثقلة الأعراض، ولا يملك أن يرف شاعراً بالانطلاق.إن التقوى زمام هذه القلوب التي يمكن أن تقادمته طائفة ذلولة في يسر وفي هوادة وبهذا الزمام يقود القرآن هذه القلوب إلى إصلاح ذات بينهم.

وبهذا الزمام يقودها إلى طاعة الله ورسوله {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ} وأول الطاعة هنا طاعته في حكمه الذي قضاه في الأنفال، فقد خرجت من أن تكون لأحد من الغزاة على الإطلاق، وارتدت ملكيتها ابتداءَ لله والرسول، ص

1) مسند الامام أحمد ، 324/5 ، تفسير ابن كثير ، 283/2، الروض الأنف ، 90/3
2) مسند الامام أحمد ، 322/5، الروض الأنف ، 90/3

فانتهى حق التصرف فيها إلى الله ورسوله، فما على الذين آمنوا إلا أن يستسلموا فيها لحكم الله وقسم رسول الله، طيبة قلوبهم، راضية نفوسهم، وإلا أن يصلحوا علائقهم ومشاعرهم، ويضعوا قلوبهم بعضهم لبعضهم (1).

هذه التربية الربانية تعيد زمام هذه النفوس مستسلمة لله عز وجل وتستعبدها نشوة الظفر، ولا استعلاء النصر، فتنسى ضعفها البشري وقصورها البشري، وتفكر بالاستعلاء والاستكبار على الآخرين.وهذا العرض الرباني يؤكد حقيقة أكبر من النصر على المشركين يؤكدأن صلاح ذات البين، والانتصار الحقيقي على مسارب النفوس ومشارب القلوب هو الأكبر في ميزان الله، وهو الأعظم في ميزان الله، ولا جدوى من نصر يعقبه صراع في الصف، واختلاف في القلوب.وتبين الآيات أن قضية التقوى والإيمان تدخل في كافة شؤون حياة المسلم وبها ينبع تحركه في الحياة وجهاده لإعلاء كلمة الله تعالى (2) .

1) في ظلال القرآن الكريم ، 1473/3، 1474

2) الغضبان ،المنهج التربوي للسيرة النبوية التربية الجهادية ، 52/1

وتحرك رسول الله ص بجيشه نحو المدينة ومعه الأسارى من المشركين واحتمل معه النفل الذي أصيب من المشركين، وجعل عليه عبد الله بن كعب، فلما خرج من مَضِيق الصفراء نزل على كَثِيب بين المضيق و بين النَّازِيَة، وقسم هنالك الغنائم على المسلمين على السواء بعد أن أخذ منها الخمس كما قال الله تعالي :

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [سورة الأنفال: الآية 41]

وهذا بعد ما طهرت قلوبهم من الأخلاط، وأخلصت إلى علاّم الغيوبفي الطاعة، وتمثلت الآيات، فتحققت بمعنى العبودية الخالصة لله وهذا الحكم صريح في أن أربعة أخماس ما غنموه مقسوم بينهم، والخمس لله ورسوله، وهذا الخمس نفسه مردود فيهم أيضاً، وموزّع على الجهات المذكورة - كما ثبت بالسنة.

وقد أعطى رسول الله ص لورثة الشهداء وذويهم نصيبهم من الغنائم وبذلك كان للإسلام السبق في تكريم الشهداء ورعاية أبنائهم وأسرهم من قرابة أربعة عشر قرناً(1).

1) أبو شهبة ، السيرة النبوية ، 176/2

وقد أعطي رسول الله ص من هذه الغنيمة من تخلف بأمره قأو لمهام أوكلها إليهم ، أو لمرض أو عجز أو ظروف أسرية أو بعذر مقبول ، فضرب لهم بسهمهم من الغنيمة وبأجرهم فكانوا كمن حضرها،فقد أعفىقعثمان بن عفان ت من الخروج يوم بدر لأن زوجته رقية كانت مريضة وبحاجة إلى من يرعى شؤونها روى البخاري في صحيحه أن عبد الله بن عمر ب أخبر عن سبب تغيب عثمان تفي غزوة بدر، فقال ت :(وما تغيبه عن بدر فإنه كانت تحته بنت رسول الله ص وكانت مريضة فقال له رسول الله ص :(إن لك أجر رجل ممن شهد بدراً وسهمه) (1). كما أمرق أبا أمامة بالبقاء عند أمه حيث كانت مريضة وهي بحاجة إليه، فعن أبي أمامة بن ثعلبة تأن رسول الله ص أخبرهم بالخروجإلى بدر وأجمع الخروج معه فقال له خاله أبو بردة بن نيّار: أَقِمْ على أمك، يا ابن أختي فقال له أبو أمامة: بل أنت فأقم على أختك، فذكر ذلك للنبي ص فأمرأبا أمامة بالمقام على أمه وخرج بأبي بردة، فقدم النبي ص وقد توفيت فصلى عليها (2).

1) البخاري، كتاب الفضائل، باب مناقب عثمان (245/4) رقم (3699).
2) الطبراني في الكبير ورجاله ثقات. انظر: مجمع الزوائد ، 31/3

وأبو لبابة الذي استخلفه ق على المدينة ، وعاصم بن عدي الذيأرسلهق في مهمة لأهل العالية -في المدينة، والحارث بن حاطب الذي أرسله في مهمة إلى بني عمرو بن عوف والحارث بن الصمة الذي وقع أثناء الطريق فكسر فرده ق، وخوات بن جبير الذي أصابه في الطريق حجر في ساقه فردهمن الصفراء (1) .

مقتل عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث :

وفي طريق عودة الجيش الإسلامي إلى المدينة أمر النبي ق بقتل اثنينمن الأسرى وهما النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط اللذين كانا من أئمة الكفر، يؤذيان المسلمين بمكة ويشتدان في عداوتهما لله ولرسوله، وكان في قتلهما درسا بليغا للطغاة ونهاية حاسمة للجبروت (2).ولقد أمر رسول الله صبقتلهما، عندما وصل إلى الصفراء (3) أثناء رجوعه للمدينة، فلما سمع عقبة بن معيط بأمر قتله قال: ياويلي علام أقتل يامعشر قريش من بين من هاهنا؟

1) معين السيرة ، ص215.
2) الهيثمي- مجمع الزوائد 6/ 89، الســـهيلي- الروض الأنف 3/ 53، وانظر: الطبراني- الكبير 11/ 406 (حديث 12154)، وأورد ابن هشام في السيرة 2/ 327 أن الآية (27) من سورة الفرقان قد نزلت في عقبة بن أبي معيط هذا، وأخرج ذلك الطبري في تفســـيره (19/ 6) عن طريق عبد الله بن عباس- رضـــي الله عنهما-، وانظر: ابن كثير- التفسـير 6/ 116 وقال: «وسـواء كان سـبب نزولها في عقبة بن أبي معيط أو في غيره، فإنها عامة في كل ظالم».
3) الصَّفراء: واد كثير النخل والزرع والخير.

فقال رسول الله ص :(لعدواتك لله ولرسوله) قال: يا محمد منّك أفضل، فاجعلني كرجل من قومي، إن قتلتهم قتلتني، وإن مننت عليهم مننت عليّ، وإن أخذت منهم الفداء كنت كأحدهم، يا محمد، من للصبية؟ قال رسول الله ص:(النار قدّمه يا عاصم فاضرب عنقه) ، فقدمه عاصم فضرب عنقه (1).

لقد كان عقبة بن أبي معيط هذا من مردة قريش، وكان شديد الإيذاء لرسول الله ص ، فقد وروى البخاري بسنده إلى عروة بن الزبير، قال: سألت عبد اللّه بن عمر عن أشد ما صنع المشركون برسول اللّه ص، قال: رأيت عقبة بن أبي معيط، جاء إلى النبي ص، وهو يصلي، فوضع رداءه في عنقه فخنقه خنقا شديدا فجاء أبو بكر حتى دفعه عنه ق، فقال: « أتقتلون رجلا أن يقول ربّي اللّه، وقد جاءكم بالبيّنات من ربّكم؟» (2).

وروى البخاري (3) ومسلم (4) من حديث ابن مسعود، قال: «بينما رسول اللّه ص يصلي عند البيت، وأبو جهل وأصحاب له جلوس،

1) مجمع الزوائد (89/6) قال فيه رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات.
2) البخاري- الصحيح- الفتح: (14/ 179/ ح 3678) و(15/ 9- 11/ ح 3856).
3) البخاري- الصحيح- الفتح (12/ 66/ ح 2934).
4) مسلم- الصحيح (3/ 1418- 1419/ ح 1794).

وقد نحرت جزور بالأمس، فقال أبو جهل: أيكم يقوم إلى سلا جزور بني فلان فيأخذه فيضعه في كتفي محمد إذا سجد. فانبعث أشقى القوم (1)

فأخذه. فلما سجد النبي ص وضعه بين كتفيه، قال: فاستضحكوا، وجعل بعضهم يميل على بعض وأنا قائم أنظر. لو كان لي منعة طرحته عن ظهر رسول اللّه ص، والنبي ص ساجد ما يرفع رأسه حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة، فجاءت هي وجويرية، فطرحته عنه، ثم أقبلت عليهم تشتمهم. فلما قضى النبي ص صلاته رفع صوته ثم دعا عليهم ». وأما النضر بن الحارث، فقد كان من شياطين قريش، وممن يؤذي رسول الله ص وينصب له العداوة وكان قدم الحيرة، وتعلم بها أحاديث ملوك الفرس وأحاديث رستم واسفنديار، فكان إذا جلس رسول الله ص مجلسًا للتذكير بالله والتحذير من نقمته خلفه النضر ويقول : أنا و الله يا معشر قريش أحسن حديثًا منه، ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم واسفنديار، ثم يقول : بماذا محمد أحسن حديثًا مني .

1) هو عقبة بن أبي معيط كما صرح به في الرواية الثانية عند مسلم- الصحيح (3/ 1419/ ح 1794).

وفي رواية عن ابن عباس أن النضر كان قد اشترى قَيْنَةً، فكان لا يسمع بأحد يريد الإسلام إلا انطلق به إلى قينته، فيقول : أطعميه واسقيه وغنيه، هذا خير مما يدعوك إليه محمد.

وفيه نزل قوله تعالى : وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ [سورة لقمان: الآية 6]. (1).

فأمر النبي ص علي بن أبي طالبتفضرب عنقه . فلما بلغ الخبر أخته قتيلة وقيل أنما هي بنته ورثته بأبيات ثم أسلمت . وفي أسد الغابة أن قتيلة بنت النضر . قال الواقدي هي التي قالت الأبيات التالية في رسول الله صلما قتل أباها النضر بن الحارث يوم بدر وهي :

يا راكبا إن الأثيل مظنة — من صبح خامسة وأنت موفق

أبلغ بها ميتا بأن تحية — ما أن تزال بها النجائب تخفق

1) ابن هشام ، السيرة النبوية ، 439،440/1

مني إليك وعبرة مسفوحة	جادت بواكفها وأخرى تخنق
ظلت سيوف بني أبيه تنوشه	لله أرحام هناك تشقق
قسرا يقاد إلى المنية معتبا	رسف المقيد وهو عان موثق
أمحمد أولست صفو نجيبة	من قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما	من الفتى وهو المغيظ المحنق
فالنضر أقرب من أسرت قرابة	وأحقهم إن كان العتق يعتق

وحين سمع النبي ص بكى وقال لو بلغني هذا الشعر قبل قتله لمننت عليه (1) لقد كان هذان الرجلان من أكبر دعاة الحرب ضد الإسلام والمتربصين بالمسلمين الدوائر، فبقاؤهما يعد مصدر خطر كبير على الإسلام، ولاسيما في تلك الظروف الحاسمة التي تمر بها الدعوة الإسلامية، فلو أطلق سراحهما لما تورّعاعلى سلوك أي طريق فيه كيد للإسلام وأهله، فقتلهما في هذا الظرف ضرورة تقتضيها المصلحة العامة لدعوة الإسلام الفتية (2)

وفود التهنئة:

وعندما رجع رسول الله ص إلى المدينة قادماً من بدر لقي بالروحاء رؤوس الناس يهنؤنه بما فتح الله عليه، ـ وكانوا قد خرجوا للتهنئة والاستقبال حين سمعوا بشارة الفتح من الرسولين ـ يهنئونه بالفتح . وحينئذ قال لهم سَلَمَة بن سلامة : ما الذي تهنئوننا به ؟ فوالله إن لَقِينا إلا عجائز صُلْعًا كالْبُدْن المعُقَّلَةِ فنحرناها،

1) ابن هشام ، السيرة النبوية ، 440/1،439 ، أي لقبل شفاعتها عنده فلا ينافي أن ما فعله حق.
2) محمد احمد باشميل ، غزوة بدر الكبرى، ص162.

فتبسم رسول الله ص، ثم قال : (يا بن أخي، أولئك الملأ) قالابن هشام: يعني الاشراف والرؤساء (1).

وقال أسيد بن حضير : يا رسول الله، الحمد لله الذي أظفرك، وأقر عينك، والله يا رسول الله ما كان تخلفي عن بدر وأنا أظن أنك تلقى عدوًا، ولكن ظننت أنها عير، ولو ظننت أنه عدو ما تخلفت، فقال رسول الله ص : (صدقت) .

ثم دخل رسول الله ص المدينة مظفرَا منصوراً قد خافه كل عدو له بالمدينة وحولها، فأسلم بشر كثير من أهل المدينة، وحينئذ دخل عبد الله بن أبي وأصحابه في الإسلام ظاهرَا (2). وقدم الأسارى بعد بلوغه المدينة بيوم، فقسمهم على أصحابه، وأوصى بهم خيرَا . فكان الصحابة يأكلون التمر، ويقدمون لأسرائهم الخبز، عملًا بوصية رسول الله ص .

ولقيه عبد الله بن أنيس بتربان فقال: يا رسول الله، الحمد لله على سلامتك وما ظفرك! كنت يا رسول الله ليالي خرجت موروداً(3)، فلم يفارقين حتى كان بالأمس فأقبلت إليك. فقال: آجرك الله! (4)

---

1) سيرة ابن هشام ج 2 / 297 ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، 3 /372

2) ابن كثير ، البداية والنهاية ، 3 /305

3) الورود : هي الحمى، إذا أخذت صاحبها ، ويقال : وردته الحمى فهو مورود.

4) مغازي ، الواقدي ، 117/1

ثم دخل رسول الله ص المدينة مظفراَ منصوراً قد خافه كل عدو له بالمدينة وحولها، فقد قويت شوكة المسلمين، وأصبحوا مرهوبين في المدينة وما جاورها وأصبح من يريد أن يغزو المدينة أو ينال من المسلمين أن يفكر ويفكر قبل أن يقدم عل فعلته، وتعززت مكانة الرسول في المدينة، وارتفع نجم الإسلام فيها، وأسلم بشر كثير من أهل المدينة، ولم يعد المتشككون بالدعوة الجديدة والمشركون في المدينة يتجرؤون على إظهار كفرهم وعداوتهم للإسلام، لذا ظهر النفاق والمكر والخداع فأعلنوا إسلامهم ظاهراً أمام النبي ص وأصحابه، فدخلوا في عداد المسلمين وأبقوا على الكفر باطناً، فظلوا في عداد الكفار، فلاهم مسلمون مخلصون في إسلامهم، ولا هم كافرون ظاهرون بكفرهم وعداوتهم للمسلمين قال تعالى: مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا [سورة النساء: الآية 143] .

ومن أجل هذا الموقف المتذبذب، شنّع الله عليهم، وسمّع بهم في كثير من آياته، وتوعدهم بأشد أنواع العذاب، قال تعالى: إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً [سورة النساء: الآية 145].

وجاء جبير بن مطعم وهو كافر أي إلى المدينة يسأل النبي ص في اسارى بدر فقال له ق لو كان شيخك أو الشيخ أبوك حيا فأتانا فيهم لشفعناه ،وفي رواية قال رسول الله ص :(لو كان مطعم بن عدي حياً، ثم كلمني في هؤلاء النتن لأطلقتهم له) (1) .

لان المطعم كان أجار النبي ص لما قدم من الطائف وكان ممن سعىفي نقض الصحيفة كما تقدم ذلك (2).

قضية الأساري :

ولما بلغ رسول الله ص المدينة استشار أصحابه في الأسارى، فقال أبو بكر: يا رسول الله، هؤلاء بنو العم والعَشِيرة والإخوان، وإني أرى أن تأخذ منهم الفدية فيكون ما أخذناه قوة لنا على الكفار، وعسى أن يهديهم الله، فيكونوا لنا عضدًا .

1) أبو داود في الجهاد، باب المن على الأسير رقم 2689 وإسناده صحيح.
2) السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون ، 451/2

فقال رسول الله ص : (ما ترى يابن الخطاب ؟) قال : قلت : والله ما أرى ما رأى أبو بكر، ولكن أرى أن تمكننى من فلان ـ قريب لعمر ـ فأضرب عنقه وتمكن علياَ من عَقيل بن أبي طالب فيضرب عنقه، وتمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه، حتى يعلم الله أنه ليست في قلوبنا هوادة للمشركين . وهؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم فهوى رسول الله ص ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قال عمر، وأخذ منهم الفداء : فلما كان من الغد قال عمر : فغدوت إلى النبي صوأبي بكر وهما يبكيان، فقلت : يا رسول الله، أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك ؟ فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما، فقال رسول الله ص : (أبكى للذي عرض على أصحابك من أخذهم الفداء، فقد عرض عليّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة) ـ شجرة قريبة .

وأنزل الله تعالى : مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (67) لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (68) [سورة الأنفال: الآية 68، 67]

والكتاب الذي سبق من الله قيل : هو قوله تعالى : فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ [سورة محمد: الآية 4] . ففيه الإذن بأخذ الفدية من الأسارى؛ ولذلك لم يعذبوا، وإنما نزل العتاب لأنهم أسروا الكفار قبل أن يثخنوا في الأرض، وقيل : بل الآية المذكورة نزلت فيما بعد، وإنما الكتاب الذي سبق من الله هو ما كان في علم الله من إحلال الغنائم لهذه الأمة، أو من المغفرة والرحمة لأهل بدر .وحيث إن الأمر كان قد استقر على رأي الصديق فقد أخذ منهم الفداء، وكان الفداء من أربعة آلاف درهم إلى ثلاثة آلاف درهم إلى ألف درهم، وكان أهل مكة يكتبون، وأهل المدينة لا يكتبون، فمن لم يكن عنده فداء دفع إليه عشرة غلمان من غلمان المدينة يعلمهم، فإذا حذقوا فهو فداء(1) . وفي رواية: عن عبد الله بن مسعود ت قال: لما كان يوم بدر قال رسول الله ص:(ما تقولون في هؤلاء الأسرى)؟ فقال أبو بكر: يا رسول الله صومك وأهلك استبقهم واستأن بهم لعل الله أن يتوب عليهم.

1) مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم، 1383/3.

وقال عمر: يا رسول الله أخرجوك وكذبوك قربهم فاضرب أعناقهم. وقال عبد الله بن رواحة: يا رسول الله انظر وادياً كثير الحطب، فأدخلهم فيه ثم أضرم عليهم ناراً. فقال العباس: قطعت رحمك، فدخل رسول الله صولم يرد عليهم شيئاً. فقال ناس: يأخذ بقول أبي بكر، وقال ناس: يأخذ بقول عمر، وقال ناس: يأخذ بقول عبد الله بن رواحة، فخرج عليهم رسول الله صفقال:(إن الله ليلين قلوب رجال فيه حتى تكون ألين من اللبن وإن الله ليشد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة وإن مثلك يا أبا بكر كمثل إبراهيم عليه السلام إذ قال: إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [سورة المائدة: الآية 118].

وإن مثلك يا عمر كمثل نوح إذقال: وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا [سورة نوح: الآية 26]. وإن مثلك كمثل موسى إذ قال: وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ [سورة يونس: الآية 88].

ثم قالق:(أنتم عالة فلا ينفلتن منهم أحد إلا بفداء أو ضرب عنق).

قال عبد الله بن مسعود: فقلت: يا رسول الله، إلا سهيل بن بيضاء فإنه يذكر الإسلام قال فسكت. فما رأيتني في يوم أخوف أن تقع علي حجارة من السماءفي ذلك اليوم حتى قال إلا سهيل بن بيضاء

فأنزل الله: مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ [سورة الأنفال: الآية 67] (1) .

وكان سعد بن معاذ ت يري رأي عمر بن الخطاب في قتل المشركين وعدم قبول الفداء ، فلما شرع الصحابة في أسر المشركين كره ذلك، ورأى رسول الله ص الكراهية في وجه سعد لما يضع الناس فقال له رسول الله(والله لكأنكيا سعد تكره ما يصنع القوم) قال أجل والله يا رسول الله، كانت أول وقعة أوقعها الله بأهل الشرك، فكان الإثخان بالقتل أحب إلى من استبقاء الرجل (2) .وحين رجع الحبيب محمد ص إلي المدينة بالأسارى فرقهم ص بين أصحابه وقال :"استوصوا بهم خيرا"(3) ..

---

1) مسند الامام أحمد (373/1)، تفسير ابن كثير (325/2).
2) ابن كثير ، البداية والنهاية ، 3 /305
3) ابن كثير ، البداية والنهاية ، 3 /307

وبهذه التوصية النبوية الرفيعة، تحقق في هذا الجيل الإسلامي الفضيل قول الله تعالى:وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيراً [سورة الإنسان: الآية 8]. وهذا أبو عزيز بن عمير أخو مصعب بن عمير يحدثنا عما رأى. قال: كنتفي الأسرى يوم بدر(1) ، فقال رسول الله ص:" استوصوا بالأسارى خيرا"(2) . وكنت في رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصوني بالخبز وأكلوا التمر لوصية رسول الله ص إياهم بنا ، ما تقع في يد رجل منهم كسرة خبز إلا نفحني بها . قال فأستحيي فأردها على أحدهم فيردها علي ما يمسها (3) .

ويقول جابر بن عبد الله ت: "لما كان يوم بدر أتي بالعباس ولم يكن عليه ثوب، فنظر النبي ص له قميصا فوجدوا قميص عبد الله بن أبي يقدر عليه فكساه النبيص إياه"(4)وهذا أبو العاص بن الربيع يحدثنا قال: كنت في رهط من الأنصار (5) - جزاهم الله خيرا -، كنا إذا تعشينا أو تغدينا آثروني بالخبز وأكلوا التمر، والخبز معهم قليل، والتمر زادهم، حتى إن الرجل لتقع في يده كسرة فيدفعها إلي، وكان الوليد بن الوليد بن المغيرة يقول مثل ذلك ويزيد: وكانوا يحملوننا ويمشون(6).

---

1) أيام كان على غير الإسلام، وكان في جيش المشركين.
2) ابن هشام ، 1 / 644
3) ابن هشام ، 1 / 644، وابن سيد الناس ، عيون الأثر 393/1
4) البخاري ،2846، ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، 6/ 144
5) قبل إسلامه، أيام كان في جيش قريش، وأسره الصحابه في معركة بدر .
6) الواقدي، المغازي 119/1.

وقد كان أبو العاص بن الربيع في الأسارى، وختن رسول الله ص ، وزوج ابنته زينب، أسره خراش بن الصمة ، فلما بعثت قريش فداء الأسرى بعثت زينب بنت رسول الله صفي فداء أبي العاص وأخيه عمرو بن الربيع بقلادة لإمها خديجة، فلما رآها رسول الله ص رق لها رقة شديدة، وقال: " إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها مالها فافعلوا "، فقالوا: نعم يا رسول الله، فأطلقوه وردوا عليها الذي لها(1).

كان هذا الخلق الكريم الذي غرسه المعلم الكبير محمدصفي أصحابه وجنده وشعبه، قد أثر في إسراع مجموعة من كبراء الأسرى وأشرافهم إلى الإسلام فأسلم أبو عزيز عقب معركة بدر، بعيد وصول الأسرى إلى المدينة، وتنفيذ وصيةق، وأسلم معه السائب بن عبيد.

وعاد الأسرى إلى بلادهم وأهليهم يتحدثون عن محمدصومكارم أخلاقه، وعن محبته وسماحته، وعن دعوته وما فيها من البر والتقوى والإصلاح والخير(2).

---

1) سبل الهدى والرشاد ، 4 / 71

2) محمد مسعد ياقوت ، الأخلاق النبوية في الصراعات السياسية والعسكرية ، ص 43

الذين أطلقوا من غير فداء:

وكان المسلمون يقبلون من بعض الأسرى ما عندهم إذا تعذر دفع ما فرض عليهم من الفداء (1). وأطلق النبي ص أسر بعض الأسرى الذين لم يقدرواعلى دفع شيء (2) ومنهم :

أبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت الرسول:

قالت عائشة ل : لما بعث أهل مكة في فداء أسراهم، بعثت زينب بنت رسول الله صفي فداء أبي العاص بن الربيع بمال، وبعثت فيه بقلادة لها كانت لخديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى عليها، قال: فلما رآها رسول الله ص رق لها رقة شديدة وقال:(إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها، وتردوا عليها الذي لها فافعلوا) فقالوا:(نعم فاطلقوه وردوا عليها الذي لها) (3) . وكان رسول الله ص أخذ عليه، أو وعده، أن يخلي سبيل زينب إليه، وبعث رسول الله صزيد بن حارثة ورجلاً من الأنصار فقال:(كونا ببطن يأجج(4) حتى تمر بكما زينب فتصحباها حتى تأتيا بها) (5) .

1) أحمد- الفتح الرباني 14/ 100، ابن هشام- السيرة 1/ 359.
2) ابن هشام- السيرة 1/ 368- 9.
3) صحيح السيرة النبوية ، ص261.
4) اسم مكان على ثمانية أميال من مكة.
5) أبو داود في الجهاد، باب في فداء الأسير بالمال رقم 2692.

لقد أرسلت السيدة زينب بنت رسول الله صوزوجة أبي العاص بمال تفديه به، ومع المال قلادة كانت أمها السيدة خديجة ت أهدتها إليها فأدخلتها بها على زوجها لتتحلى بها، فلما رأى رسول الله صقلادة ابنته رق لها رقة شديدة، إذ كانت هذه القلادة الكريمة مبعث ذكريات أبويّة عندهق ، وذكريات زوجية، وذكريات أسرية، وذكريات عاطفية، فالنبيصأب، لهمن عواطف الأبوة أرفع منازلها في سجل المكارم الإنسانية، وأشرفها في فضائل الحياة، فتواثبت إلى خبايا نفسه الكريمة، المكرمة أسمى مشاعر الرحمة، وتزاحمت على فؤاده الأطهر عواطف الحنان والحنين، فتوجه إلى أصحابه ت متلطفاً يطلب إليهم في رجاء الأعز الأكرم رجاء يدفعهم إلى العطاء ولا يسلبهم حقهم في الفداء، لو أنهم أرادوا الاحتفاظ بهذا الحق وهو في أيديهم يملكون التصرف فيه فقال لهم:(إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها، وتردوا عليها الذي هو لها). وهذا أسلوب من أبلغ وألطف ما يسري في حنايا النفوس الكريمة، فيطوّعها إلى الاستجابة الراغبة الراضية رضاء ينم عن الغبطة والبهجة (1).

1) عرجون ، محمد رسول الله ، 480/3

إن هذا الموقف وما يظهر منه من مظاهر الرحمة والعطف منهق على ابنته، يحمل في طياته مقصداً آخر، وهو أنه كان يتألف صهره للإسلام بذلك لما عرف عنه من العقل السديد والرأي الرشيد، فقد كانق يثنى عليه وهو على شركه بحسن المعاملة . (1)

أبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحي:

كان أبو عزة الجمحي قد برص فكانت قريش لا تؤاكله ولا تجالسه فقال للموت خير من هذا ، فأخذ حديدة ودخل بعض شعاب مكة فطعن بها في معده(2) فسال منه أصفر فبرئ فقال :

اللهم رب وائل ونهد   والتهمات والجبال الجرد

ورب من يرعى بأرض نجد   أصبحت عبدا لك وابن عبد

1) الحميدي ، التاريخ الاسلامي ، 183/4
2) والمعد موضع عقب الراكب من الدابة

أبرأتني من وضح بجلد   من بعد ما طعنت في معدي(1)

وكان يؤذي النبي ص والمسلمين بشعره ، فلما أسره المسلمون في بدر ، قال يارسول الله لقد عرفت مالي من مال واني لذو حاجة وذو عيال فأمنني علي، فمنّ عليه رسول الله صوأخذ عليه أن لا يظاهر عليه أحداً .

فقال أبو عزة يمدح رسول الله صعلى ذلك:

من مبلغ عني الرسول محمد   بأنك حق والمليك حميد

وأنت امرؤ بُوئت فينا (مباءة) (2)   لها درجات سهلة وصعود

فإنك من حاربته لمحاربٌ   شقي ومن سالمته لسعيد

ولكن إذا ذكرتُ بدراً وأهله   تأوّبَ مابي، حسرة وقعود

1) الروض الأنف ، 291/3

2) مباءة : مكانة رفيعة.

قال ابن كثير: ثم إن أبا عزة هذا نقض ما كان عاهد الرسول عليه، ولعب المشركون بعقله فرجع إليهم فلما كان يوم أحد أسر أيضاً، فسأل من النبي صأن يمن عليه أيضاً فقال النبيص : (لا أدعك تمسح عارضيك وتقول خدعت محمداً مرتين) ثم أمر به فضربت عنقه (1) .

لما أسر أبا عزة الشاعر أو مرة استعطفه (أبو عزة) حتى أطلق سراحه على شرط ألا يقف بعد اليوم ضده ، وتدور الأيام ويدخل أبو عزة المعركة ضد رسول الله ص فيأسره مرة ثانية ويستعطفه مرة ثانية ولكن رسول الله ص يقول :لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ويأمر بقتله . وهذا الذي سنه رسول الله ص في هذه الحالة هو الذي أخذ به القانون الدولي في القرن العشرين حيث نصعلى أن الأسير الذي يطلق سراحه بشرط عدم الدخول في المعركة ضد آسريه مرة ثانية إذا أسر بعدها يقتل(2) .

صَيْفي بن أبي رفاعة بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم:

وكان لا مال له، أسره رجل من المسلمين، فمكث عندهم فلما لم يأت أحدفي فدائه أخذوا عليه ليبعثن إليهم بفدائه فخلوا سبيله فلم يف لهم بشيء

1) البداية والنهاية ، 313/3

2) سعيد حوى ، الرسول ﷺ ، 19/11

فقال حسان بن ثابت في ذلك :

وما كان صيفي ليوفي ذمة   قفا ثعلب أعيا ببعض الموارد (1).

المطلب ابن حَنْطَب بن الحارث بن عبيد بن عمر بن مخزوم :

وكان الذي أسره أبو أيوب الأنصاري، لم يكن له مالٌ فأطلق سراحه بعد حين(2) .

- وكان من بين الأسرى سُهيل بن عمرو، وكان من خطباء قريش وفصحائها وطالما آذى المسلمين بلسانه،فلما قدم مكرز بن حفص بن الاخيف في فداء سهيل بن عمرو، فلما فاوض المسلمين وانتهى إلى رضائهم قالوا: هات الذي لنا قال لهم مكرز بن حفص: اجعلوا رجلي مكان رجله وخلوا سبيله حتى يبعث إليكم بفدائه فخلوا سبيل سهيل وحبسوا مكرزاً عندهم،

1) الروض الآنف ، 111/3 ، مغازي الواقدي ، 142/1

2) مغازي الواقدي ، 142/1

وجاء في الحديث أن عمر بن الخطاب تقال لرسول الله ص دعني أنزع ثنية سهيل بن عمرو ويدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيباً في موطن آخر؟ فقال رسول الله ص : (لا أمثل به فيمثل الله بي وإن كنت نبياً) (1) ثم قال رسول الله ص لعمر: (إنه عسى أن يقوم مقاماً لا تذمه) (2) .

ولقد حقّق الله عز وجل خبر الرسول ص في سهيل، فإنه لما هاج أهل مكة عند الذي بلغهم من وفاة رسول الله، ص ، قام خطيبَا، فقال: "أيها الناس،من كان يعبد محمدًا، فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيلا يموت" فسكن الناس(3).

ولما ماج أهل مكة عند وفاة النبي ص، وارتد من ارتد من العرب، قام سهيل بن عمرو خطيبَا. فقال: والله إني لأعلم أن هذا الدين سيمتد امتداد الشمس في طلوعها إلى غروبها، فلا يغرنكم هذا من أنفسكم -يعني: أبا سفيان- فإنه ليعلم من هذا الأمر ما أعلم، ولكنه قد جثم على صدره حسد بني هاشم. وأتى في خطبته بمثل ما جاء به أبو بكر الصديق تبالمدينة"(4).

---

1) البداية والنهاية ، 311/3

2) البداية والنهاية ، 311/3

3) أنظر : الإصابة ، 2/ 29، رقم3573 ،و الاستيعاب 2/ 107 وما بعدها، والجاحظ ، البيان والتبيين 1/ 58

4)الجاحظ ، البيان والتبيين 1/ 317

وقد كان مخلصًا في عقيدته مطيعًا لأمر الحاكم، ذكر أنه حضر "الناس باب عمر بن الخطاب ت ، وفيهم سهيل بن عمرو وأبو سفيان بن حرب، وأولئك الشيوخ من قريش، فخرج آذنه. فجعل يأذن لأهل بدر، لصهيب وبلال وأهل بدر وكان يحبهم. وكان قد أوصى بهم.

فقال أبو سفيان: ما رأيت كاليوم قط! أنه ليؤذن لهؤلاء العبيد ونحن جلوس، لا يلتفت إلينا! فقال سهيل بن عمرو : أيها القوم إني والله قد أربالذي في وجوهكم، فإن كنتم غضابًا، فاغضبوا على أنفسكم، دُعي القوم ودعيتم، فأسرعوا وأبطأتم. أما والله لما سبقوكم به من الفضل أشد عليكم فوتًا من بابكم هذا الذي تتنافسون فيه. ثم قال: أيها القوم! إن هؤلاء القوم قد سبقوكم بما ترون، ولا سبيل لكم والله إلى ما سبقوكم إليه، فانظروا هذا الجهاد فالزموه عسى الله -عز وجل- أن يرزقكم شهادة، ثم نفض ثوبه وقام ولحق بالشام"(1).

فالرجل مؤمن، صاحب مبدأ، يرى الفضل لأصحابه بأعمالهم، لا بالرئاسة والنسب والجاه، كما كان يريد أبو سفيان وقومه(2).

---

1) الاستيعاب "2/ 109 وما بعدها".

2) الدكتور جواد علي ، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ، دار الساقي ، الطبعة الرابعة 1422هـ/ 2001م ، 424/16

لقد كان سهيل بن عمرو خطيبا مفوها، يهجو الإسلام، وقد رفض أن يمثل به كما يمثل الهمجيون في قتلى وأسرى الجيش المهزوم، وسن بذلك سنة حسنةفي الحروب، ويبقى له الفضل والسبق في تحريم إهانة الأسرى أو إيذائهم .

- و كان عمرو بن أبي سفيان بن حرب أسيرا في يدي رسول الله صمن أسرى بدر ، وأسره علي بن أبي طالب ، فقيل لأبي سفيان افد عمرا ابنك ، قال أيجمع علي دمي ومالي قتلوا حنظلة وأفدي عمرا دعوه في أيديهم يمسكوه ما بدا لهم . فبينما هو كذلك محبوس بالمدينة عند رسول الله ص إذ خرج سعد بن النعمان بن أكال ، أخو بني عمرو بن عوف ثم أحد بني معاوية معتمرا وكان شيخا مسلماولا يخشى الذي صنع به لم يظن أنه يحبس بمكة إنما جاء معتمرا : وقد كان عهد قريشا لا يعرضون لأحد جاء حاجا ، أو معتمرا إلا بخير فعدا عليه أبو سفيان بن حرب بمكة فحبسه بابنه عمرو ، ثم قال أبو سفيان:

أرهط ابن أكال أجيبوا دعاءه تعاقدتم لا تسلموا السيد الكهلا

فإن بني عمرو لئام أذلة لئن لم يفكوا عن أسيرهم الكبلا

فأجابه حسان بن ثابت فقال :

لو كان سعد يوم مكة مطلقا لأكثر فيكم قبل أن يؤسر القتلا

بعضب حسام أو بصفراء نبعة(1) تحن إذا ما أنبضت تحفز النبلا

ومشى بنو عمرو بن عوف إلى رسول الله ص (2) فأخبروه خبره ؟ وسألوه أن يعطيهم ابن أبي سفيان فيفكوا به صاحبهم ففعل رسول الله صفبعثوا به إلى أبي سفيان فخلى سبيل سعد (3).

---

1) نبعة من النبع والنبع: شجر يصنع منه القسي.

2) قال الواقدي: أن عمرو بن أبي سفيان صار في سهم النبي ﷺ بالقرعة.

3) الروض الأنف ، 3 /102- 103

وكان العباس عم النبي ص في أسري بدر ، وكان من أدب الأنصار أن استحوا من أنفسهم أن يكون عم النبي صفي أسرهم فاستأذنوا رسول الله ص في أن يطلقوا سراحه ، فقالوا: ائذن لنا فلنترك لابن أختنا(1) فداءه،

فقال: "لا تدعون منه درهماً"(2).

وقد امتنع النبي ص من إجابتهم لئلا يكون في الدين نوع من المحاباة.

ثم بعثت قريش إلى رسول الله ص في فداء أسراهم ففدى كل قوم أسيرهم بما رضوا(3)، وقال العباس: يا رسول الله صد كنت مسلماً، فقال رسول الله ص:(الله أعلم بإسلامك فإن يكن كما تقولون فإن الله يجزيك وأما ظاهرك

---

1) قال الحافظ ابن حجر: "المراد أنهم أخوال أبيه عبد المطلب، فإن أمّ العباس هي (نُتيلة) بنت جنان ، وليست من الأنصار، وإنما أرادوا بذلك أن أمّ عبد المطلب منهم، لأنها سلمى بنت عمرو بن أُحيحة وهي من بني النجار، ومثله ما وقع في حديث الهجرة أنه ﷺ نزل على أخواله بني النجار، وأخواله حقيقة إنما هم بنو زهرة، وبنو النجار أخوال جده عبد المطلب. الفتح 168/5. ثم قال رحمه الله: "قال ابن الجوزي: وإنما قالوا ابن أختنا لتكون المنة عليهم من إطلاقه بخلاف ما لو قالوا: عمك، لكانت المنة عليه ﷺ، وهذا من قوة الذكاء، وحسن الأدب في الخطاب، وإنما امتنع ﷺ من إجابتهم لئلا يكون في الدين نوع محاباة". الفتح 168/7.

2) صحيح البخاري مع الفتح 167/5 -168، رقم (2537) و 167/6، رقم (3048) و321/7 رقم (4018) بلفظ: "والله لا تذرون منها درهماً"، وابن حبان في صحيحه: الإحسان رقم (4794)، والحاكم في المستدرك 22/3، 323/3، والبيهقي في السنن الكبرى 322/6، و68/9، وفي الدلائل 141/3 - 142.

3) قد تباين فداء الأسرى من شخص لآخر حسب يسر كل واحد وعسره، فقد قال ابن هشام 1/ 660: كان فداء المشركين يومئذ أربعة آلاف درهم للرجل، إلى ألف درهم، إلا من لا شيء له، فمنَّ رسول الله ﷺ عليه. وانظر: المصنف لعبد الرزاق 5/ 206 رقم (9393)، وأبو داود 3/ 61- 62 رقم (2691)، ودلائل البيهقي 3/ 140.

فقد كان علينا فافتد نفسك وابني أخيك نوفل بن الحارث بن عبد المطلب(1)، وعقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب(2)، وحليفك عتبة بن عمرو أخي بني الحارث بن فهر قال: ماذاك عندي يا رسول الله صال:(فأين المال الذي دفنته أنت وأم الفضل (3) ؟ فقلت لها إن أصبت في سفري هذا، فهذا المال الذي دفنته لبني الفضل بن العباس (4) وعبد الله بن العباس (5) وقثم بن العباس(6) . قال: والله يا رسول الله إني لأعلم أنك رسول الله إن هذا الشيء ما علمه أحد غيري وغير أم الفضل

1) هو: نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي ابن عم رسول الله ﷺ، قال ابن حبان: له صحبة. الإصابة 3/ 577.

2) عقيل - بفتح أوله - ابن أبي طالب بن عبد مناف القرشي الهاشمي، أخو علي وجعفر وكان الأسن يكنى أبا يزيد... تأخر إسلامه إلى عام الفتح وقيل: أسلم بعد الحديبية، وهاجر في أول سنة ثمان، وكان قد أسر يوم بدر ففداه عمه العباس، مات في أول خلافة يزيد. الإصابة 2/ 494.

3) أم الفضل امرأة العباس بن عبد المطلب، اسمها: لبابة بنت الحارث الهلالية، وهي لبابة الكبرى، أسلمت قبل الهجرة فيما قيل، وقيل بعدها، وقال ابن سعد: "أم الفضل أول امرأة آمنت بعد خديجة، قال ابن حبان: ماتت في خلافة عثمان قبل زوجها العباس". الإصابة 4/ 484.

4) الفضل بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي، ابن عم سيدنا رسول الله ﷺ كان أكبر الأخوة وبه كان يكنى أبوه وأمه، واسمها لبابة بنت الحارث الهلالية، كان أسن ولد العباس وغزا مع النبي ﷺ مكة وحنيناً وثبت معه يومئذ. الإصابة 3/ 208.

5) عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي أبو العباس ابن عم النبي ﷺ، ولد وبنو هاشم بالشعب قبل الهجرة بثلاث، اتفقوا على أنه مات بالطائف سنة ثمان وستين، واختلفوا في سنه، فقيل: ابن إحدى وسبعين، وقيل: ابن أربع والأول هو الأقوى. الإصابة 2/ 330.

6) قثم بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم، أخو عبد الله وأخوته أمه أم الفضل، كان يشبه النبي ﷺ، وكأحدث الناس عهداً برسول الله ﷺ. الإصابة 3/ 266.

فأحسب لي يا رسول الله ما أصبتم مني عشرين أوقية من مال كان معي فقال رسول الله ص:(ذاك شيء أعطانا الله تعالى منك) ففدى نفسه وابني أخويه وحليفه فأنزل الله عز وجل فيه: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الْأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (70) وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (71)

[سورة الأنفال: الآية 70،71].

قال العباس: فأعطاني الله مكان العشرين أو قية في الإسلام عشرين عبداً كلهم في يده مال يضرب به مع ما أرجو من مغفرة الله عز وجل (1).

هذا والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فهذه الآية الكريمة وإن كانت نزلت في العباس إلا أنها عامة في جميع الأسرى (2) .أما الأسرى الذين يعرفون القراءة والكتابة، ولم يكن لدى أهليهم أو لديهم مقدرة على الفداء، فقد جعل فداؤهم أن يعلموا أبناء الأنصار القراءة والكتابة، وقد وردت رواية صحيحة الإسناد عن ابن عباس بقال: «كان ناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء، فجعل رسول الله ص فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة » (2).

1) البخاري في المغازي، باب 12 حديث رقم 4018.
2) أحمد- المسند 4/ 47 (حديث 2216) وإسناده صحيح.

إن قبول النبيصتعليم القراءة والكتابة بدل الفداء في ذلك الوقت الذي كانوا فيه بأشد الحاجة الى المال يرينا سمو الإسلام في نظرته إلى العلم والمعرفة، وإزالة الأمية، وليس هذا بعجيب من دين كان أول ما نزل من كتابه الكريم :

واستفاضت فيه نصوص القرآن والسنّة في الترغيب في العلم وبيان منزلة العلماء، وبهذا العمل الجليل يعتبر النبيصأول من وضع حجر الأساس في إزالة الأمية وإشاعة القراءة والكتابة، وأن السبق في هذا للإسلام (1) .

مواقف إيمانية في غزوة بدر :

روي ابن إسحاق عن عبد الله بن عباس أن النبي ص قال لأصحابه يومئذ: " إني قد عرفت أن رجالا من بني هاشم وغيرهم ؟ قد أخرجوا كرها لا حاجة لهم بقتالنا، فمن لقي منكم أحدا من بني هاشم فلا يقتله ومن لقيأبا البختري بن هشام بن الحارث بن أسد فلا يقتله، ومن لقي العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ص فلا يقتله، فإنه إنما خرج مستكرها " فقال أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة(2)

1) أبو شهبة ، السيرة النبوية 164،165/2

2) أبو حُذيفة بن عُتبة بن ربيعة القرشـي العَبْشَـمِي كان من فضـلاء الصـحابة من المهاجرين الأولين شـهد المشاهد كلها وقتل يوم اليمامة، ابن عبد البر، الاستيعاب ، 197/4.

أنقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا ونترك العباس، والله لئن لقيته لالحمنه بالسيف.

فبلغت رسول الله ص فقال لعمر: " يا أبا حفص " قال عمر: والله إنه لأول يوم كناني فيه رسول الله ص بأبي حفص، أيضرب وجه عم رسول الله بالسيف ؟ " فقال عمر: يا رسول الله دعني فلا ضرب عنقه بالسيف فوالله لقد نافق.

فقال أبو حذيفة: ما أنا بآمن من تلك الكلمة التي قلت يومئذ، ولا أزال منها خائفا إلا أن تكفرها عني الشهادة فقتل يوم اليمامة شهيدا ت (1).

استشهاد حارثة بن سراقة: عن أنس ت:

قال: أصيب حارثة يوم بدر وهو غلام فجاءت أمه إلى النبي ص فقالت:يا رسول الله، صد عرفت منزلة حارثة مني، فإن يكن في الجنة أصبر وأحتسب، وإن تكن الأخرى ترى ما أصنع؟ فقال: « ويحك أَوَهَبلْتِ أَوَجَنَّة واحدة هي؟ إنها جنانٌ كثيرةٌ، وإنه في جنةِ الفردوسِ»(2)   قال ابن كثير معلقاً : وفي هذا تنبيه عظيم على فضل أهل بدر فإن هذا الذي لم يكن في بحيحة القتال ولا في حومة الوغى بل كان من النظارة من بعيد وإنما أصابه سهم غرب وهو يشرب من الحوض

1) سيرة ابن هشام 224/1 ، البداية والنهاية ، 3 /348

2) البخاري في المغازي، باب فضل من شهد بدرًا رقم (3982).

ومع هذا أصاب بهذا الموقف الفردوس التي هي أعلى الجنان وأوسط الجنة ومنه تفجر أنهار الجنةالتي أمر الشارع أمته إذا سألوا الله الجنة أن يسألوه إياها فإذا كان هذا حال هذا فما ظنك بمن كان واقفا في نحر العدو وعدوهم على ثلاثة أضعافهم عددا وعددا(1).

مقتل أبي البختري بن هشام :

وكان رسول الله صقد نهي الصحابة عن قتل أبو البختري بن هشامقال ابن إسحاق: وإنما نهى رسول الله ص عن قتل أبي البختري لانه كان أكف القوم عن رسول الله ص وهو بمكة (2).كان لا يؤذيه ولا يبلغه عنه شئ يكرهه، وكان ممن قام في نقض الصحيفة فلقيه المجذر بن ذياد البلوي حليف الانصار فقال له: إن رسول الله ص نهانا عن قتلك ومع أبي البختري زميل له خرج معه من مكة وهو جنادة بن مليحةوهو من بني ليث.

1) البداية والنهاية ، 3 /398
2) قال الواقدي: كان أبو البختري قد لبس الســـلاح يوما بمكة في بعض ما كان بلغ من النبي ﷺ من الاذى وقال: لا يعترض اليوم أحد لمحمد بأذى إلا وضعت فيه السلاح.

قال وزميلي ؟ فقال له المجذر (1) لا والله ما نحن بتاركي زميلك، ما أمرنا رسول الله إلا بك وحدك، قال لا والله إذا لاموتن أنا وهو جميعا لا يتحدث عني نساء قريش بمكة أني تركت زميلي حرصا على الحياة.

وقال أبو البختري وهو ينازل المجذر:

لن يترك ابن حرة زميله حتى يموت أو يرى سبيله

قال: فاقتتلا فقتله المجذر بن ذياد وقال في ذلك:

إما جهلت أو نسيت نسبي فأثبت النسبة أني من بلي

الطاعنين برماح اليزني والضاربين الكبش حتى ينحني

بشر بيتم من أبوه البختري أو بشرن بمثلها من بني

1) الواقدي روى القصة وسمى الرجل صاحب القصة مع أبي البختري: أبا داود المازني.

أنا الذي يقال أصلي من بلى أطعن بالصعدة حتى تنثني

وأعبط القرن بغضب مشرفي أرزم للموت كإرزام المري

ثم أتى المجذر رسول الله ص فقال: والذي بعثك بالحق لقد جهدت عليه أن يستأسر فأتيك به فأبى إلا أن يقاتلني، فقاتلته فقتلته(1).

استشهاد عوف بن الحارث:

قال ابن اسحاق حدثني عاصم بن عمرو بن قتادة: أن عوف بن مالك وهو ابن عفراء (2) ، قال: يا رسول الله ما يضحك الرب من عبده؟ قال: غمْسة يده في العدو حاسراً (3) فنزع درعاً كانت عليه فقذفها، ثم أخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل (4) .

وهذا الخبر يدل على قوة ارتباط الصحابة الكرام بالآخرة وحرصهمعلى رضوان الله تعالى ولذلك انطلق عوف بن الحارث ت كالسهم وهو حاسر غير متدرع يثخن في الأعداء حتى أكرمه الله بالشهادة،

1) سيرة ابن هشام 198/1 ، البداية والنهاية ، 3 /348
2) عفراء بنت عبيد بن ثعلبة شارك أولادها السبعة في غزة بدر.
3) حاسراً: غير لابس الدرع.
4) صحيح السيرة النبوية، ص245.

لقد تغيرت مفاهيم المجتمع الجديد، وتعلق أفراده بالآخرة وأصبحوا حريصين على مرضاته بعد أن كان جل همهم أن تتحدث عنهم النساء عن بطولاتهم، ويرضى سيد القبيلة عنهم، وتنشد الأشعار في شجاعتهم (1) .

استشهاد عُمَيْر بن الحُمَام :

وفي غزوة بدر الكبرى قال رسول الله ص لأصحابه قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض، فقال عمير بن الحمام الأنصاري ت :يا رسول الله جنة عرضها السموات والأرض؟ قال:نعم، قال:بخ بخ (2). فقال رسول الله ص: «ما يحملك على قولك بخ بخ». قال: لا. واللّه يا رسول اللّه إلا رجاءة (3) أن أكون من أهلها. قال: «فإنّك من أهلها» فأخرج تمرات من قرنه (4). فجعل يأكل منهنّ. ثمّ قال: لئن أنا حييت حتّى آكل تمراتي هذه إنّها لحياة طويلة. قال فرمى بما كان معه من التّمر، ثمّ قاتلهم حتّى قتل) (5).

1) التربية القيادية ، 31/2
2) بخ بخ: كلمة تطلق لتفخيم الأمر وتعظيمه في الخير، وفيها لغتان: سكون الخاء وكسرها منونا.
3) إلا رجاءة: أي والله ما فعلته لشيء إلا رجاء أن أكون من أهلها.
4) قرنه: جعبة النشاب.
5) مسلم ، 1901

استشهاد سعد بن خيثمة:

عن سليمان بن بلال ت أنّ رسول الله ص لمّا خرج إلى بدر أراد سعد بن خيثمة وأبوه جميعا الخروج معه، فذكر ذلك للنبي ص فأمر أن يخرج أحدهما. فاستهما (1)، فقال خيثمة بن الحارث لابنه سعد ب: إنّه لابدّ لأحدنا من أن يقيم، فأقم مع نسائك، فقال سعد: لو كان غير الجنّة لآثرتك به، إنّي أرجو الشّهادة في وجهي هذا، فاستهما، فخرج سهم سعد؛ فخرج مع رسول الله ص إلى بدر، فقتله عمرو بن عبد ودّ) (2).

استشهاد عمير بن أبي وقاص :

عن سعد بن أبي وقّاص تقال: رأيت أخي عمير بن أبي وقّاص قبل أن يعرضنا رسول الله ص يوم بدر يتوارى (3)، فقلت: ما لك يا أخي؟ قال: إنّي أخاف أن يراني رسول الله ص فيستصغرني فيردّني، وأنا أحبّ الخروج لعلّ اللّه أن يرزقني الشّهادة. قال: فعرض على رسول الله ص فردّه، فبكى فأجازه. فكان سعد يقول: فكنت أعقد حمائل (4) سيفه من صغره، فقتل وهو ابن ستّ عشرة سنة) (5).

1) فاستهما: أي اقترعا.
2) الإصابة ، 3/ 75
3) يتوارى: يستتر.
4) حمائل: جمع حمالة (بكسر الحاء) علاقة السيف ونحوه.
5) الإصـابة (5/ 36)، واللفظ له، وأخرجه البزار ورجاله ثقات، كما في المجمع (6/ 69)، وأسـد الغابة (4/ 148).

مشاركة القائد جنوده في الصعاب:

عن عبد الله بن مسعودت قال : كنا يوم بدر، كل ثلاثة على بعير، فكان أبو لبابة وعلي بن أبي طالب زميلي رسول الله صقال : فكانت إذا جاءت عقبة رسول الله صقالا : نحن نمشي عنك قال : " ما أنتما بأقوى مني وما أنا بأغنى عن الأجر منكما "(1). فالقائد الصالح هو من يشارك جنوده الصعاب، ويحفزهم على القليل والكثير من الصالحات، ليكون قدوة طيبة أخلاقية لجنوده في المنشط والمكره، وليس القائد بالذي يتخلف عن جيشه رهبا من الموقف أو يتلذذ بصنوف النعيم الدنيوي وجنده يكابد الحر والقر(2). وقتل عمر بن الخطاب تخاله العاص بن هشام(3) ضارباً بالقرابة عرض الحائط أمام رابطة العقيدة، بل كان يفخر بذلك تأكيداً لهذه الفكرة وبعد انتهاء المعركة أشار بقتل أسارى المشركين، وفي تلك الحادثة دروس وعبر عظيمة قد ذكرتها في كتابي السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، وعندما وقع العباس عمّ النبي في الأسر حرص عمر على هدايته

1) ابن هشام ، 2/ 389 ، وحسنه الألباني في تحقيق فقه السيرة 167
2) محمد مسعد ياقوت ، الأخلاق النبوية في الصراعات السياسية والعسكرية ، ص56
3) البهنساوي ، الخلافة والخلفاء الراشدين، ص154.

وقال له: يا عباس أسلم، فوالله لئن تسلم أحب إلي من أن يسلم الخطاب، وما ذاك إلا لما رأيت رسول الله يعجبه إسلامك(1)

ونادي أبو بكر الصديق تابنه عبد الرحمن ـ وهو يومئذ مع المشركين ـ فقال : أين مالي يا خبيث ؟ فقال عبد الرحمن :

لَمْ يَبْقَ غَيْرُ شَكَّةٍ ويَعْبُوب وصَارِمٍ يَقْتُلُ ضُلاَّل الشِّيَبْ(2)

وفي يوم بدر أيضا دعا أبو بكر الصديق ابنه عبد الرحمن إلى المبارزة وكان أسن أولاده فقال له النبي ص" متعنا بنفسك أما علمت أنك مني بمنزلة سمعي وبصري "(3) ثم أسلم عبد الرحمن في هدنة الحديبية وحسن إسلامه وهاجر إلى المدينة وكان شجاعا راميا شهد اليمامة مع خالد بن الوليد وهو الذي قتل محكم اليمامة بن الطفيل الذي كان من قواد بني حنيفة المشهورين رماه بسهم في نحره فقتله

1) البداية والنهاية ، 298/3

2) يعني لم يبق إلا عدة الحرب، وحصـــان وهو اليعبوب يقاتل عليه شـــيوخ الضــــلالة، هذا يقوله في حال كفره.أنظر : سيرة ابن هشام: 2 / 291.

3) أخرجه الحاكم [3/ 223]، طرفاً منه وأخرجه البيهقي [8/ 186]، باب ما يكره لأهل العدل من أن يعمد قتل ذي رحمه من أهل البغي.

وكان عبد الرحمن أسن ولد أبي بكر وكان فيه دعابة . توفي فجأة بمكان اسمه حبش(1)وحمل إلى مكة ودفن فيها وكان موته سنة 53 هجرية ، فقدمت عائشة من المدينة فأتت قبره فصلت عليه وتمثلت بقول الشاعر :

وكنا كندماني جذيمة حقبة   من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

وعشنا بخير في الحياة وقبلنا   أصاب المنايا رهط كسرى وتبعا

فلما تفرقنا كأني ومالكا   لطول اجتماع لم نبت ليلة معا(2)

وقاتل عكاشة بن محصن الأسدي حليف بني عبد شمس يوم بدر بسيفه حتى انقطع في يده فأتى رسول الله ص فأعطاه جذلا (3) من حطب فقال (قاتل بهذا يا عكاشة)

1) وهو جبل بينه وبين مكة ستة أميال.

2) جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير ، دار الأرقم بن أبي الأرقم ، 1997م ، ص 105 ، ورواه الترمذي في سننه ، 3/ 371 ، و الحاكم في مستدركه، 3/ 541

3) الجذل: ما عظم من أصول الشجر المقطع؛ وقيل: هو من العيدان ما كان على مثال شماريخ النخل.

فلما أخذه من رسول الله ص هزه، فعاد سيفًافي يده طويل القامة، شديد المتن، أبيض الحديدة، فقاتل به حتى فتح الله تعالى للمسلمين، وكان ذلك السيف يسمى العَوْن، ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد، حتى قتل في حروب الردة وهو عنده(1).

كان مصعب بن عمير حامل لواء المسلمين، وكان أخوه أبو عزيز بن عمير في صفوف المشركين ثم وقع أسيراً في يد أحد الأنصار(2) فقال مصعب للأنصاري شدّ يدك به فإن أمه (3) ذات متاع، فقال أبو عزيز:يا أخي هذه وصيتك بي؟ فقال مصعب:إنه أخي دونك(4).

إنها القيم المطروحة لتقوم الإنسانية على أساسها فإذا العقيدة هي آصرة النسب والقرابة وهي الرباط الاجتماعي (5) . ولما أمر بإلقاء جيف المشركين في القَلِيب، وأخذ عتبة بن ربيعة - وكان عتبة بن ربيعة أول من بارز المسلمين - فسحب إلى القليب، نظر رسول الله ص في وجه ابنه أبي حذيفة -

1) سيرة ابن هشام 2 / 290 ومغازي الواقدي 1 / 93، زاد المعاد ، 186/3
2) في الواقدي: أسره أبو اليسر، ثم اقترع عليه فصار لمحرز بن نضلة
3) أمه: الخناس بنت مالك العامرية، وأخته هند بنت عمير، أم شيبة بن عثمان حاجب الكعبة، جد بني شيبة
4) البداية والنهاية ، 307/3
5) معين السيرة ، ص213.

وكان أبو حذيفة من خيار أصحاب النبي صفإذا هو كئيب قد تغير، فقال : (يا أبا حذيفة، لعلك قد دخلك من شأن أبيك شيء ؟) فقال : لا والله، يا رسول الله، ما شككت في أبي ولا مصرعه

ولكنني كنت أعرف من أبي رأيًا وحلمًا وفضلًا، فكنت أرجو أن يهديه ذلك إلى الإسلام، فلما رأيت ما أصابه، وذكرت ما مات عليه من الكفر بعدالذي كنت أرجو له أحزنني ذلك . فدعا له رسول الله ص بخير، وقالله خيراً (1).

ولا شك أن هذا الموقف العجيب من الولد نحو أبيه في تلكم المعركة التي قامت بين الحق والباطل، ليأخذ بأيدينا إلى عبرة بالغة ويسلمنا إلى حقيقة رائعة، وهي أن العقيدة إذا امتزجت بالنفوس واطمأنت بها القلوب فلن يخدعها هوًى أو رغبة، ولن تقف في سبيلها أية عاطفة في هذا الوجود(2).

1) ابن هشام ، السيرة النبوية ،342/2)، ورواه الحاكم في المستدرك، 224/3

2) محمد الطيب النجار، القول المبين في سيرة سيد المرسلين ، دار الندوة الجديدة بيروت – لبنان ، 231/1

الثناء على أهل بدر

إن الصحابة الذين شهدوا موقعة بدر مع رسول الله ص هم الذين اختارهم رب العالمين واصطفاهم فجعل لهم ميزة تميزوا بها على غيرهم من عباد الله المؤمنين إذ أن معركة بدر تعتبر من أعظم المعارك التي انتصر فيها الإسلام على الكفر وأهله، وبسببها انتشر ضوء الإسلام في أنحاء الجزيرة العربية،ثم إلى خارجها، وبسببها أضيئت الطريق أمام الدعاة إلى الله لتحقيق العبوديةلله ـونبذ جميع المعبودات التي تعبد من دون الله نتيجة إتباع الهوى والتقليد الأعمى، وكل من شارك من الصحابة في وقعة بدر كانت له المكانة اللائقة بالثناء الحسن في الدنيا والفوز بالجنة والنجاة من النار في الآخرة، فأهل بدر هم النجوم التي أضاءت تاريخ الإسلام حتى أصبح يقال لأحدهم: فلان بدري، وشهد بدراً وكفى بهذه المنقبة شرفاً وتعظيماً لهم في هذه الدنيا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وكفى بذلك أجراً وإحساناً عند رب العالمين في الحياة الآخرة وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء فلقد أعطاهم ذلك ربهم ـ تبارك وتعالى ـ وفضلهم على كثير من عباده تفضيلاً(1) .

1) ناصر بن علي عائض حسن الشيخ ، عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام ، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية ، الطبعة : الثالثة 1421هـ/2000م ، 1 /165، وكان جل إعتمادنا عليه في هذا المبحث .

ففي الكتاب العزيز شهد الله لهم بإخلاص نياتهم في الجهاد في سبيل الله ومن أجل ذلك أكرمهم الله ـ تعالى ـ بالنصر على أعداء الله من أهل الكفر والضلال وما ذلك إلا لفضلهم عند الله ـ جل وعلا ـ وأن لهم كرامة ومكانة ومنزلة رفيعة عنده ـ تبارك وتعالى ـ كما شهد الله لهم بحقيقة الإيمان.

فالآيات التي أثنى الله عليهم بما ذكر هي:

1- قوله تعالى: قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ ۚ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ[سورة آل عمران: الآية 13]

هذه الآية تشير إلى اللقاء الذي وقع بين المسلمين وبين المشركين يوم بدر وفيها ثناء من الله ـ تعالى ـ على أهل بدر بخلوص نياتهم في الجهاد يوم بدر وأنهمما قاتلوا يومذاك حمية ولا شجاعة ولا لترى أمكانهم، وإنما قاتلوا لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى فأيدهم الله بنصره وأكرم بها من منقبة وأكرم به من موقف عظيم يذكرون به في الدنيا والآخرة وجدير بهذا الموقف العظيم أنه موضع للتفكر والاتعاظ والاعتبار لمن يأتي بعدهم إلى يوم القيامة.

قال العلامة ابن جرير الطبري / عند قوله تعالى: قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ ۚ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ [سورة آل عمران: الآية 13]: "يعني بذلك ـ جل ثناؤه ـ قل يا محمد للذين كفروا من اليهود الذين بين ظهراني بلدك قد كان لكم آية يعني علامة ودلالة على صدق ما أقول إنكم ستغلبون والفئة الجماعة من الناس التقتا للحرب وإحدى الفئتين، رسول الله ص ومن كان معه ممن شهدوا وقعة بدر والأخرى مشركو قريش

قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ ۚ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ [سورة آل عمران: الآية 13]جماعة تقاتل في طاعة الله وعلى دينه وهم رسول الله وأصحابه وهم مشركو قريش.

قال عبد الله بن عباس ب في قوله:

قال: قريش يوم بدر.

وقال مجاهد: ذلك يوم بدر التقى المسلمون والكفار"(1).

ومن خلال أقوال أئمة التفسير تبين أن الآية اشتملت على المدح والثناءعلى الفئة المؤمنة من البدريين، كما أنها أيضاً تضمنت التهديد لليهود الذين كانوا في المدينة حينذاك، فقد أخرج ابن جرير الطبري وغيره عن ابن عباس قال: لما أصاب رسول الله ص قريشاً يوم بدر فقدم المدينة جمع يهود في سوق بني قينقاع فقال : يا معشر يهود أسلموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشاً فقالوا:يا محمد لا تغرنك نفسك أنك قتلت نفراً من قريش كانوا أغماراً(2) لا يعرفون القتال إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس، وأنك لم تأت مثلنا فأنزل الله ـ عز وجل ـ في ذلك فكأنه يقول لهم: يا معشر يهود لا يغرنكم كثرة العدد، ولا المال والولد فليس هذا سبيل النصر والغلب فالحوادث التي تجري في هذا الكون أعظم دليل على فساد ما تدعون انظروا إلى الفئتين اللتين التقتا، فئة قليلة من المؤمنين عددها ثلاثمائة وتسعة عشر رجلا ولم يكن معها من القوة إلا سبعون بعيراً يعتقبونها وفرسان فقط (3)

---

1) جامع البيان، 193/3-194 .

2) الأغمار جمع ـ غمر ـ بالضم ـ وهو الجاهل الغر الذي لم يجرب الأمور

3) السيرة لابن هشام، 613/1، زاد المعاد ، 171/3، البداية والنهاية ، 285/3، وانظر: مسند الإمام أحمد، 411/1 من حديث عبد الله بن مسعود ﭬ ، المستدرك للحاكم ، 20/3

ولما كانت تقاتل في سبيل الله كتب لها الفوز والغلب على الفئة الكثيرةمن المشركين التي كان عددها ألف رجل ومعها من القوة مائتا فرس يقودونها(1)وفي هذا عبرة أيما عبرة لذوي البصائر السليمة التي استعملت العقول فيما خلقت لأجله من التأمل في الأمور والاستفادة منها ووجه العبرة في هذا أن هناك قوة فوق جميع القوى وهي قوة الله التي يؤيد بها الفئة المؤمنة القليلة، فتغلب الفئة المشركة الكثيرة بإذنه ـ تعالى ـ . وقال ابن جرير مبيناً معنى قوله ـ تعالى ـ في الآية السابقة:

قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ ۚ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ

[سورة آل عمران: الآية 13].

وتأويل الكلام قد كان لكم آية يا معشر اليهود في فئتين التقتا:إحداهما: تقاتل في سبيل الله.وأخرى: كافرة يراهم المسلمون مثليهم رأي أعينهم فأيدنا المسلمة وهم قليل عددهم على الكافرة وهم كثير عددهم حتى ظفروا بهم معتبر ومتفكر والله يقوي بنصره من يشاء ـ

1) البداية والنهاية، 284/3 .

وقال جل ثناؤه ـ إن في ذلك يعني فيما فعلنا بهؤلاء الذين وصفنا أمرهم من تأييدنا الفئة المسلمة مع قلة عددها على الفئة الكافرة مع كثرة عددها لعبرة يعني: لمتفكراً ومتعظاً لمن عقل وأدرك فأبصر الحق"أ.هـ(1).

2- وأما الشهادة من الله تعالى للبدريين بحقيقة الإيمان ففي قوله تعالى:

وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ ۚ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (62) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (63)[سورة الأنفال: الآية62، 63].

فقوله تعالى: فيها إخبار من المولى ـ جل وعلا ـ بحقيقة إيمانهم فلقد أخبر ـ سبحانه ـ نبيه عليه الصلاة والسلام أنه قواه وأعانه بنصره يوم بدر، كما أيده وأعانه بالمؤمنين، والمؤمنون الذين أيده بهم هم المهاجرون والأنصار الذين حضروا موقعة بدر المباركة قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وإنما أيده في حياته بالصحابة"أ.هـ(2).

---

1) جامع البيان 198/3، وانظر: تفسير البغوي على حاشية تفسير الخازن 273/1، وانظر تفسير القرآن العظيم 15/2.

2) منهاج السنة ، 156/1 .

وقال مقاتل: في بيان معنى الآية قال: قواك بنصره وبالمؤمنين من الأنصار يوم بدر(1). وقال ابن جرير: عند الآية "يقول: الله الذي قواك بنصره إياك على أعدائه يعني:بالأنصار(2).وقال أبو عبد الله القرطبي: أي: قواك بنصره يريد يوم بدر قال النعمان بن بشير نزلت في الأنصار أي: جمع بين قلوب الأوس والخزرج وكان تألف القلوب مع العصبية الشديدة في العرب من آيات النبي ص ومعجزاته إلا أن أحدهم كان يلطم اللطمة فيقاتل عنها حتى يستقيدها، وكان أشد خلق الله حمية فألف الله بالإيمان بينهم حتى قاتل الرجل أباه وأخاه بسبب الدين، وقيل: أراد التأليف بين المهاجرين والأنصار، والمعنى متقارب"أ.هـ(3). فالآية اشتملت على الثناء بالإيمان الحقيقي على أهل بدر من الفريقين من مهاجرين وأنصار الذين حضروا تلك الغزوة وأيد الله بهم رسوله ص.

---

1) زاد المسير ، 376/3.
2) جامع البيان ، 35/10.
3) الجامع لأحكام القرآن ، 42/8.

3- قال تعالى:

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (64) [سورة الأنفال: الآية 64]

وفي هذه الآية مدح الله ـ تعالى ـ المتبعين لنبيه ق بصفة الإيمان التي هي أعلى صفات الكمال وفي مقدمة هؤلاء الفئة المؤمنة من أهل بدر رضي الله عنهم أجمعين، ومعنى الآية كفاك وكفى أتباعك من المؤمنين الله ناصراً. قال ابن جرير عند هذه الآية : "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ص: يا أيها النبي حسبك الله، وحسب من اتبعك من المؤمنين، الله يقول لهم جل ثناؤه ناهضوا عدوكم فإن الله كافيكم أمركم ولا يهولنكم كثرة عددهم وقلة عددكم فإن الله مؤيدكم بنصره"(1).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية /عند الآية :

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (64) [سورة الأنفال: الآية 64]

أي: الله كافيك ومن اتبعك من المؤمنين والصحابة أفضل من اتبعهمن المؤمنين وأولهم"أ.هـ(2)..

1) جامع البيان ، 37/10 .
2) منهاج السنة، 156/1، وانظر : زاد المعاد، 35/1-36.

وقد نقل القرطبي/: عن ابن الكلبي أن قوله تعالى:

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (64) [سورة الأنفال: الآية 64]

إنها نزلت بالبيداءفي غزوة بدر قبل القتال. (1)

وعلى هذا يكون المراد بالذين اتبعوه هم البدريون الذين كان عددهم ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً كما تقدم.

4- قال تعالى: فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ [سورة الأنفال: الآية 17]. فالمقصود بالمؤمنين في هذه الآية هم الذين شهدوا بدراً مع رسول الله ص وقاتلوا معه أعداء دينه من كفار قريش فلقد شهد الله لهم في هذه الآية بأنهم مؤمنون وأكرم بها من شهادة صادرة عمن يعلم السر وأخفى فهو ـ سبحانه ـ علم حقيقة أنفسهم وما انطوت عليه من تحقيق الإيمان الصادق، فأخبر ـ سبحانه ـ بما استقر في نفوسهم الزكية من حقيقة الإيمان والبلاء الحسن الذي أبلى به أولئك المؤمنون هو ما أنعم الله به عليهم من الظفر بأعدائهم وغنيمتهم ما معهم، وإثبات ما لهم من الأجر على أعمالهم وجهادهم مع رسول الله ص ذلك هو البلاء الحسن.

1) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، 43/8.

ذكر ابن جرير / عن ابن إسحاق أنه قال في قوله تعالى:

أي: ليعرف المؤمنين من نعمه عليهمفي إظهارهمعلى عدوهم مع كثرة عددهم وقلة عددهم ليعرفوا بذلك حقه وليشكروا بذلك نعمته"أ.هـ(1).

وقال العلامة ابن القيم / عند قوله تعالى: "فهذه الآية نزلت في شأن رميه ق المشركين يوم بدر بقبضة من الحصباء فلم تدع وجه أحد منهم إلا أصحابته"أ.هـ(2).

وروى ابن جرير الطبري: بإسناده إلى محمد بن قيس ومحمد بن كعب القرظي أنهما قالا: لما دنا القوم بعضهم من بعض أخذ رسول الله ص قبضةمن تراب فرمى بها في وجوه القوم وقال: "شاهت الوجوه" فدخلت في أعينهم كلهم وأقبل أصحاب رسول الله ص يقتلونهم ويأسرونهم، وكانت هزيمتهم في رمية رسول الله ص وأنزل الله:.

وقال العلامة ابن القيم/: "وأخذ رسول الله ص ملء كفه من الحصباء فرمى بها وجوه العدو، فلم تترك رجلاً منهم إلا ملأت عينيه، وشغلوا بالتراب في أعينهم وشغل المسلمون بقتلهم فأنزل الله في شأن هذه الرمية على رسوله ص

---

1) جامع البيان 206/9.
2) مدارج السالكين ، 426/3.

فالآية اشتملت على مدح أهل بدر والثناء عليهم بصفة الإيمان التي هيمن أعلى صفات الكمال التي يسعى لتحقيقها عباد الله المؤمنون بكل ما يمكنهم من العمل الصالح.

5- قال تعالى :

إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ [سورة آل عمران: الآية 124]

6- وقال تعالى:

إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ (11) إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (12) [سورة الأنفال: الآية2 1، 11]

فقوله تعالى شهادة قاطعة يقينية على إثبات إيمان أهل بدر تم وكفى بهذه الشهادة شرفاً ورفعة لأولئك البدريين الأطهار إذ هي شهادة صادرة من رب السموات والأرض وما بينهما الذي يعلم الأمور على حقائقها وما هي عليه.

قال ابن جرير ر/ عند الآية : "بك من أصحابك وذلك يوم بدر"أ.

وقد بين الله في الآية السابقة وهي قوله تعالى: الآية أن المطر الذي أنزله على أرض بدر كان لهم فيه أربع فوائد هي:

تطهيرهم حسياً بالنظافة التي تنشط الأعضاء وتدخل السرور على النفس وشرعياً بالغسل من الجنابة، والوضوء من الحدث الأصغر.

إذهاب رجس الشيطان عنهم ووسوسته.

الربط على قلوبهم، أي: توطين النفس على الصبر وتثبيتها كما قال تعالى: وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ [سورة القصص: الآية 10].تثبيت أقدامهم ذلك أن المطر لبد الرمل وصيره بحيث لا تغوص فيه أرجلهم فقدروا على مناجزة أعدائه من المشركين(1). وفي هذه الفوائد الأربع تكريم لأولئك البدريين رضوان الله عليهم أجمعين.

1) انظر: جامع البيان الطبري 194/9، وانظر: زاد المعاد لابن القيم 175/3، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 373/7، تفسير القرآن العظيم لابن كثير 289/3.

وأما قوله تعالى: إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ [سورة الأنفال: الآية 12]

وهذه الآية مع ما دلت عليه من إثبات إيمان أهل بدر كذلك دلت صراحة على مشاركة الملائكة في قتال أعداء الدين من كفار قريش. وقد جاء في صحيح مسلم عن ابن عباس ب: قال: بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وسوط الفارس يقول: أقدم حيزوم(1) فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقياً فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط فاخضر ذلك أجمع فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله ص فقال: "صدقت ذلك من مدد السماء السادسة " الحديث(2).

وروى الإمام أحمد بإسناده إلى أبي داود المازني وكان شهد بدراً قال: إني لأتبع رجل من المشركين لأضربه إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي فعرفت أنه قتله غيري(3).

---

1) "حيزوم" جاء في التفسير أنه اسم فرس جبريل عليه السلام
2) صحيح مسلم ، 3/1384-1385.
3) المسند ، 5/450، وابن هشام في السيرة ، 1/633.

وروى أيضاً /: بإسناده إلى علي بن أبي طالب ت قال: جاء رجل من الأنصار قصير بالعباس بن عبد المطلب أسيراً فقال العباس: يا رسول الله إن هذا والله ما أسرني لقد أسرني رجل أجلح(1) من أحسن الناس وجهاً على فرس أبلق(2) ما أراه في القوم، فقال الأنصاري: أنا أسرته يا رسول الله، صال: "أسكت فقد أيدك الله تعالى بملك كريم"(3) .

فهذه الأحاديث صرحت بمشاركة الملائكة في قتال المشركين يوم بدر قال العلامة ابن القيم: "وكانت الملائكة يومئذ تبادر المسلمين إلى قتل أعدائهم"أ.هـ(4).

وإمداد الله ـ تعالى ـ لهم بالملائكة لم يكن دفعة واحدة بل كان بالتدريج "قال الربيع بن أنس: أمد الله المسلمين يوم بدر بألف، ثم زادهم فصاروا ثلاثة آلاف ثم زادهم فصاروا خمسة آلاف، قال الحافظ ابن حجر: وكأنه جمع بذلك بين آيتي آل عمران والأنفال"(5). وقد ذكر الحافظ ابن حجر/ الحكمة في قتال الملائكة مع الصحابة في بدر فقال: قال الشيخ تقي الدين السبكي: "سألت عن الحكمة في قتال الملائكة مع النبي ص مع أن جبريل قادر على أن يدفع الكفار بريشة من جناحه؟

---

1) الأجلح من الناس الذي انحسر الشعر عن جانبيه رأسه 284/1.
2) البلق: الدابة، والبلق سواد وبياض وكذلك البلقة: بالضم
3) المسند ، 117/1.
4) زاد المعاد ، 183/3.
5) فتح الباري، 33/7 ، وانظر: جمع قتادة بين الآيتين في جامع البيان ، 78/4.

فقلت: وقع ذلك لإرادة أن يكون الفعل للنبي ص وأصحابه وتكون الملائكة مدداً على عادة مدد الجيوش رعاية لصورة الأسباب وسنتها التي أجراها الله ـ تعالى ـ في عباده والله تعالى هو فاعل الجميع والله أعلم".(1)

وفيما قدمنا من الآيات القرآنية إثبات لفضل تلك الفئة المؤمنةمن البدريين وكما ثبت فضلهم بنص القرآن الكريم كذلك ورد في إثبات فضلهم الكثير من الأحاديث النبوية الصحيحة ومنها ما يلي:روى الإمام البخاري بإسناده إلى علي بن أبي طالب ت: قال: "بعثني رسول الله ص وأبا مرثد والزبير، وكلنا فارس، قال: "انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ(2) فإن بها امرأة من المشركين معها كتاب من حاطب ابن أبي بلتعة إلى المشركين" فأدركناها تسير على بعير لها حيث قال رسول الله ص فقلنا: الكتاب فقالت: ما معي كتاب، وأنخناها، فلتمسنا فلم نر كتاباً فقلنا: ما كذب رسول الله ص لتخرجن الكتاب، أو لنجردنك فلما رأت الجد أهوت إلى حاجزتها، وهي محتجزة بكساء ـ فأخرجته، فانطلقنا بها إلى رسول الله ص فقال عمر: يا رسول الله صد خان الله ورسوله والمؤمنين فدعني فلأضرب عنقه.

---

1) فتح الباري 313/7.

2) روضة خاخ: موضع بين مكة والمدينة بقرب المدينة شرح النووي على صحيح مسلم 55/16، وانظر: معجم البلدان لياقوت الحموي 335/2.

فقال النبي ص: "ما حملك" قال حاطب: والله ما بي أن لا أكون مؤمناً بالله ورسوله ق أردت أن تكون لي عند القوم يد يدفع الله بها عن أهلي ومالي وليس أحد من أصحابك إلا له هناك من عشيرته من يدفع الله به عن أهله وماله فقال النبي ص : "صدق ولا تقولوا له إلا خيراً" فقال عمر: إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين فدعني فلأضرب عنقه فقال: "لعل الله اطلع على أهل بدر فقالوا اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة، أو فقد غفرت لكم". فدمعت عينا عمر وقال: الله ورسوله أعلم. (1).

فلله ما أعظم هذا التكريم لتلك الفئة المؤمنة من البدريين، وما أعظم فضلها عند المولى ـ سبحانه وتعالى ـ .

قال الحافظ ابن حجر عند شرحه لهذا الحديث: "ووقع الخبر بألفاظ منها: "فقد غفرت لكم" ومنها: "فقد وجبت لكم الجنة" ومنها: "لعل الله اطلع" لكن قال العلماء: إن الترجي في كلام الله وكلام رسوله للوقوع، ثم قال: وقد استشكل قوله: "اعملوا ما شئتم" فإن ظاهره أنه للإباحة وهو خلاف عقد الشرع وأجيب: بأنه إخبار عن الماضي ـ أي: كل عمل كان لكم فهو مغفور ويؤيده أنه لو كان لما يستقبلونه من العمل

1) صحيح البخاري، 7/3، صحيح مسلم ، 1941/4.

لم يقل بلفظ الماضي ولقال: فسأغفره لكم، وتعقب بأنه لو كان للماضي لما حسن الاستدلال به في قصة حاطب لأنه ق خاطب به عمر منكراً عليه ما قال في أمر حاطب وهذه القصة كانت بعد بدر بست سنين

فدل على أن المراد ما سيأتي، وأورده في لفظ الماضي مبالغة في تحقيقه، وقيل: إن صيغة الأمر في قوله: "اعملوا" للتشريف والتكريم والمراد عدم المؤاخذة بما يصدر منهم بعد ذلك وأنهم خصوا بذلك لما حصل لهم من الحال العظيمة التي اقتضت محو ذنوبهم السابقة وتأهلوا لأن يغفر الله لهم الذنوب اللاحقة إن وقعت، أي: كل ما عملتموه بعد هذه الوقعة من أي عمل كان فهو مغفور .. وقيل: إن المراد ذنوبهم تقل إذا وقعت مغفورة. وقيل: هي بشارة بعدم وقوع الذنوب منهم. وفيه نظر ظاهر لقصة قدامة بن مظعون حيث شرب الخمر في أيام عمر وحده واتفقوا على أن البشارة المذكورة فيما يتعلق بأحكام الآخرة لا بأحكام الدنيا من إقامة الحدود وغيرها والله أعلم(1).

1) الفتح ، 305/7-306، وانظر: رسالته في الخصال المكفرة ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ، 258/1.

وقال النووي: قال العلماء: معناه الغفران لهم في الآخرة وإلا فإن توجه على أحد منهم حد أو غيره أقيم عليه في الدنيا ونقل القاضي عياض الإجماع على إقامة الحد وأقامه عمر على بعضهم قال: وضرب رسول الله ص مسطحاً الحد وكان بدرياً" أ.هـ(1).

وقال المناوي شارحاً لهذا الحديث: "اعملوا ما شئتم أن تعملوا فإني غفرت لكم ذنوبكم أي: سترتها فلا أؤاخذكم بها لبذلكم مهجكم في الله ونصر دينه والمراد إظهار العناية بهم وإعلاء رتبتهم والتنويه بإكرامهم والإعلام بتشريفهم وإعظامهملا الترخيص لهم في كل فعل كما يقال للمحب افعل ما شئت أو هو على ظاهره والخطاب لقوم منهم على أنهم لا يقارفون بعد بدر ذنباً وإن قارفوه لم يصروابل يوفقون لتوبة نصوح فليس فيه تخييره م فيما شاءوا وإلا لما كان أكابرهم بعد ذلك أشد خوفاً وحذراً مما كانوا قبله"أ.هـ(2) .

روى الإمام مسلم /بإسناده إلى جابر بن عبد الله ت أن عبداً لحاطب جاء رسول الله ص يشكو حاطباً فقال: يا رسول الله ليدخلن حاطب النار فقال رسول الله ص: "كذبت لا يدخلها فإنه شهد بدراً والحديبية" (3).

---

1) شرح النووي على صحيح مسلم ، 16/56-57 .
2) شرح الجامع الصغير، 2/212 .
3) صحيح مسلم ، 4/1942 .

هذا الحديث فيه شهادة لحاطب بدخول الجنة رغم أنه كان يريد أن يعلم قريشاً بمسير النبي ص إليهم كما أن فيه التصريح بعدم دخول النار لمن شهد بدراً والحديبية.

وروى الإمام البخاري /بإسناده إلى رفاعة بن رافع الزرقي عن أبيه ـ وكان أبوه من أهل بدر قال: جاء جبريل إلى النبي ص: ما تعدون أهل بدر فيكم قال: "من أفضل المسلمين" ـ أو كلمة نحوها ـ قال: وكذلك من شهد بدراً من الملائكة"(1).

وهذا الحديث تضمن بيان درجة أهل بدر ويبين أن لهم درجة كبيرة، ومنزلة عظيمة عند الله ـ جل وعلا ـ فقد نالوا ذلك الفضل وتلك المنزلة بسبب ما قدموه في هذه الحياة الدنيا من جهد في نصرة الإسلام، وقمع عبدة الأصنام وما وقر في قلوبهخم الطيبة من حقيقة الإيمان فكون الملائكة تقاس بهم فإن ذلك من أعظم الأدلة على علو قدرهم وارتفاع درجتهم عند الله ـ تعالـ فرضوان الله عليهم أجمعين.

وروى البخاري / بإسناده أيضاً إلى أنس بن مالك ت قال: "أصيب ـ حارثة ـ يوم بدر وهو غلام فجاءت أمه إلى النبي ص

1) صحيح البخاري ، 10/3 .

فقالت: يا رسول الله صد عرفت منزلة حارثة مني، فإن يكن في الجنة أصبر وأحتسب وإن تكن الأخرى تر ما أصنع فقال: "ويحك ـ أو هبلت ـ أو جنة هي؟ إنها جنان كثيرة وإنهفي جنة الفردوس" (1).

ورواه بلفظ آخر بإسناده إلى أنس ت أن أم الربيع بنت البراء وهي أم حارثة بن سراقة أتت النبي ص فقالت: يا نبي الله ألا تحدثني عن حارثة ـ وكان قتل يوم بدر أصابه سهم غرب(2) فإن كان في الجنة صبرت وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء قال : "يا أم حارثة إنها جنان في الجنة وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى" (3).

قال الحافظ ابن كثير /بعد ذكره حديث حارثة هذا: "وفي هذا تنبيه عظيم على فضل أهل بدر فإن هذا لم يكن في بحيحة القتال ولا في حومة الوغبل كان من النظارة من بعيد، وإنما أصابه سهم غرب وهو يشرب من الحوض ومع هذا أصاب بهذا الموقف الفردوس ـ التي هي أعلا الجنان، وأوسط الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة التي أمر الشارع أمته إذا سألوا الله الجنة ـ أن يسألوه إياها، فإذا كان هذا حال هذا فما ظنك بمن كان واقفاً في نحر العدو وعدوهم على ثلاثة أضعافهم عدداً وعُدداً"أ.هـ(4).

1) صحيح البخاري، 7/3.
2) هو الذي: لا يعلم راميه، أو لا يعرف من أين أتى، أو جاء دون قصد من راميه. فتح الباري 27/6.
3) صحيح البخاري ، 139/2.
4) البداية والنهاية ، 361/3 .

وجاء في مجمع الزوائد من حديث أبي هريرة ت أن رجلاً من الأنصار عمي فبعث إلى رسول الله ص وقد اجتمع إليه قومه فتغيب رجل فقال رسول الله ص: "ما فعل فلان" فذكره بعض القوم فقال رسول الله ص: "أليس قد شهد بدرا" قالوا: نعم ولكنه كذا وكذا فقال رسول الله ص: "فلعل الله اطلع إلى أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم" (1). وفيه أيضاً: من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ص: "إني لأرجو أن لا يدخل النار من شهد بدراً إن شاء الله" (2).

وروى الحاكم بإسناده إلى عبد الرحمن بن عوف قال: كلم طلحة بن عبيد الله عامر بن فهيرة بشيء فقال له رسول الله ص : "مهلاً يا طلحة فإنه قد شهد بدراً كما شهدت وخيركم خيركم لمواليه" ثم قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه(3).

ومن مناقب أهل بدر التي دلت على علو شأنهم، ورفعة مكانتهم أن النبي ص بين أنهم كتيبة الإيمان وعصابة الإسلام التي كان لها السبق في نصر دين الإسلام وإعلاء كلمته،

---

1) مجمع الزوائد 160/9 ثم قال الهيثمي رواه أبو داود وابن ماجه باختصار كثير في الأوسط وإسناده حسن.
2) المصدر السابق 161/9 وقال رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير خداش بن عياش وهو ثقة.
3) المستدرك ، 77/4 وأقره الذهبي.

وأن جهادهم في موقعة بدر كان من أعظم الأسباب في أن يعبد الله وحده لا شريك له على وجه الأرض. فقد روى الإمام مسلم بإسناده إلى عمر بن الخطاب ت أن النبي ص قال في الدعاء الذي دعا به يوم بدر: "اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبدفي الأرض"(1).

ذلك هو الثناء في الكتاب والسنة على تلك الفئة المؤمنة من البدريين الفضلاء فقد أوضح الله ورسوله مكانتهم أتم وضوح فقد كانوا في القمة من الكمال وما حصل لهم ذلك إلا باستجابتهم لربهم ـ تبارك وتعالى ـ على الوجه المطلوبفي امتثال الأوامر واجتناب النواهي ولذلك كان جزاؤهم أن وفقهم الله لصالح الأعمال في الدنيا، وفازوا بالجنة في الأخرى والذي أخلص إليه مما تقدم أن الله تعالى أثنى على أهل بدر ثناء حسناً وبين النبي ق مكانتهم وفضلهم في كثيرمن الأحاديث وقد ذكرنا بعضها فيما تقدم، فقد بين عليه الصلاة والسلام أنهم مغفور لهم، وأن من شهد بدراً لا يدخل النار وذلك نتيجة لما وقر في قلوبهم من الإيمان الذي ظهرت براهينه في أعمالهم وبسبب ذلك نصرهم الله على عدوهم في موقعة بدر رغم قلة عددهم وعدتهم، ففتح الله عليهم وأخذ أئمة الكفر وشفى صدورهم ي في أعداء الله وأعداء رسوله والمؤمنين.

---

1) صحيح مسلم ، 1384/3 .

قال العلامة ابن القيم: "ثم ارتحل ـ أي رسول الله ص ـ بعد انتهاء معركة بدر مؤيداً منصوراً قرير العين بنصر الله له، ومعه الأسارى والمغانم"(1).

فكان هذا اليوم يوم سعد وفوز للنبي ص وأصحابه، وكان يوم نحس وشؤم على الكافرين والمنافقين وذلك لاختلاف الأعمال.

قال العلامة ابن القيم: "فسعود الأيام ونحوسها: إنما هو لسعود الأعمال وموافقتها لمرضاة الرب، ونحوس الأعمال إنما هو بمخالفتها لما جاءت به الرسل واليوم الواحد يكون يوم سعد لطائفة، ونحس لطائفة كما كان يوم بدر، يوم سعد للمؤمنين، ويوم نحس على الكافرين"(2).

---

1) زاد المعاد ، 188/3.

2) مفتاح دار السعادة ، 194/2، وانظر: التفسير القيم لابن القيم ، ص430.

النشاط العسكري بين بدر وأحد :

ارتفعت معنويات المسلمين كثيرا بعد انتصارهم الكبير في معركة بدر الكبرى، والتي تعدأول لقاء مسلح بينهم وبين المشركين، وكانت معركة فاصلة أكسبت المسلمين نصراً حاسماً شهد له العرب قاطبة ، وقد حرصوا على تأديب المعاندين من المشركين في نطاق المدينة وما حولها،في حين كان المشركين أشد استياء لنتائج هذه المعركة وهم الذين منوا بخسائر فادحة مباشرة؛ وانكسرت شوكتهم ،وأصبحت لدي الفريقيين رغبات وطموحات متباينة فالمسلمون يريدون استغلالنصرهم الكبير في بدر وتوسيع نطاق دعوة الإسلام ونصرة المستضعفين والمشركون - الذين أحسوا بالذلة والمهانة بين العرب بعد بدر -يريدون الأخذ بالثأر وغسل جراحهم المثخنة بعد بدر بنصر جديديزيل عنهم الذلة والمهانةبين العرب، وعليه فالحالة العسكرية بين الدولة الإسلامية في المدينة وكفار العرب علي حالها في انتظار جولة جديدة من المعارك ، وهناك عناصر أخري دخلتفي معاداة الدولة الإسلامية الوليدة ، أمثال المنافقين الذين اضطرتهم الأوضاع الجديدة بعد بدر إلي الدخول في الإسلام نفاقا وخديعة ، واليهود الذين-أسائهم كثيرا انتصار المسلمين في بدر – يحترقون غيظاً وحنقًا على المسلمين.

غزوة قرقرة الكدر:

غزا النبي ص بعد سبع ليال من عودته إلى المدينة من غزوة بدر، وبلغ ماء الكدر في ديار بني سليم الذين قصدهم بغزوته هذه، غير أنه لم يلق حربا فأقام ثلاث ليال على الماء ثم رجع إلى المدينة (1). وكانت قبيلتا غطفان وبنو سليم جمعت جموعا على ماء لبني سليم بقرقرة الكدر بهدف الاعتداء علي المسلمينبعد معركة بدر مباشرة ،وحين بلغت أنباء هذا التجمع الحبيب محمد اللّه ق قاد بنفسه جيشا من مائتي مقاتل وداهمهم على الماء. وقد فر هؤلاء المتجمعون لقتال المسلمين لمجرد سماعهم أنباء قدوم الحبيب محمد ص تاركين خلفهم جمالهم التي بلغ تعدادها 500 بعير، فكانت غنيمة للمسلمين، وأقام النبي ص ثلاثة أيام في الموقع- كعادته في غزواته- قبلأن يعود إلى المدينة (2). وعلي طرق العودة إلي المدينة ، قسّم الحبيب محمدصالإبلعلى أصحابه، فأصاب الواحد منهم بعيرين، ونال النبي - ص - خُمْسَها، أصاب غلاماً له يقال له يسار ، فأعتقه. وكانت هذه الغزوة في شوال سنة 2 هـ بعد الرجوع من بدر بسبعة أيام، أوفي المحرم للنصف منه، واستخلف في هذه الغزوة على المدينة سِبَاع بن عُرْفُطَة . وقيل : ابن أم مكتوم (3).

1) ابن هشام، السيرة النبوية ، 3/ 64، موسوعة نظرة النعيم ، 296/1
2) ابن سعد، الطبقات ، 2/ 31.
3) ابن هشام، السيرة النبوية ، 3/ 64، ابن سعد ، الطبقات ، 2/ 31، ابن القيم ، زاد المعاد ، 90/2

محاولة اغتيال الحبيب محمد ص وإسلام عمير بن وهب:

تعددت محاولات قريش في صد دعوة الإسلام ، فبعد فشلهم عسكريا في بدر ، تفتق ذهن شياطينهم في حيلة إبلسية وهي محاولة الوصول إلي الحبيبمحمد ص واغتياله ، وكان صاحب هذه المحاولة هو عمير بن وهب الجمحي و صفوانبن أمية ، ولكن يمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين .

قال عروة بن الزبير: جلس عمير بن وهب الجمحي مع صفوان بن أميةفي الحِجْر، بعد مصاب أهل بدر بيسير، وكان عمير بن وهب شيطانًا من شياطين قريش، وممن كان يؤذي الحبيب محمد ص وأصحابه، ويلقون منه عناءوهو بمكة، وكان ابنه وهب بن عمير في أسارى بدر، فذكر أصحاب القليب ومصابهم فقال صفوان: (والله ما في العيش بعدهم خير). قال له عمير: صدقت، أما والله لولا دَيْنٌ علي ليس عندي قضاؤه، وعيال أخشى عليهم الضيعة(1) بعدي، لركبت إلى محمد حتى أقتله، فإن لي فيهم علة(2)، ابني أسير في أيديهم.قال: فاغتنمها صفوان بن أمية فقال: عليّ دينك أنا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالي أواسيهم(3) ما بقوا، لا يسعني شيء ويعجز عنهم، فقال له عمير: فاكتم علي شأني وشأنك. قال: أفعل.

---

1) الضيعة: الضياع والتشتت.
2) العلة: السبب.
3) أواسيهم: أقوم على أمرهم ومؤونتهم.

قال: ثم أمر عمير بسيفه، فشحذ وسُمّ، ثم انطلق حتى قدم المدينة، فبينما عمر بن الخطاب في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر، ويذكرون ما أكرمهم الله به، وما أراهم في عدوهم، إذ نظر عمر إلى عمير بن وهب وقد أناخ راحلته على باب المسجد متوشحًا سيفه، فقال: هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب، ما جاء إلا لشرَ وهو الذي حرش بيننا، وحزرنا للقوم يوم بدر. ثم دخل عمر على رسول الله ص فقال: يا نبي الله هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحًا سيفه. قال ق: «فأدخله عليّ» قال: فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة(1)سيفه في عنقه فلبّبَه(2) بها، وقال لمن كان معه من الأنصار: ادخلوا على رسول الله ص فاجلسوا عنده واحذروا عليه من هذا الخبيث، فإنه غير مأمون. ثم دخل به على رسولالله ق، فلما رآه رسول الله ص وعمر آخذ بحمالة سيفه في عنقه قال: «أرسله يا عمر، ادنُ يا عميرُ».

فدنا ثم قال: انعموا صباحًا، وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم، فقال رسول الله ص: «أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير، بالسلام تحية أهل الجنة».

فقال: أما والله، يا محمد ص إن كنت بها لحديث عهد.

---

1) حمالة السيف: ما يربط به السيف على الجسم.

2) لببه: قيده.

فقال: «فما جاء بك يا عمير؟» قال: جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فأحسنوا فيه.قال: «فما بال السيف في عنقك؟» قال: قبّحها الله من سيوف! وهل أغنت عنا شيئًا؟!! قال: «اصدقني ما الذي جئْتَ به؟» قال: ما جئت إلا لذلك.

قال: «بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر، فذكرتما أصحاب القليب من قريش، ثم قلت: لولا دينٌ عليّ وعيالٌ عندي لخرجت حتى أقتل محمدًا فتحمل لك صفوان بن أمية بدينك وعيالك، على أن تقتلني له، والله حائل بينك وبين ذلك».

قال عمير: أشهد أنك رسول الله، صد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء، وما ينزل عليك من الوحي، وهذا أمر لم يحضره إلاأنا وصفوان، فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله، فالحمد لله الذي هداني للإسلام وساقني هذا المساق، ثم شهد شهادة الحق، فقال رسول الله ص: «فقهوا أخاكم في دينه، وعلموه القرآن، وأطلقوا أسيره ففعلوا». ثم قال: يا رسول الله إني كنت جاهدًا على إطفاء نور الله، شديد الأذى لمن كان على دين الله عز وجل، وأنا أحب أن تأذن لي فأقدم مكة فأدعوهم إلى الله وإلى رسوله، وإلى الإسلام، لعل الله يهديهم، وإلا آذيتهم في دينهم كما كنت أوذي أصحابك في دينهم،

قال: فأذنله رسول الله ص فلحق بمكة وكان صفوان بن أمية حين خرج عمير بن وهب يقول: أبشروا بوقعة تأتيكم الآن في أيام، تنسيكم وقعة بدر، وكان صفوان يسألعن الركبان، حتى قدم راكب فأخبره بإسلامه، فحلف أن لا يكلمه أبدًا، ولا ينفعه بنفع أبدًا»(1).

نعم لقد دبر وخطط صفوان وعمير في سرية تامة ، ولكن يمكرون ويمكر اللهونعم لقد استغلصفوان فقر عمير وقلة ذات يده ودَيْنه وأرسلهإلى هلاكه ، ولكن الله عز وجل اختار عمير وهداه للإسلام ،ولقد جاء عمير يريد النيل من الحبيب محمد ص ، وأعلمه الله عز وجل بذلك ، ومع ذلك عفا عنهق ، وأحسن إليه وتجاوز عنه وعفا عنه وأطلق له ولده الأسير بعد أن أسلم وقال لأصحابه:فقهوا أخاكم في دينه، وأقرئوه القرآن وأطلقوا له أسيره ، وبعد أن جاء عمير إلي المدينةيريد النيل من نبي الإسلام ق ويمتلئ قلبه حقدا وحسدا علي الإسلام والمسلمين فقدعاد إليمكةداعية إلي الإسلام والتوحيد ، وأسلم على يديه ناس كثير.

1) ابن هشام ، السيرة النبوية ، 212/2 ، صحيح السيرة النبوية، ص260.

مقتل أبي عفك اليهودي :

عندما قدم رسول الله ص المدينة المنورة دار هجرته بدعوة من الأنصار الذين آمنوا به وبرسالته ونصروه ، ولكن كانت هنالك قلة قليلة منهم بقيتعلى شركها، وبنو عمرو بن عوف هي إحدى القبائل الأوسية المنضمة إلى حظيرة الإسلام، وقد كانت كغيرها من القبائل الأنصارية، الغالبية العظمى مسلمين، وقليل منهم الذين بقوا على شركهم. وكان من هؤلاء شيخ كبير(1) قد عسا(2)، عظيم الكفر، شديد الطعنعلى المسلمين، يدعى أبا عفك(3)،

1) يذكر الواقدي، وابن سعد أنه قد بلغ من العمر عشرين ومائة سنة. انظر: الواقدي، المغازي ، 174/1، وابن سعد، الطبقات ، 28/2.

2) العسوس من الرجال إذا قل خيره. ابن منظور، لسان (عس).

3) يذكر ابن سعد أن أبا عفك كان يهوديا مع أنه نسبه إلى بني عمرو بن عوف. الطبقات (28/2) فلا يعرف أيقصد بذلك أنه من متهودتهم أم أن ذلك وهم منه، أو نسبه إلى اليهود مجازًا، لأن غالبية المنافقين كانوا يوالونهم، ويجتمعون بهم كثيرا، ويأتمرون فيما بينهم بالمسلمين، كما ذكر القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾

[سورة البقرة: الآية 14]

قال بعض المفسرين: المراد بشياطينهم من يهود الذين يأمرونهم بالتكذيب وخلاف ما جاء به رسول الله ﷺ.

انظر ابن كثير، تفسيره ، 51/1، والله أعلم. وأنظر : بريك بن محمد بريك أبو مايلة العمري ، السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة ، ص 131

وكان قد امتلأ قلبه بالحقد والحسد للمسلمين وهو يرى التفاف الأوس والخزرج على نصرة رسول الله ص وازداد كيده بالإسلام وأهله بعد أن رأى رسول الله ص يزداد قوة وتمكينًا في المدينة وما حولها بعد غزوة بدر، فلم يطق لذلك صبراَ، فأخذ ينشد الشعر يهجو به رسول الله ص ويحرض على عداوته، ويسفه رأي الأنصار لمتابعتهم رسول الله ص ومناصرته (1) .

فلما رأى رسول الله ص أنه متمادٍ في غيه، لدرجة أنه يريد تأليب الناس عليه، وإثارة الفتنة والشقاق بين المسلمين ندب الصحابة لقتله قائلاً: "من لي بهذا الخبيث"(2).

وهنا يتجلى الإيمان في أروع مظاهره، فلا يتطوع لقتل أبي عفك ذلك الخبيث المرجف إلا رجلٌ من قومه شاب مغواري إيماني، من بني عمرو بن عوف وأحد البكائين في غزوة تبوك، ذلكم هو سالم بن عمير ت حيث نذر على نفسه ليقتلنه أو يموت دونه، فقام بإعداد خطة محكمة للقضاء عليه دون أن يشعربه أحد من أشياعه "فأمهل يطلب له غرة(3)

1) كان مما قاله:

لقد عشتُ دهرا وما إن أرى … من الناس دارًا ولا مَجمعا
أبرَّ عهودًا وأوفى لمن … من أولاد قَيلة في جمعِهم
يعاقدُ فيهم إذا ما دعا … يَهُدَّ الجبالَ ولم يخضعا
فصدَّهم راكبٌ جاءهم … حلالٌ حرام لشتى معا
فلو أن بالعز صدَّقتم … أو الملكِ تابعتم تُبَّعا

2) ابن هشام، السيرة النبوية ، 636/4
3) غرة: غفلة. اللسان، والقاموس (غرو).

حتى كانت ليلة صائفة، فنامأبو عفك بالفناء، وعلم به سالم بن عمير، فأقبل فوضع السيف على كبده، ثم اعتمد عليه حتى خش في الفراش، وصاح عدو الله"فتركه سالم ت مضرجًا بدمائه يخور كالثور، حيث ثاب إليه ناس من أصحابه "ممن هم على قوله، فأدخلوه منزله وقبروه". متسائلين بدهشة كما يذكر الواقدي "من قتله؟ والله لو نعلم من قتله لقتلناه به"(1).

فقالت أمامة المريدية في ذلك:

تُكَذِّبُ دينَ الله والمَرّءَ أحمدا   لَعَمْرُ الذي أَمْنَاكَ أَنْ بِئْسَ ما يُمْني

حبَاكَ حَنيفٌ آخرَ الليلِ طعنةً   أبا عفكٍ خُذها على كِبَرِ السِّنِّ(2)

---

1) ابن سعد ، الطبقات ، 28/2، الواقدي، المغازي ، 175/2

2) ابن هشام، السيرة ، 635/4-636، السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة ، ص 132

مقتل عصماء بنت مروان :

ذكر أرباب السيرة أن أعمى كان على عهد رسول الله ص، وكانت لهأم ولد شقية انزلقت في مهاوي الضلال، فأعماها الحقد والحسد للإسلام وأهله، مما جعلها "تكثر الوقيعة برسول الله ص، وتسبه، فيزجرها فلا تنزجر وينهاها فلا تنتهي" فضاق بها ذرعًا لتماديها في أمر لا يُصبر على مثله، فقرر القضاء عليهاعلى الرغم من حاجته الماسة إليها لضرارته، فضلا عن كونها أمّا لولده، ولكن الإيمان وحب الله ورسوله ق وموالاتهما لا يدانيه حب مهما بلغ "فلما كانت ذات ليلة جعلت تقع في النبي ص وتشتمه، فأخذ المغول(1) فوضعه في بطنها واتكأ عليها فقتلها، فوقع بين رجليها طفل(2) فلطخت ما هناك بالدم".

وفي صباح اليوم التالي يصل الخبر إلى رسول الله ص، فأمر بجمع الناس ثم قام فيهم خطيبا كعادته حينما يحدث أمر ما فقال: "أنشد الله رجلا فعل ما فعل لي عليه حق إلا قام" (3).

1) المغول: حديدة رقيقة لها حد ماض وقفا. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث (غول).

2) ربما كانت حاملا عندما قتلها فأسقطت ما في بطنها، أو أنه أحد ولديهما الصغيرين وقع بين رجليها، والله أعلم.

3) رواه أبو داود عن ابن عباس رضي الله عنهما. انظر: سنن أبي داود ، 4/528-529

فما كان من الرجل وهو يسمع مناشدة رسول الله ص له بد من إجابته فقام يتخطى الناس مضطربا حتى قعد بين يدي رسول الله ص فقال: يا رسول الله أنا صاحبها، كانت أم ولدي، وكانت بي لطيفة رفيقة، ولي منها ابنان مثل اللؤلؤتين، ولكنها كانت تكثر الوقيعة فيك وتشتمك، فأنهاها فلا تنتهي وأزجرها فلا تنزجر ثم شرح له بالتفصيل كيف قتلها، عند ذلك قال لهم رسولالله ق: "ألا اشهدوا أن دمها هدر"(1).

يتضح لنا من سياق هذه القصة مدى الحب الطاغي المسيطر على قلوب أصحاب النبي ص

له، فهذا رجل ضرير لديه مثل هذه المرأة الرفيقة به، اللطيفة معه على ما به من الضرارة، علاوة على أنها أم لولديه الصغيرين، ومع ذلك كله قتلها غضبا لله عز وجل ولرسوله ص لم تمنعه حاجته الشديدة لها، ولم يغره لطفها ورفقها به، ولم يشفع لها عنده أمومتها لولديه الصغيرين، لأنه ممن كتب الله في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه، وهكذا المؤمن الكامل الإيمان يقدم حبّ الله عز وجل ورسوله ق وموالاتهما على كل شيء آخر حتى لو كان نفسه

---

1) روه أبو داود، والنسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما انظر سنن أبو داود ،529/4، وسنن النسائي، 108/4

قال الله تعالى لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [سورة المجادلة: الآية 22](1).

ومما نستنبطه من هذا الخبر والذي قبله: أن سابّ النبي ق مهدر الدمفقد ذكر كل من المنذري والخطابي، أنه لا خلاف في أن سابه من المسلمين يجب قتله، وأما الخلاف إذا كان ذمياّ، فقال الشافعي: يقتل وتبرأ منه الذمة، وقال أبو حنيفة: لا يقتل، ما هم عليه من الشرك أعظم. وقال مالك: من شتم النبي ق من اليهود والنصارى قتل إلا أن يسلم، وكذلك قال أحمد بن حنبل(2).

1) السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة ، ص 132
2) سنن أبو داود، 528/4-529 حاشية (3)، وأبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود ،16/12-17

غزوة بني قينقاع :

لقد امتلأت قلوب اليهودحقدا علي الإسلام ونبيه ق منذ اليوم الأول لبعثته ، وناصبوه العداء وتربصوا بالإسلام والمسلمين ،ولقد كانت نفوسهم تفيض بالعداوة والبغضاء للمسلمين في المدينة منذ الهجرة إليها ، قالت صفية بنت حيي : كنت أحب ولد أبي (1) إليه وإلى عمي أبي ياسر (2) لم ألقهما مع ولد لهما إلا أخذاني دونه فلما قدم رسول الله {ق} المدينة غدا عليه أبي وعمي مغلسين(3) فلم يرجعا حتى كان مع غروب الشمس فأتيا كالين (4) كسلانين ساقطين يمشيان الهويني فهششت(5) إليهما كما كنت أصنع فوالله ما التفت إلي واحد منهما مع ما بهما من الغم وسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي أهو هو قال نعم والله قال أتعرفه وتثبته قال نعم قال فما في نفسك منه قال عداوته والله ما بقيت(6) .

---

1) حيي بن أخطب بن سعية، وقيل سعنة بن عامر بن عبيد بن كعب بن الخزرج بن أبي حبيب بن النضير بن النحام بن ينحوم من بني إسرائيل من سبط هارون بن عمران عليه السلام وهو من سبط لاوي بن يعقوب عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم. الطبقات الكبرى 120/8، أسد الغابة 490/5، الإصابة 346/4، كلهم ذكر ترجمته عند ذكر صفية أم المؤمنين ـ رضي الله عنها وأرضاها ـ.

2) أبو ياسر بن أخطب لم يرد ذكره منفرداً بل مقترناً بأخيه وبكونهما عدوين لدودين للنبي ﷺ. انظر: السيرة النبوية 514/1، 519، 546، 547، 548، 560.

3) مغلسين: الغَلَس ظلمة آخر الليل والتغليس السير بغلس. مختار الصحاح 478.

4) كالين: كلّ الرجل والبعير من المشي يكل كلالاً وكلالة أي أعيا . مختار الصحاح 576.

5) هششت: الهشاشة بالفتح الارتياح والخفة للمعروف. المصدر السابق 695.

6) أنظر : السيرة النبوية 518/1- 519، 241/2، الاكتفاء 473/1، وفاء الوفاء 269.

ولقد سعي الحبيب محمد ص في بداية الهجرة إلي كف أذاهم والبعدعن شرورهم حرصاً على رشدهم، وعلى بسط الأمن والسلام في المنطقة ، فعقد معهم معاهدةسلام ، إلا أن ذلك لم يمنعهم من مناوشة المسلمين والكيد لهم والتحريض عليهم ، ولقد فاضت نفوسهم بالعداوة بعد أن رأوا الوفاق والمحبة تملأ قلوب المهاجرين والأنصار ،وسعوا إلى إحداث الفرقة و الشقاق في صفوفهم ، فقد تفتق ذهن أحد شيوخهم الكبار في السن عن حيلة هدف بها إلى تفريق وحدة الأنصار وذلك بإثارة العصبية القبلية بينهم ليعودوا إلى جاهليتهم، فتعود الحروب بينهم كما كانت،قال ابن إسحاق : مر شاس بن قيس ـ وكان شيخاًيهودياًقد عسا (1)، عظيم الكفر، شديد الضغن على المسلمين، شديد الحسد لهم ـ على نفر من أصحاب رسول الله ص من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم، يتحدثون فيه، فغاظه ما رأي من ألفتهم وجماعتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام، بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية، فقال :

---

1) عسا: كبرت سنه.

قد اجتمع ملأ بني قَيْلَةَ (1) بهذه البلاد،لا والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار، فأمر فتي شاباً من يهود كان معه، فقال : اعمد إليهم، فاجلس معهم، ثم اذكر يوم بُعَاث (2)

وما كان من قبله، وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار، ففعل، فتكلم القوم عند ذلك، وتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب فتقاولاثم قال أحدهما لصاحبه : إن شئتم رددناها الآن جَذَعَة (3) وغضب الفريقان جميعاً، وقالوا : قد فعلنا، موعدكم الظاهرة ـ والظاهرة : الحَرّة ـ السلاح فخرجوا إليها ، وكادت تنشب الحرب. فبلغ ذلك رسول الله ص، فخرج إليهم فيمن معه من أصحابه المهاجرين حتى جاءهم فقال : (يا معشر المسلمين، الله الله، أبدعوي الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للإسلام، وأكرمكم به، وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر وألف بين قلوبكم)

1) قيلة: أم الأوس والخزرج.
2) يوم بعاث كانت حرباً اقتتلت فيه الأوس والخزرج، وكان الظفر فيه يومئذ للأوس على الخزرج، وكان على الأوس يومئذ حضير بن سماك الأشهلي، و أبو أسيد بن حضير، وعلى الخزرج عمرو بن النعمان البياضي، فقتلا جميعاً.
3) يعني الاستعداد لإحياء الحرب الأهلية التي كانت بينهم من جديد.

فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم، فبكوا، وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضاً ثم انصرفوا مع رسول الله ص سامعين مطيعين، قد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله شاس بن قيس (1).

فأنزل الله تعالى في شأس بن قيس وما صنع:

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ (98) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (99) [سورة آل عمران: الآية 99 ، 98].

وأنزل الله في أوس بن قيظي وجبار بن صخر وكان معهما من قومهما الذين صنعوا عمّا أدخل عليهم شأس من أمر الجاهلية :

1) انظر: ابن هشام ، السيرة النبوية ، 2/211-214

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (100) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (102) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (103) وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (104) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (105) [سورة آل عمران: الآية 100-105]

وأسلوب الدس والوقيعة هو أحد وسائل اليهود الخبيثة في حرب الإسلام ومحاولاتهم المستمرة لتمزيق الصف المسلم وتخريبه، بتقطيع أواصر المحبةبين المسلمين وذلك بإثارة الفتن الداخلية، والشعارات الجاهلية، والنعرات الاقليمية، والدعوات القومية والقبلية، والسعي بالدسيسة والوقيعة بين الأخوة المتآلفين المتوادين المتحابين.

فلما كانت غزوة بدر وانتصر المسلمون فيها انتصاراً كبيراً على قريش، ساء اليهود هذا النصر فبدأت طوائفهم تتغامز بالمسلمين، وتغري بهم، وتحرض عليهم ولما رأي الحبيب محمد ص ذلك منهمجمعهم في سوقهم بالمدينة ونصحهم، ودعاهم إلى الإسلام، وحذّرهم أن يصيبهم ما أصاب قريشا في بدر (1).

1) ابن هشام- السيرة 2/ 294، أبو داود- السنن 3/ 402- 3، وانظر: ابن حجر- فتح الباري 7/ 332.

غير أن ذلك لم يزدهم إلا عنادا واستكباراً وقابلوا الحبيب محمد ص بالتحدي والتهديد رغم ما يفترض أن يلتزموا به من الطاعة والمتابعة لبنود المعاهدة التي جعلتهم تحت رئاسته، فقد جابهوه بقولهم: «يا محمد! لا يغرنك من نفسك أنك قتلت نفرا من قريش كانوا أغمارا لا يعرفون القتال. إنك لو قاتلتنا لعرفتأنا نحن الناس، وأنك لم تلق مثلنا» (1).

وهكذا بدأت الأزمة تتفاعل إذ لم يكن في جوابهم ما يشير إلى الالتزام والاحترام، بل على العكس فإنهم قد أظهروا روحا عدائية، وتحدّيا واستعلاء واستعدادا للقتال. فأنزل اللّه سبحانه وتعالى فيهم قوله:

قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (12) قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ ۚ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ (13) [سورة آل عمران: الآية 13 ، 12]

1) ابن هشام- السيرة 2/ 294

وكان بنو قينقاع يقيمون بداخل المدينة، وفي حيهم يقوم سوق عرف باسمهم، وكانوا صاغة يعملون في صناعة الحلي، ولإقامتهم بين المسلمين كانوا أكثر قبائل اليهود احتكاكًا، وكان وجودهم هذا مما يثير حفائظهم كما كان يشكلفي الوقت نفسه خطرًا على كيان المدينة اليثربية أو فوجئت بهجوم خارجي وحدثتهم أنفسهم بالخيانة، ثم إنهم كانوا أشداء لعدم اعتمادهم على الحصون كبقية اليهود، فأغرتهم قوتهم بتحدي المسلمين فلما قدمت امرأة من الأنصارإلى سوقهم لتبيع بعض حليها، وجلست إلى صائغ منهم، عبث بها بعض رجالهم، فقد عقد طرف ثوبها وهي جالسة دون أن تعلم، فلما قامت انكشفت فاستصرخت المسلمين فأغاثها أحدهم وقتل اليهودي، غير أن اليهود تواثبوا على ذلك المسلم وقتلوه، واستصرخ أهل المسلم إخوانهم المسلمين على اليهود، فغضب المسلمون فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع،ولم يبق من سبيل لعدم مقاتلتهم، وإلا تعرض المسلمون وتعرض سلطانهم للخطر(1).

1) ابن هشام- السيرة 2/ 426 ، أحمد الشريف ، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد للرسول ، ص 388

وحين علم الحبيب محمدصبذلك سار إليهم على رأس جيش من المهاجرين والأنصار، وذلك يوم السبت للنصف من شوال من السنة الثانية للهجرة ، وكان الذي حمل لواء المسلمين يومئذ حمزة بن عبد المطلب تواستخلف الحبيب محمدصعلى المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر العمري واسمه بشير . وحين سار إليهم الحبيب محمد صنبذ إليهم العهد كما أمره الله تعالى في قوله:

وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ [سورة الأنفال: الآية 58] وحين علم اليهود بمقدمه ص تحصنوا في حصونهم، فحاصرهم النبي ص قودام الحصار خمس عشرة ليلة إلى هلال ذي القعدة، وقذف الله في قلوبهم الرعب فهو إذا أرادوا خذلان قوم وهزيمتهم أنزله عليهم وقذفه في قلوبهم ـ فنزلوا على حكم رسول الله ص في رقابهم وأموالهم ونسائهم وذريتهم، فأمر بهم فكتفوا ،واستعمل رسول الله ص على كتافهم المنذر بن قدامة السلمي الأوسي. وحينئذ قامت حركة النفاق بقيادة عبد الله بن أبي بن سلول بدورها فحاول ابن سلول زعيم المنافقين أن يحلّ حلفائه من وثاقهم،

فعندما مرّ عليهم قال: حلّوهم: فقال المنذر: أتحلون قوماً ربطهم رسول الله ص ؟ والله لا يحلهم رجلإلا ضربت عنقه، فأتى رسول الله ص ، فقال:يا محمد، أحسن في موالي - وكانوا حلفاء الخزرج- قال:فأبطأ عليه رسول الله ص ، فقال يا محمد: أحسن في موالي قال: فأعرض عنه، فأدخل ابن أبي يده في جيب ودرع رسول الله صفقال له رسول الله ص: أرسلني، وغضب رسول الله صحتى رأوا لوجهه ظللاً (1) ثم قال:ويحك أرسلني، قال: لا والله، لا أرسلك حتى تحسن في موالي أربع مائة حاسر، وثلاثة مائة دارع، قد منعوني من الأحمر والأسود، تحصدهم في غداة واحدة؟ إني والله امرؤ أخشى الدوائر: فقال رسول الله ص: هم لك (2).

وقد أحسن رسول الله ص إلي عبد الله بن أبي بن سلول فوهبهم له وأمرهم أن يخرجوا من المدينة ولا يجاوروه بها، فخرجوا إلى أَذْرُعَات الشام، فقلأن لبثوا فيها حتى هلك أكثرهم ، وغنم رسول الله صوالمسلمون ما كان لديهم من مال، وقد تولى جمع أموالهم وإحصاءها محمد بن مسلمة ت (3) .

1) ظللا: جمع ظلة وهي السحابة، استعارها لتغيير الوجه عند الغضب.
2) ابن هشام- السيرة ، 2/ 426 ، الدرر في اختصار المغازي والسير ، 149/1 ، الروض الأنف، 224/3 ، أحمد الشريف ، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد للرسول ، ص 388
3) ابن هشام- السيرة ، 2/ 426 ، الدرر في اختصار المغازي والسير ، 149/1 ، الروض الأنف ، 224/3 ، أحمد الشريف ، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد للرسول ، ص 388

وقد حاول ابن أبي بن سلول أن يثني رسول الله صعن حكم إجلائه يهود بني قينقاع وأراد أنيَقرّهم في ديارهم، فذهب إلي رسول الله ص فوجدعلى بابهقعُويم بن ساعدة الأنصاري الأوسي، فردّه عويم وقال:لا تدخلحتى يأذن رسول الله صلك، فدفعه ابن أبي، فغلّظ عليه عويم حتى جحش وجه ابن أبي الجدار فسال الدمفتصايح حلفاؤه من يهود فقالوا: أبا الحباب لا نقيم أبدا بدار أصاب وجهك فيها هذا، لا نقدر أن نغيره. فجعل ابن أبي يصيح عليهم وهو يمسح الدم عن وجهه يقول ويحكم قروا فجعلوا يتصايحون لا نقيم أبدا بدار أصاب وجهك فيها هذا، لا نستطيع له غيرا(1) .

وعلي النقيض تماما من موقف عبد الله بن أبي بن سلول جاء موقف عبادة بن الصامت ت وكان عبادة بن الصامت أحد بني عوف - لهم من حلف بني قينقاع مثل الذي لهم من عبد الله بن أبي- ، فلما نقضت العهد بنو قينقاع مشى لرسول الله صوخلعهم إليه، وتبرأ إلى الله عز وجل وإلى رسولهقمن حلفهم وقال: يا رسول الله، ص أتولى الله ورسولهقوالمؤمنين، وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم ، وفيه وفي عبد الله بن أبي، نزلت هذه القصة من المائدة:

---

1) المغازي للواقدي ، 178/1

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (51) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ۚ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ (52)سورة المائدة: الآية 51،52]، لعبد الله بن أبي.

وقوله: إني أخشى الدوائر فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ۚ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ (52) وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ (53) [سورة المائدة: الآية 52 ،53] ، ثم ذكر القصة إلى قوله تعالىإِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (55) [سورة المائدة: الآية 55]. وذكر لتولي عبادة بن الصامت الله ورسوله والذين آمنوا، وتبرئه من بني قينقاع وحلفهم وولايتهم:

وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (56) [سورة المائدة: الآية 56](1).

إن الفرق واضح بين ابن سلول الذي انغمس في النفاق، ومرد عليه، وبين عبادة بن الصامت ت الذي تربى على المنهاج النبوي، فصفت نفسه، وتطهر قلبه، وقوي إيمانه، وتنور عقله، فتخلص من آثار العصبية الجاهلية، والأهواء،والمصالح الذاتية، وقدم مصلحة الإسلام على كل مصلحة، فكان مثلاً حياً للمسلم الصادق، المخلص لعقيدته(2).

1) سيرة ابن إسحاق المسماة بكتاب المبدأ والمبعث والمغازي 1/ 295- 296، وسيرة ابن هشام 2/ 49.
2) السيرة النبوية الصحيحة ، 302/1

غزوة السويق :

بدت الحالة الداخلية هادئة في المدينة بعد النصر الذي أحرزه المسلمونفي بدر، وبعد إجلائهم بني قينقاع، وانكمشت الطوائف الأخرى من غير المسلمين وخفتت أصوات المعارضة، وكان من الممكن أن يستمر هذا الهدوء فترة طويلة لولا أن أبا سفيان بمكة لم يطق صبراً على عار بدر. ولم يطق أن يظل قابعًا في مكة دون أن يعيد إلى أذهان العرب أن قريشًا لا تزال لها قدرتها على الضرب والغزو؛ لذلك ما لبث بعد شهر أن جمع مائتين من رجال مكة وخرج بهم مستخفين حتى إذا ما وصلوا منطقة المدينة ليلًا نزل على بني النضير في حصن زعيمهم سلام بن مشكم حيث قراه (1) وسقاه وبطن له من خبر الناس(2) ثم خرج في عقب ليلته هذه، فأغاروا على ناحية العريض فحرقوا بها بيتين ونخلًا ووجدوا رجلًا من الأنصار وحليفًا له يعملان في حرث لهما فقتلوهما، ثم انصرفوا راجعين(3).

---

1) قراه: ضيّفه
2) بطن له من خبر الناس: أعلمه من سرهم
3) ابن هشام ، السيرة النبوية ، 2/ 422.

وندب النبي ق أصحابه فخرجوا في أثر أبي سفيان حتى بلغ قرقرة الكدر على نحو أربعة وعشرين ميلًا من المدينة ، وأبو سفيان ومن معه جادونفي الفرار يتزايد خوفهم فيلقون ما يحملون من زادهم من السويق(1)، فإذا مر به المسلمون أخذوه، ولذلك سميت هذه الغزوة غزوة السويق ، وقد وقعت في ذي الحجة سنة 2 هـ بعد بدر بشهرين، واستعمل على المدينة في هذه الغزوة أبا لبابةبن عبد المنذر (2).

وهكذا انقلب فرار أبي سفيان عليه بعد أن كان يحسب أن الغزوة ترفع من شأن قريش بعد مصاب بدر(3).

1) السويق: هو أن تحمّص الحنطة والشعير ثم يطحن باللبن والعسل والسمن.
2) ابن هشام، السيرة النبوية ، 2/ 422- 423.
3) أحمد الشريف ، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ، ص 352

غزوة ذي أمر :

لما رجع رسول الله ص من غزوة السويق أقام بالمدينة بقية ذي الحجةأو قريبا منها ثم غزا نجدا يريد غطفان وهي غزوة ذي امر ، وكانت الأخبار قد جاءت من قِبَل رجال الاستخبارات الإسلامية تفيد بأن رجال قبيلتي ثعلبة ومحارب تجمعوا بذي أمر بقيادة دُعثور بن الحارث المحاربي، يريدون حرب رسول الله ص، والإغارة على المدينة، فاستعمل النبي ق على المدينة عثمان بن عفان وخرج في أربعمائة وخمسين من المسلمين بين راكب وراجل، فأصابوا رجلا بذي القصة يقال له جبار من بني ثعلبة، كان يحمل أخبارًا عن قومه أسرّ بها إلى رسول الله ص، وقد دخل في الإسلام وانضم إلى بلال ليعلمه الشريعة الإسلامية كما هو دأب الحبيب محمد ص من العناية بتعليم المسلمين ، أما المشركون من بني ثعلبة ومحارب ما لبثوا أن فروا إلى رؤوس الجبال عند سماعهم بمسير المسلمين، وبقي رسول الله ص في نجد مدة تقارب الشهر دون أن يلقى كيدًا من أحد وعاد بعدها إلى المدينة. وفي هذه الغزوة أسلم دعثور بن الحارث - مع أنه هو الذي جمع قومه لمحاربته ق - الذي كان سيدًا مطاعًا بعد أن حدثت له معجزة على يدي رسول الله ص، فقد أصاب المسلمين في هذه الغزوة مطرٌ كثيرٌ فابتلت ثياب رسول الله ص

فنزل تحت شجرة ونشر ثيابه لتجف، واستطاع دُعثور أن ينفرد برسول الله بسيفه، فقال: يا محمد ص من يمنعك مني اليوم؟ قال: «الله»، ودفع جبريلفي صدره فوقع السيف من يده فأخذه رسول الله ص فقال: «من يمنعك مني» قال: لا أحد، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، والله لا أكثر عليك جمعًا أبدًا، فأعطاه رسول الله ص سيفه فلما رجع إلى أصحابه فقالوا: ويلك، ما لك؟ فقال: نظرت إلى رجل طويل فدفع صدري فوقعت لظهري، فعرفت أنه ملك، وشهدت أن محمدًا رسول الله، والله لا أكثر عليه جمعًا، وجعل يدعو قومه إلى الإسلام ، ونزل في ذلك قول الله تعالى:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ [سورة المائدة: الآية 11](1).

1) ابن كثير ، البداية والنهاية ، 3/4 ، المغازي للواقدي ، 196/1، أبو يوسف محمد زايد ، مناورات الأشقياء لقتل خاتم الأنبياء ، 28/1

قتل كعب بن الأشرف :

يعتبر كعب بن الأشرف النضري من زعماء يهود المدينة، وأحد كبار أحبارهم(1) أضمر الحقد والحسد للنبي ص منذ اللحظة التي وصلته فيها أخبار بعثته للناس هاديا ومبشرَا ونذيرَا(2).

وبعد هجرة الحبيب محمد ص إلى المدينة عمل علي أذية الحبيب محمدص حيث "كان يهجو النبي ق ويحرض عليه كفار قريش"(3).

وقد غاظه انتصار المسلمين على قريش في معركة بدر، و لما تيقن من صدق الخبر "ركب إلى قريش فاستغواهم على رسول الله ص"(4).

1) كان كعب بن الأشـرف عربيًا من بني نبهان من طيء، وكان أبوه أصـاب دما في الجاهلية، ثم أتى المدينة فحالف بني النضـير فشـرف فيهم، وتزوج عقيلة بنت أبي الحقيق، فولدت له كعبا، وكان طويلا جسـيما ذا بطن وهامة، شاعرا، ساد يهود الحجاز بكثرة ماله. انظر : ابن إسحاق، سيرة ، ص 297، ابن هشام، سيرة، 51/3.

2) ذكر الزرقاني أن كعبا هدد بقطع صـلته المعتادة لأحبار يهود بني قريظة وقينقاع عندما أقروا بنبوة رسـول الله ﷺ ، وأنه ما زال بهم حتى تراجعوا عن قرارهم ذلك. أنظر : الزرقاني، شرح ، 8/2، وروى الطبري عن الزهري وقتادة أنه نزل فيه قوله تعالى ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ... ﴾ [سـورة البقرة: الآية 109] تفسـير الطبري ، 487/1.

3) رواه أبوداود، السنن ، 228/8، وانظر الألباني، صحيح سنن أبي داود ، 581/2.

4) ابن سـيد الناس، عيون ، 357/1، والزرقاني، شـرح ، 9/2-10، بريك بن محمد بريك أبو مايلة العمري ، السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة ، ص 141

كما أنه لفرط عداوته لرسول الله ص، وما جاء به من الحق المصدق لما معه من الكتاب، نسي المبادئ والتعاليم التوراتية التي يدَّعي أنه يؤمن بها ويدافع عنها، نسي ذلك أو أنه تناساه عمدا، فشهد لحماة الوثنية قريش بأن وثنيتهم وشركهم خير من التوحيد الذي جاء به رسول الله ص ، وذلك عندما قال لهأبو سفيان: أناشدك الله، أديننُا أحب إلى الله أم دين محمد وأصحابه؟ قال: أنتم أهدى منهم سبيلا (1) .

كما جاء في قوله تعالى :

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا [سورة النساء: الآية 51](2).

ولم يكتف كعب بكل ذلك، بل إنه حالف قريشا على قتال رسول الله ص ثم قدم المدينة معلنًا معادة النبي ق وهجاء المسلمين وشرع في هجائه ق وبلغت به الوقاحة والصلف أن يمتد لسانه إلى نساء المسلمين وشبب بأم الفضل بنت الحارث ت زوجة العباس عم النبيق(3)

1) تاريخ الاسلام للذهبي ، ص158.
2) انظر : ابن سعد، طبقات ، 72/3، تفسير الطبري، 201/4/، 134/5-135، دلائل البيهقي ، 190/3-193-194، والواحدي، أسباب ، 187-188، وابن سيد الناس، عيون ، 357/1، تفسير ابن كثير، 511/7، والزرقاني، شرح ، 9/2-10.
3) تاريخ الأسلام للذهبي، ص160.

بعد تلك الجرائم وغيرها التي ارتكبها كعب بن الأشرف أصبح عدوّا مستأمنًا بعهد لم يرع ذمامه، ومواطنَ دولة خان دستورها، فكان لزاما أن يُعاقب بجريمته ويلقى جزاء خيانته، وحتى لا يثير قومه فيتحزبوا معه إذا طالبهم بتسليمهأو على الأقل يدبروا أمر هروبه بعيدا فلا تطوله يد العدالة خاصة وهو من كبار زعمائهم، لذلك رأى رسول الله ص أن خير وسيلة يتم بها التخلص منه هي بقتله سرّا دون علم قومه(1) ، فندب الصحابة لذلك قائلا: "من لكعب بن الأشرف؟ فإنه قد آذى الله ورسوله" (2) ويتطوع لهذه المهمة الصعبة محمد بن مسلمة ت وكان أخًا لكعب من الرضاعةفقاموقال: "يا رسول الله أتحب أن أقتله؟" قال: "نعم" ، قال: "فأْذن لي أن أقول شيئا(3).

وذكر عروة أن محمد بن مسلمة تشاور مع سعد بن معاذ ت بناء على أمر رسول الله ص، فاتفق معه على خطة استدراجية يطمئن بها كعب إليه فلا يشك بنواياه تجاهه، فقال له سعد: "توجه إليه واشك إليه الحاجة، وسله أن يسلفكم طعاما"(4). فأتاه محمد بن مسلمة،

1) بريك بن محمد بريك أبو مايلة العمري ، السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة ، ص 141
2) ابن حجر، فتح (6/158-159-160، 7/226)، ومسلم (12/161)، ووقع في رواية أبي داود عن الزهري أن النبي ﷺ أمر سعد بن معاذ رضي الله عنه أن يبعث رهطا فيقتلوه فبعث إليه سعد بن معاذ محمد بن مسلمة وأصحابه، وحلَّت رواية عروة هذا التعارض، ففيها أن رسول الله ﷺ قال لمحمد بن مسلمة: إن كنت فاعلا فلا تعجل حتى تشاور سعد بن معاذ، فقال: فشاوره. ابن حجر، فتح ، 7/338.
3) من رواية البخاري، الصحيح ،5/25.
4) انظر ابن حجر، فتح ، 7/338.

فقال: "إن هذا الرجل قد أراد صدقة، وقد عنَّانا، فلما سمعه قال: وأيضا والله لتملَّنه، قال: إنا قد اتبعناه الآن ونكره أن ندعه حتى ننظر إلى أي شيء يصير أمره، قال: وقد أردت أن تسلفني سلفا، قال: فما ترّهُنني، قال: ما تريد؟، قال: تَرّهُنني نساءكم، قال: أنت أجمل العرب، أنرهنك نساءنا، قال له: ترهونني أولادكم قال: يُسب ابن أحدنا، فيقال: رهن في وسقين من تمر، ولكن نرهنك اللأمة (يعني السلاح)، قال: نعم".

وواعده أن يأتيه ومعه أبو نائلة -وهو أخو كعب من الرضاعة- وذلك زيادة لاطمئنانه، وثلاثة نفر من الأوس كانوا هم قوة السرية التي توجهت لقتله. وقد اختلفت المصادر في تسميتهم، وعددهم(1).

وفي ليلة مقمرةشيّع رسول الله ص أصحاب السرية إلى بقيع الغرقد، كما يروي ابن إسحاق بسند حسن، ثم وجههم وقال: "انطلقوا على اسم الله، اللهم أعنهم"، ثم رجع رسول الله ص إلى بيته(2).

1) اختلفت المصادر في قوة السرية، فغالبية أهل المغازي، ومسلم، والبخاري عن غير عمرو بن دينار ذكروا أنهم كانوا خمسة مغاوير أَوْسِيُّون هم محمد بن مسلمة، وأبو نائلة، وعباد بن بشر، والحارث بن أوس بن معاذ، وأبو عبس بن جبير. انظر البخاري، الصحيح ،26/5، ومسلم بشرح النووي ،162/12، عبد الرزاق، المصنف ، 203/5، وابن إسحاق، سيرة ،298، والواقدي، مغازي ، 187/1، وابن سعد، طبقات،197/2-198.

ويذكر ابن حجر في روايات يشير إليها في الفتح أن عددهم كان ثلاثة فقط، ثم إنه رجح روايات أهل المغازي، وبعد ذلك يحاول الجمع فيقول ويمكن الجمع بأنهم كانوا مرة ثلاثة، وفي الأخرى خمسة. ابن حجر، فتح ، 338/7-339.

2) انظر ابن إسحاق، سيرة ، 298-299، وحسنَّ ابن حجر إسناده. ابن حجر فتح ، 338/7، وأخرجه عن ابن إسحاق الإمام أحمد، الفتح الرباني ،49/21، والبزار، الهيثمي، كشف الأستار عن زوائد البزار ،130/2-131، والطبراني، معجم ،221/11، وقال الهيثمي: وفيه ابن إسحاق وهو مدلس وبقية رجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد ،196/6، وإن كان ابن إسحاق صرَّح بالتحديث فانتفت شبهة التدليس، كما أخرج الحديث عن ابن إسحاق بن راهويه. انظر السيوطي، الخصائص الكبرى ،527/1.

وأقبلوا حتى أتوا حصن كعب بن الأشرف وكان حديث عهد بعرس، وأنهم حينما هتفوا به وثب في ملحفته، فأخذت امرأته بناحيتها، وقالت: إنك امرؤ محارب(1). وإن أصحاب الحرب لا ينزلون في هذه الساعة، "قال: إنما هو أخي محمد بن مسلمة، ورضيعي أبو نائلة، إن الكريم لو دعي إلى طعنة بليل لأجاب"(2).

وكان محمد بن مسلمة قد اتفق مع أصحابه على كيفية قتله، "فقال: إذا ما جاء فإني قائل بشعره فأشمه، ثم أشمكم، فإذا رأيتموني استمكنت من رأسه فدونكم اضربوه، فنزل إليهم متوشحا وهو ينفخ منه ريح الطيب، فقال: ما رأيت كاليوم ريحًا -أي أطيب-".

فقال كعب مفتخراَ:"نعم تحتي فلانة هي أعطر نساء العرب" فقال محمد بن مسلمة: "أتأذن لي أن أشم رأسك؟، فشمه، ثم أشم أصحابه، ثم قال: أتأذن لي؟ قال: نعم، فلما استمكن منه، قال: دونكم، فقتلوه، ثم أتوا النبي ص فأخبروه"(3).

"فلما قتلوه فزعت اليهود والمشركون، فغدوا إلى النبي ص،

1) هذا اعتراف ضمني من امرأة كعب بأنه عدو محارب للمسلمين، ولكن كيف نُقل عنها ما قالت فلعلها حدثت به نفسها، أو لعله نُقل ما حدثت به للصحابة الذين قتلوه.
2) من رواية البخاري، الصحيح ، 26/5.
3) من رواية البخاري، الصحيح ، 25/5-26، وابن حجر، فتح ، 337/7.

فقالوا: طُرق صاحبنا فقُتل، فذكر لهم النبي ق الذي كان يقول، ودعاهم النبي ص إلى أن يكتب بينه وبينهم كتاباً ينتهون إلى ما فيه. فكتب النبي ص بينه وبين المسلمين عامة صحيفة"(1)

"وقد يبدو مقتل ابن الأشرف متسمًا بالغدر، ولكن صاحب النظر الفاحص، والبصيرة النافذة يدرك أن ابن الأشرف معاهد بموجب الصحيفة التي التزم فيها يهود بني النضير مع الآخرين، وأنه بهجائه للنبي ق، وهو رئيس الدولة بالنسبة لابن الأشرف، وبإظهاره التعاطف مع أعداء المسلمين ورثاء قتلاهم، وتحريضهم على المسلمين يكون قد نقض العهد وصار محاربا مهدور الدم، وأما استدراجهممن يثق بهم وقتله بالخديعة، فإنه جائز مع المحارب، وقد تم بأمر رسول الله ص"(2).

هذا وقد ذكر ابن القيم أن قتل ساب النبي ص جائز بإجماع الخلفاء الراشدين ولا يعلم لهم في الصحابة مخالف، فإن الصديق ت قال لأبي برزة وقد هم بقتل من سبه: لم يكن هذا لأحد غير رسول الله ص. ومر عمر ت براهب فقيل له: هذا يسب رسول الله ص، فقال: لو سمعته لقتلته، إنا لم نعطهم الذمة على أن يسبوا نبينا ص.

1) انظر : عبد الرزاق، المصنف ، 204/5، والألباني، صحيح سنن أبي داود ، 581/2 واللفظ له، والبيهقي، دلائل ، 198/3. وعنده"فكتب النبي ﷺ بينه وبينهم وبين المسلمين عامة صحيفة". وذلك أتم.

2) بريك بن محمد بريك أبو مايلة العمري ، السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة ، ص 146

فإن قيل: فالنبي ص لم يقتل عبد الله بن أُبي وقد قال: لئن رجعناإلى المدينة ليُخرجن الأعز منها الأذل، ولم يقتل ذا الخويصرة التميمي وقد قال له: اعدل، فإنك لم تعدل، ولم يقتل من قال له: يقولون: إنك تنهى عن الغي وتستخلي به، ولم يقتل القائل له: إن هذه القسمة ما أريد بها وجه الله، ولم يقتل من قال له لما حكم للزبير بتقديمه في السقي: إن كان ابن عمتك، وغير هؤلاء، قيل: الحق كان له فله أن يستوفيه، وله أن يسقطه، وليس لمن بعده أن يسقط حقه، كما أن الرب تعالى له أن يستوفي حقه، وله أن يسقط، وليس لأحد أن يسقط حقه تعالى بعد وجوبه، كيف وقد كان في ترك قتل من ذكرتم وغيرهم مصالح عظيمة في حياته زالت بعد موته من تأليف الناس، وعدم تنفيرهم عنه، فإنه لو بلغهم أنه يقتل أصحابه لنفروا، وقد أشار إلى هذا بعينه، وقال لعمر لما أشار عليه بقتل عبد الله بن أبي: "لا يبلغ الناس أن محمدا يقتل صحابه"(1). ولا ريب أن مصلحة هذا التأليف، وجمع القلوب عليه كانت أعظم عنده وأحب إليه من المصلحة الحاصلة بقتل من سبه وآذاه.

1) بريك بن محمد بريك أبو مايلة العمري ، السـرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة ، ص 146 ، الدكتور أكرم ضياء العمري: المجتمع المدني، خصائصه وتنظيماته الأولى، 142-143

ولهذا لما ظهرت مصلحة القتل، وترجحت جدًّا قَتَلَ الساب، كما فعل بكعب بن الأشرف فإنه جاهر بالعداوة والسب فكان قتله أرجح من إبقائه، وكذلك قَتَلُ ابن خطل، ومقيس والجاريتين، وأم ولد الأعمى، فقتل للمصلحة الراجحة، وكف للمصلحة الراجحة فإذا صار الأمر إلى نوابه وخلفائه، لم يكن لهم أن يسقطوا حقه".

ولا ريب أن المحاربة بسب نبينا أعظم أذيةً ونكاية لنا من المحاربة باليد ومنع دينار جزية في السنة، فكيف يُنقض عهده ويُقتل بذلك دون السب، وأي نسبة لمفسدة منعه ديناراً في السنة إلى مفسدة منع مجاهرته بسب نبينا أقبح سبعلى رءوس الأشهاد، بل لا نسبة لمفسدة محاربته باليد إلى مفسدة محاربته بالسب فأولى ما انتقض به عهده وأمانه سب رسول الله ص، ولا ينتقض عهده بشيء أعظم منه إلا سبه الخالق سبحانه. فهذا محض القياس ومقتضى النصوص وإجماع الخلفاء الراشدين تم وعلى هذه المسألة أكثر من أربعين دليلا(1).

---

1) بريك بن محمد بريك أبو مايلة العمري ، السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة ، ص 146 ، الدكتور أكرم ضياء العمري: المجتمع المدني، خصائصه وتنظيماته الأولى، 142-143

قال عياض: ولا يحل لأحد أن يقول إن قتله كان غدراً، وقد قال ذلك إنسان في مجلس علي بن أبي طالب فأمر به فضُربت عنقه، وإنما يكون الغدر بعد أمان موجود، وكعب قد نقض عهده ق، ولم يؤمنه محمد ورفقته لكنه استأنس بهم فتمكنوا منه من غير عهد ولا أمان، وقيل: لأن محمد بن مسلمة لم يصرح له بالأمان في شيء من كلامه، وإنما كلمه في أمر البيع والشراء، واشتكى إليه وليس في كلامه عهد ولا أمان(1).

وربما يلتبس على البعض أن قَتْلَ كعب بن الأشرف يتعارض مع بعض الأحاديث الناهية عن الفتك والغدر، ولكن اللبس هنا مرفوع؛ فالغدر لا يكونإلا بإنسان له عهد وميثاق ملتزم بهما غير ناكث لهما، وإلا قيل إن غزو مكة وفتحها كان غدراً لوجود العهد والميثاق المبرم في صلح الحديبية. وكعب بن الأشرف علاوة على عدم التزامه بميثاق الدولة التي يعتبر أحد أفرادها جاهر بعداوته للمسلمين ولقائد الدولة، وأخذ يحرض عليهم، ولم يقتصر الأمر بفداحته على ذلك، بل سافر إلى عدوهم وعاهدهم على قتال المسلمين، وكان كل ذلك كافيا لإظهار عداوته،

1) الزرقاني، شرح ، 13/2، وانظر البيهقي، دلائل ، 193/3، والخطابي، معالم السنن، شرح السنن لأبي داود ، 212/3-213.

ولكنه عندما رجع إلى المدينة صار يؤذي المسلمين -وهم أفراد مساوون له في الحقوق تحت ظل دولة واحدة غير مكترث ولا عابئ- وذلك بهجائهم والتشبيب بنسائهم، وهو أمر عظيم كانت الدماء تسيل فيه أودية في الجاهلية فكيف وقد أعز الله المسلمين بالإسلام(1).

وانتشر خبر مقتل ابن الأشرف في المدينة، فأسرع أحبار اليهود إلى رسول الله ص يشتكون ويحتجون على ما فعله أصحابه، فلم يحفل النبيصبهم، بل أكد مقتله الذي كان نتيجة حتمية لموقفه المعادي، وقد أوقعت هذه الحادثة الرعب في نفوس اليهود جميعهم، فلم يعد أحد من عظمائهم يجرؤ على الخروجمن حصنه، كما لم يعد أحد من يهود المدينة إلا ويخاف على نفسه من المسلمين ، واضطر اليهود لتجديد المعاهدة، وكان من عظمة الحبيب محمد ص أنه لم يؤاخد بني النضير بجريرة كعب بن الأشرف واكتفى بقتله جزاء غدره وجدد المعاهدة معهم(2). وعلى كل حال فإن اليهود خافوا خوفا شديدا بعد مقتل كعب بن الأشرف، فلم يطلع أحد من عظمائهم، وبذلك العمل الجريء أخرس رسول الله ص ألسنتهم، ورد كيدهم إلى نحورهم، وكبت حقدهم في صدورهم دون أن تراق دماء كثيرة،

1) بريك بن محمد بريك أبو مايلة العمري ، السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة ، ص 150
2) السيرة النبوية الصحيحة ، 304/1

فالمجرم المحارب نال جزاءه وعقابه العادل والذي أصبح عبرة وعظة لمن تسول له نفسه من اليهود، أو المشركين في المدينة القيام بمثل ما فعل.

ومن خلال سياق أحداث هذه القصة يبدو لنا أمران ملفتان للنظر:

أولهما: قول امرأة كعب له: إنك امرؤ محارب.

وثانيهما: ردة فعل وفد اليهود الذين جاءوا إلى رسول الله ص يشتكون من مقتل زعيمهم كعب، حيث إنهم حينما وضح لهم رسول الله ص صنيعه وما كان يفعل سكتوا ولم ينطقوا بشيء.

فهذان اعترافان من أقرب الناس لكعب بجريمته التي استحق عليها القصاص العادل(1).

1) السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة ، ص 151

غزوة بحران(1):

ولما بلغه ق أن جمعًا من بني سُليم يريدون الغارة على المدينة، فخرجالنبي ص إلي حران من ناحية الفرع بقوة بلغ تعدادها (300) مقاتل مستهدفا بني سليم الذين كانوا يؤمّنون الطريق التجارية لقريش بين مكة المكرمة وبلاد الشام، وذلك في جمادى الأولى سنة 3 هـ (2). ويبدو أنه لم يلق كيدا، حيث وجدهم قد تفرقوا، فانصرف عنهم ولم يقع قتال (3) . وعاد ق إلي المدينةبقواته بعد عشرة أيام (4).

1) بُحران: موضع بين الفُرُع والمدينة. انظر : السيرة النبوية، 3 /313، دلائل النبوة،3 /172.
2) ابن هشام، السيرة ، 2/ 425، الواقدي ، المغازي ، 1/ 196، ابن سعد، الطبقات ، 2/ 35.
3) ابن هشام ، السيرة ، 2/ 425.
4) ابن كثير، البداية ، 4/ 3.

سرية زيد بن حارثة إلى القَرَدة:

كانت السرايا والبعوث التي قامبها الحبيب محمد ص قد أثرت على اقتصاد قريش وفرضت عليهم حصاراً اقتصادياً قوياً، وكان الاقتصاد المكي قائماً على رحلتي الشتاء والصيف، رحلة الشتاء إلى اليمن وتحمل إليها بضائع الشام ومحاصيلها، ورحلة الصيف إلى الشام تحمل إليها محاصيل اليمن وبضائعها وقطع أحد جناحي هاتين الرحلتين ضر للجناح الآخر، لأن تجارتهم إلى الشام قائمة على سلع اليمن، وتجارتهم إلى اليمن قائمة على سلع الشام قال تعالى:

لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (1) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (2) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (3) الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ (4) [سورة قريش]

قال صفوان بن أمية لقريش ـ وهو الذي نخبته قريش في هذا العام لقيادة تجارتها إلى الشام - : إن محمداً وصحبه عَوّروا علينا متجرنا، فما ندري كيف نصنع بأصحابه، وهم لا يبرحون الساحل ؟ وأهل الساحل قد وادعهم ودخل عامتهم معه، فما ندري أين نسلك ؟ وإن أقمنا في دارنا هذه أكلنا رءوس أموالنا فلم يكن لها من بقاء . وإنما حياتنا بمكة على التجارة إلى الشام في الصيف، وإلى الحبشةفي الشتاء .

وأخذت قريش تبحث عن طريق آخر لتجارتهم للشام، فأشار بعضهم إلى طريق نجد العراق - وهي طريق طويلة جداً تخترق نجداً إلى الشام، وتمر في شرقي المدينة على بعد كبير منها، وكانت قريش تجهل هذه الطريق كل الجهل ـ فأشار الأسود بن عبد المطلب على صفوان أن يتخذ فُرَات بن حَيّان ، دليلاً له، ويكون رائده في هذه الرحلة وقد سلكوها بالفعل، وخرج منهم تجّار، فيهم أبو سفيان بن حرب، وصفوان بن أمية، وحويطب بن عبدالعزّى، ومعهم فضة وبضائع كثيرة، بما قيمته مائة ألف درهم، فبلغ ذلك رسول الله صبواسطة أحد أفراد جهاز الأمن الإسلامي يدعى سليط بن النعمانت، فبعث زيد بن حارثة في مائة راكب لاعتراض القافلة فلقيها زيد عند ماء يقال له القُرَدة، وهو ماء من مياه نجد، ففرّ رجالها مذعورين وأصاب المسلمون العير وما عليها، وأسروا دليلها فُرات بن حيّان الذي أسلمبين يدي النبيص ، وعادوا إلى المدينة، فخمسها رسول الله صووزع الباقي بين أفراد السرية ، ووقعت أحداث هذه السريةفي جمادي الآخرة سنة 3 هـ(1)

1) ابن هشام ، السيرة النبوية ، 56/3

وكانت مأساة شديدة ونكبة كبيرة أصابت قريشاً بعد بدر، اشتد لها قلق قريش وزادتها هما وحزناً . ولم يبق أمامها إلا طريقان،إما أن تمتنع عن غطرستها وكبريائها، وتأخذ طريق الموادعة والمصالحة مع المسلمين،

أو تقوم بحرب شاملة تعيد لها مجدها التليد، وعزها القديم، وتقضي على قوات المسلمين بحيث لا يبقي لهم سيطرة على هذا ولا ذاك، وقد اختارت مكة الطريق الثانية، فازداد إصرارها على المطالبة بالثأر، والتهيؤ للقاء المسلمين في تعبئة كاملة، وتصميمها على الغزو في ديارهم، فكان ذلك وما سبق من أحداث التمهيد القوي لمعركة أحد(1) .

---

1) الرحيق المختوم ، ص 244